BOBST LIBRARY
3 1142 01725 5343

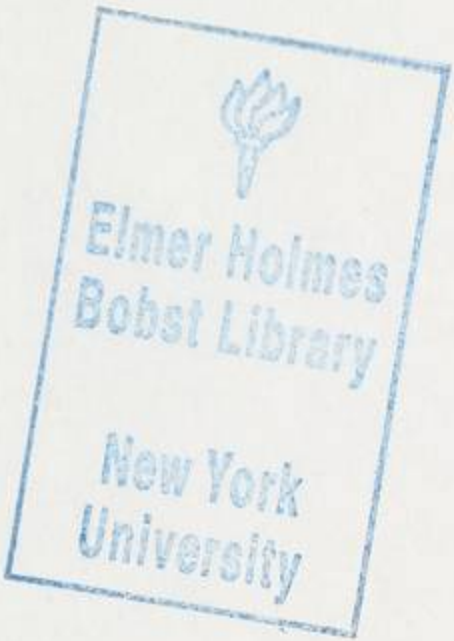

Anḥuri, Salim
"
/Sihr Hārūt/

سحر هاروت

نظم

سليم افندي عنحوري

حقوق الطبع عائدة للناظم

طبعة اولى

عليك سلام الله يازمن الصبا وان كان مقرونًا بك الطيش والخفّة
فانت الذي علّمتني الشعرَ بالهوى واوليتني فخرَ المحبة بالعفّة

طبع في دمشق في المطبعة الحنفية سنة ١٣٠٢ هجرية و١٨٨٥ مسيحية

NYU POST-PRESERVATION
L-327 JL 22 93

PJ
7814
.N54
S54
1885
c.1

سيدي الصديق الأبرّ صاحب العزة والشهامة ميخائيل افندي عبد الله رئيس
قلم التحرير في لواء حما

هذا بارعاك الله بعض ما أنبتتهُ القريحة في روض النسيب العربيّ ايامَ كان غصن الصبوة نديًّا رطيبًا . ورداء الحيوة بهيًّا قشيبًا . وحين اذ كانت النفس ترتاح لذكر الراح والريحان . وتهفو لوصف محاسن الحُور وملاحة الولدان . جمعتهُ وهو بالتفرقة اجدر . وطبعتهُ على علّاتهِ مع اعتقادي انهُ ليس بالأثر الذي يُذكَر فيُشكَر . ذلك ليُعلَم ان لأدوار العمر اطوارًا . تكاد احكامها تكون اقدارًا . يعنو لها العاقل كالجاهل . ويخلُد اليها الأمير والعاهل . ولقد رأيتُ يامثال الوفاء . وعنوان الإخاء . ان اهديه اليك . تذكرةً أُعالنك بها صحيح ودادي . فانظر اليهِ نظرةً ألفها منكَ احبآؤك . وروتها عنك سيماء روائك . لا زلتَ ولو بعدَتْ بك الدار نزيل فؤادي

من حليف ولائك

سليم عنحوري

01725 5343

(الشعر العربي)

قل لأفرنجٍ تظنوا شعرنا قيلاً وقالْ
فاسد المبداء والاســـلوب معنىً ومقالْ
انَّ فنَّ الشعر ذوقٌ ما على الذوق جدالْ

﴿ مناجاة العذول ﴾

خطرت بقدّ ماس كالخطّارِ ورنت بلحظ كالقضاء الجاري
وأنارت الفلك المنير بطلعة قد أطلعت في الليل شمس نهارِ
وشدت فخلت ملائك العرش اغدت تشدو بحمد الواحد القهّار
او ان داوود تلا مزموره في المسجد الاقصى على القيثارِ
فاهتزَّ طود الصالحية فوقنا طرباً ومادت قبّة السيّارِ
وبكت عيون الغاديات صبابةً وبدت ثغور ازاهر الاشجارِ
وتناوح القمريُّ في ادواحهِ زعماً بان الشدوَ شدوَ هزارِ
وتنفست ريح الصبا من صبوة تحكي الشجيَّ بحنُّ للاوتارِ
خَوْدٌ خلعت بها العذار تهتكاً وجعلت شعري في النسيب شعاري
واخترتها دون البرية واهباً من اجلها دنياي للاخطارِ
هي غايتي هي منيتي هي قبلتي هي جنتي هي منتهى اوطاري
فتّانةٌ قد غادرت بدلالها قلبي الكليم على شفير هارِ
سلبت نهى هل النهى بمباسمٍ زُهرٍ تريك الزُهْرَ في الاسحارِ

نشرت ذوائبها فشمتُ غياهبًا في الظُهر تعلو فوق صبح سارِ
وتمايلت كالبان تثنيهِ الصبا عجبًا فقال الناس جلَّ الباري
تهدي لنا حلماتها ونهودها لما يلحنَ بصدرها البلَّاري
رمانتيْ عاجٍ على رأسيهما مرجانتانِ بحوضِ ماسٍ جارِ
لله خال لاح في وجناتها قد خلتهُ نقطًا على دينارِ
لا تعجبوا من طيب نشر اريجها أو ما ترون الندَّ وسط النارِ
في حبها لامَ العذول كأنهُ لم يدراني العبد وهي الشاري
مَهْ ياجهول فانني ملكٌ لها لا تزعمن اني من الاحرارِ
عاهدتها الأَّاخون عهودها حتى الممات ولست بالغدَّارِ
فاذهب عذولي بالسلامة واسترح يكفيك ما ابديت من اعذاري
واحفظ فؤادك من سهام لحاظها فالسهم ماضٍ والعدوُّ مبارِ

(اكليل الزهر)

عاينت لما ارتني فوق طرَّتها اكليل زهرٍ شذاه في الربى عبقا
كواكبًا فوق ليل تحتهُ قمرٌ علا نهارًا على غصن بدعص نقا

(القناع الازرق)

روحي الفداء لثغرٍ بكر رصَّعت ياقوتتاه بلؤلؤٍ صافٍ نقي
ارخت قناعًا كالسماء بلونهِ فرأيت بدرًا تحت غيمٍ ازرقِ

(عصابة الياقوت)

برزت ومن فوق الجبين عصابةٌ قدرُصّعت بالماس والياقوتِ
تزهو بثغر كالاقاح يزينهُ شهدٌ تناديهِ الحشى ياقوتي
فظننتها ملكاً سماوياً اتى للارض يفتن عالم الناسوتِ

(التاج والعقد)

تتوّجت واناطت عقد طاليتها فقلت اخطأتِ ياسمعي ويابصري
هل يلزم الصبح مصباحٌ ينوّرهُ اوهل تزين الدراري صفرة الدررِ

(طوق الكهربآء)

ادهش الرآءيَ جيد ساطع تحت طوقٍ لاح من فوق القبا
قلتُ اذ عاينتهُ مندهشاً ويكَ هذا النُوْر نور الكهربا

(الزجاج والماس)

همتُ ان اضغط النهدَين من لهفي
لكنني خبتُ سعياً من قوامٍ ماسْ
قال المشنّع ان تقبضهما أنكسرا
شأن الزجاج اجبتُ اخسأ فهذا ماسْ

(السلك البرقيّ)

تألّق جيدها من تحت عقدٍ اذا ما لاح قبل الصبح غرّكْ
فقلت لسائلي هل ذاك بدعٌ الم تسمع بسلك البرق عمركْ

(قيس ليلى)

وذات فرعٍ كعرف المسك نفحتهُ تخطو فترفع من اطرافهِ ذيلا
لا بدع ان صرت قيساً في محبتها ما دام تبرز لي من شَعرها ليلا

(التعنيف)

علامَ تلوم سلمى يا رقيبي رعاك الله ماذا انت باغي
اتقصد ان تعلّمها التجافي الهُ العدلِ يجزي كل باغي

(التوجيه)

وعبلةٍ من بني الريّان تحسبها اذا رنت او تثنى قدُّها عنترْ
اعطافها من بني طيٍّ وجبهتها من آل بدر وفوها من بني السكّرْ
بوجنةٍ من بني النعمان يألفها خالٌ كريم السجايا من بني العنبرْ

(الوداع)

ولما اعتنقنا للوداع عشيةً واصبح كلٌ حائر العقل مبهوتا
جرت ادمعي من فوق ساطع نحرها فقلّدت البلور درًّا وياقوتا

(الخضاب)

بروحي مهاة تقنص الليث في الشري بجفن ولحظ لا بقوس ونشابِ
تمدُّ الى الخدّين كفًّا مخضّبًا فتقطف وردًا من رياض بعنّاب

(الوشم)

لله معصم غادةٍ قد زانهُ وشمٌ بديعٌ محكم التطريزِ

عامود ماسٍ ساطع قد رصّعت اوساطهُ باحاسن الفيروزِ

(تحرير الرقّ)

يا افتن الناس الحاظاً اصلي دنفاً اضحى بجيش العنا يا قلبهُ مسلوك

ملكتِ رقي بثغرٍ راق مبسمهُ يا انكليزته الواحرّ روا المملوك (١)

﴿ الهوى العذري ﴾

بدت فجلت من افق طلعتها الحسنا فعوّذها الرآءي باسمائهِ الحسنى

تقول اذا حقّقت معنى جمالها جمال الورى لفظٌ وذا اللفظ والمعنى

لها قامةٌ كالسمهري غير انها لغير شغاف القلب لا تحسن الطعنا

والحاظ ريمٍ كلمتني بغمزها فراح كليم القلب يستمطر الجفنا

تميت وتحيي في الغرام غريمها فان بذلت عشنا وان بخلت متنا

تلوح نجوم الصبح من عقد جيدها فلله ما ابهى ولله ما اسنى

ظننّا بان الخمر والمسك ريقها وحقّقهُ الراوي فلم نخطئ الظنّا

تغيب الدراري الزُهر حين ابتسامها ويفرع ثغر الزّهر من حسد سنّا

هضيمة ما تحت الوشاح فخصرها نحيلٌ ولكن ردفها ثقّل الوزنا

كأنّ طلا تلك المراشف رنحت معاطفها حتى غدت ابدًا تثنى

اقام بلال الخال في الخدّ حافظاً بسطوتهِ ازهار روضتهِ الغنّا

فيا تعس من يهفو اليها فانهُ يذوق جنى الويلات من قبل ان يجنى

(١) لان امة الانكليز هي التي قامت بناصر الرقيق واغرت سائر الامم على الغاء الرقّ

تجيد بعقد الجيد عقد عهودنا على الودّ مادام الزمان ومادمنا
وتحسن اعراب الكلام وانما تعلّم اسحق النديم بهِ ألحنا
مليكة ظرفٍ ذات لطف تخالها اذا ما بدت تزهو بطالعها الاسنى
ان ألتفتت ظبيًا وان نظرت مها
وان سفرت بدرًا وان خطرت غصنا
تصدُّ فتغدو عن فؤاد محبها سهام المنايا قاب قوسين او ادنى
اذا جرّدت من الكحل الجفن باترًا
رايت فؤاد الصب اضحى لهُ جفنا
عفا الله عن قلب هفا لجمالها فصيّره القاضي براحتها رهنا
ولو كان باليسرى لاعقب عسرهُ متى غفلت يسرًا ولكنّ باليمنى
وخلّف جسمًا كالخيال وانما يزيد عليهِ بالحنين الى المغنى
اذا أنّ قال الناس فيهِ تعجبًا الا انّ ذا طيفٌ فأنّى اذا أنّا
رجال الهوى العذريّ عوجوا بنا وحيّ
وعودوا فتيّ مغرىً بخلّتكم مضنى
لقد شفّهُ حبُّ العذارى تتيّمًا فان قاطعت لبنى على اثرها لبنا
يُساقط من عينيهِ درّ دموعهِ تخالهما سحبًا وتحسبهُ مزنا
ويزفر من وجدٍ قديمٌ حديثهُ
فيبدي شواظًا يحرق الانس والجنّا

شكا طرفهُ جور السهاد ولم يكن ليسهد لولا سحر مقلتها الوسنى
المَّت بهِ البلوى صنوفاً عديدةً وأحسبها جاءت بهِ تُظهرُ الفنا
سقامٌ هيامٌ حسرةٌ لوعةٌ بكا عناءٌ شقاءٌ شقَّ صُمَّ الصفا حزنا
أأحبابنا حتَّامَ ذا الجور والجفا وحتَّامَ هذا الحسن لا يعرف الحسنى
حكمتم فجرتم واستطلتم بطولكم ولمتم وما لمنا وختم وما خنَّا
أضعتم عهود المصابة بيننا وملتم الى السلوى وكنتم لنا منا
واوسعتمُ الحسَّاد فينا شماتةً فيكفيكمُ ما كانَ عودوا لما كنَّا
وان كان واشٍ قد سعى فهو كاذبٌ وانَّا على تلك المحبة لا زلنا
وانَّا لنرعى سرَّكم ونصونهُ ولو انكم بحتم بما طالما ضنَّا
فجودوا أنصفوا منوا أعطفوا وتلطَّفوا فقد نالنا عصر المشيب وما نلنا

(عهد الحب)

قالت وقد رامت معاهدتي على دين الهوى والوجه منها بدر جوّ
اتحبني حتى تموت حقيقةً فاجبتها يافتنتي حتى ولوّ

(الاصطلاء)

من مجيبري من فتاةٍ كلما قلت اين الوصل قالت ما بقا
خالها الاسود في وجناتها م الخُمر اضحى لي عدوًّا ازرقا
يضرم النيران حتى يصطلي فاذا رمتُ دنوًّا احرقا

(لزوم ما لا يلزم)

حان الفراق فها يدي اعطيكها كيما تنال بلمس كفكِ روحا
ولو استطعت مددتُ قلبي قبلها لكن ابيتُ بان اريكِ قروحا

﴿ الصدود ﴾

من آخذٌ بيدي في عشق غانية قد غادرت مهجتي في صدّها عدما
لما بدا وجهها من تحت برقعها عذرتُ من كان قدماً يعبد الصنما
الله في كبدٍ حرّى قد التهبت شوقاً اليها وقلبٍ قد قضى سأما
ان انكرَت في الهوى عهدي مواربة اثبتهُ عند ربٍّ يحفظ الذمما

﴿ نكث العهد ﴾

حرّمتِ وصلكِ قسوةً وبخلتِ حتى في الحديث
انسيتني العدلَ القديم م بفرط ذا الجور الحديث
فيلوحُ انك قد اطعتِ م مفنّدي النذل الخبيث
او ما عرفتِ الطيّب العذب المذاق من الخبيث
من قال اني ميّتٌ حتى تحيّرت الوريث
لحباً لذي لؤمٍ سعى ما بيننا السعيَ الحثيث
اغراكِ حتى جفوتني وتبعتِ ظلّ فتىً حديث
بدّلتِ عضباً مرهفاً بحديد سيفكِ ذا الانيث
لا كان ذو ودٍّ يرو غ ولا يرقُّ لمستغيث

(جائزة الحب)

تقول اتتني في الصباح قصيدةٌ لقد وصفت حسناً يماثلهُ حسني
سأمنن ان أُخبرت ممن اتت على مؤلفها بالوصل قلت لها مني

(الذكرى)

عللوني بكؤوسي يانداى فالفضا سلَّ من الصبح حساما
واعيدوا ذكر سلمى فالصبا قد اتت تهدي الربى منها سلاما
كيف لا او لم تروا مجلسنا عبقت في جوفهِ ريح الخزامى
ذكرها نقلي واني دون نقـــلِ كهذا لم اذق عمري مداما
حلَّ في دين الهوى عشقي لها وغدا حب السوى عندي حراما
يارعى الله اوقاتاً مضت قربها تحت ظلال المنحنى ما
مذ تولَّت اصبح الصفو بعيـــني كدوراً وسنا الصبح ظلاما

(بلقيس العصر)

خطرت وانصار الجمال تحفُّها فكأنها في عصرها بلقيسُ
ودعت فؤادي للهوى فأطاعها مثل الحديد دعاهُ مغناطيسُ
سلطانة الحسن البديع ومُلكها بظبى اللحاظ مؤيَّد محروسُ
لا بدع ان ملكت رقاب بني الورى ما دام انسان العيون يسوسُ

(التورية في القسم)

قلتُ لما ان تثنت كقضيب الخيزرانِ

ماالذي يثنيكِ قالت ليس لي والله ثاني

﴿ عتاب واستغفار ﴾

﴿ وهي اول غزلية نظمها المؤلف وكان عمرهُ ١٦ عامًا ﴾

يالثغرٍ اشنبٍ حلو اللمى ألعس احوى بديع الابتسام
ريقهُ السلسل يحيي كل من مات من اهل التصابي والهيام
قرقفٌ راحٌ سلافٌ عاتكٌ قهوةٌ صهباءُ جريالٌ مدام
اين هذا من رحيق الثغر فهـ ـو حيوة الخلق من كل الانام
فيهِ سرٌ من يرُم تعريفهُ مات شيخًا دون ان يقضي المرام
يامهاتي حسنكِ الباهي لقد فضحَ الاقمار من تحت اللثام
وازدرى بالزَهر والزُهر الذوا هب في الافق جمالاً وانتظام
ليس بدعًا ان تريني عاشقًا شيقًا مضنىً شجيًا مستهام
ثغركِ الفضّاح لما لاح لي نورهُ الوضّاح وافاني الغرام
وجرى من حينهِ مثل دمي في عروقي وانتهى حتى العظام
كيف اسلو وسنا تلك الثنا يا تريني الصبح في كبد الظلام
وانا الصادي الذي ان رمت وِر دًا ثناني عنهُ من عين حسام
سيف لحظٍ قاطعٍ في غمده اين من يقوى على هذا الصدام
هو ميمٌ وانا صادٍ متى ألفًا نلتُ مرادي والسلام
فاطبقي جفنيكِ حينًا ريثما يرتوي من مصّهِ هذا الاوام

قبل ان يستحكم الداء العيـــاء الذي يفضي الى ورد الحمام
راقبي الله بامري وانصفي ففؤادي ذاب من فرط السقام
كنتُ في اهلي عزيزاً انما بعد وجدي حلّ بي ذال وُلام
لمتى هذا التجافي لمتى حسبنا ما تمّ يابدر التمام
ان حسبتِ الحبَّ ذنباً فجما لكِ احرى من سواهُ بالملام
قلت قولاً شططاً استغفر اللـــه هذا الحسن حاشا ان يلام
فاصفحي لي في كلا الحالين فالـصفح بعد الفوز من خلق الكرام
واسمحي بالوصل عنوان الرضا واجعليهِ بيننا حسن الختام

(الشفاعة)

ترفّقْ بحال الخال ياخدّ غادتي فقد صيّرتهُ نار غيظك اسودا
اهذا جزا من أمّ ركن مقامك الـبديع السنى عفوا لكي يتعبدا

(تصحيح الثغر)

رأيتُ بنحرها عقداً يحاكي كواكبَ طوّقت شمساً وصبحا
فراعيتُ النظير بدرّ دمعي وخطاً(١) الثغرُ حين تلاهُ صحّا(٢)

(١) وكتب (٢) صحّ . كلمة يوقعها كتّاب المولّدين في آخر ما يكتبون دليلاً على تنقيحهم الكتاب وتصحيحهم غلطهُ

(الطمع)

ادميت يالحظ الحبيبة مقلتي بغياً وقطّعت الحشى افلاذا
فاغضض جفونك عن فؤادي واقتنعْ ماذا تروم زيادة عن هذا

﴿ مفتاح المسرّة ﴾

بأبي هلالاً نلتقيهِ صباحا فنرى عليهِ من الظلام وشاحا
نظم الدراري والنجوم قلادةً حلّى بها جيدًا لهُ وضّاحا
يهتزُّ من خمر الدلال كأنهُ غصنٌ رطيبٌ ناوح الارياحا
لله جوهر جسمهِ ذاك الذي من لطفهِ قد مازج الارواحا
قد شفَّ حتى خلتهُ لصفائه لما تبدّى في الوشاح قراحا
كان العقيق شفاههُ فمدامنا ان عزَّ منها نجتلي الاقداحا
عوطبتُ منهُ خمرة ومن الذي قبلي ترشّف من عقيقٍ راحا
قسماً ببارق ثغرهِ وضيائهِ وجمال جيد خلتهُ مصباحا
اني ارى عذبًا لديَّ عذابهُ والموت في مرضاتهِ افراحا
احللتهُ قلبي الشجيَّ ومهجتي فسباهما مني وراح فراحا
قفل الحبيب عليَّ باب مسرّتي ومضى يقول ألا التمس مفتاحا

(السماء وجهنم)

ياللرجال رأيتُ في بيروتكم مرأىً ظفرت بهِ باعظم مغنمِ

عاينتُ وجهاً كالسماء بحسنهِ فغدوتُ من وجدي بهِ بجهنمِ

الالوان البسيطة (١)

خضرٌ سوابلها حمرٌ لواسبها

سودٌ سوالبها (٢) بيضٌ ثناياها

تسعى بصفراء (٣) كالدينار ان مُزجَت

في الشام فاحت بوادي الخيف (٤) ريّاها

﴿ التخيُّل ﴾

ما ذرَّ في الشرق صبحاً شارق الأُفقِ

الاَّ دعاني شريقُ العين للشَرَقِ

ولا نظرتُ بروقاً في الدجى لمعَت

قرب الأُبيرق الاَّ رحتُ ذا بَرَقِ

ولا بدت شارفٌ تزجى على شرفٍ

الاَّ واشرفتُ من دمعي على غرقِ

من لي ببكرٍ رداحٍ وجهها قمرٌ

اذا بدا عاد لي بعد الردى رمقي

(١) هي خمسة سوادٌ وبياضٌ وحمرة وصفرة وخضرة اما باقي الالوان فتتركب منها (٢) المراد بالسوابل السوالف وباللواسب الخدود وبالسوالب العيون وذلك على سبيل الاستعارة (٣) صفةٌ للخمر (٤) وادٍ في الحجاز

تطوف بالكاس للجلاس تحسبها
مرجومةً من عيون الناس بالباقِ(١)
تبدو نجوم الدجى في صبح طلعتها
زُهراً اذا ما حباها القيظ بالعرقِ
تفترُّ عن شنبٍ انعمْ بهِ شنباً
يريك عقد الدراري في طلا الشفقِ
لما تألّق في الظلماء وانكشفت
براقع الليل عن وجه الدجى الطلقِ
قال العواذل ذا فجرٌ ألا كذبوا
من اين للفجر ما للثغر من نسقِ
خودٌ اذا ما تبدّت في غدائرها
عاينت شمساً تردّت حلّة الغسقِ
حوريةٌ ما انتضت الحاظها قُضُباً
الاّ تكللت الهامات بالدرق
ولا تثنّت على دعصٍ ذوابلها
الاّ تتوّج فرق الليث بالفَرَقِ

(١) حجارةٌ باليمن شفّافة تضيء ما وراءها كالزجاج

علّقتها غادةً تتلو على كبدي
سبحان من خلق الانسان من علقِ
لها جبينٌ اذا ما لاح منفلقًا
سناهُ يتلو علينا سورة الفلقِ
بوجنةٍ كاريض الروض ناضرةٍ
او جنّةٍ يجتنيها الجفن بالحدقِ
يؤمّها الطَرْف ملتاحًا فتتحفهُ
زرًّا من الورد موضوعًا على طبقِ
ادنو اليها فتقصو وهي قائلةٌ
من يقرب النار لا ينجو من الحرقِ
ألم ترَ النجمَ لما هام بي فهوى
حرقتهُ فغدا خالاً على عنقي
ما زلت ازعم ان الراح ما برحت
تقصي الانام عن الاحزان والأرقِ
حتى جرعتُ رحيقًا من نواظرها
اصار قلبي فريحًا دائمَ القلقِ

مذهب دارون (١)

حاكت لنا اجفانها حلل الضنى خَوْدٌ جميع الخُود قد سجدت لها
زعموا بان المرء من قردٍ نشا كذبوا فهذي قد ترقّت من مها

(المسك في الزئبق)

حورآء قد فتنت بسحر لحاظها اهل العواصم والعراق وجلّقِ
يحكي سواد عيونها بياضهِ مسكًا تبلوَر في قرارة زئبقِ

(الاكتفآء)

حيّ الحيا حيًا بدت في سفحهِ خَودٌ لقد خلعَت بها الخُود الحيا
بانٌ يميس على كثيبٍ فوقهُ بدرٌ على صبح تقلّد بالضيا
ناديتُ اذ عاينتُ حال محبها رفقًا بهِ ياروح راحتهِ ويا

(فردوس النعيم)

يامن يفتّشُ في واذي الفرات على فردوس آدم حتى حلّ في تبريزْ
ان رمت تحظى بفردوس النعيم على آل تحقيق فاذهب الى باريز بالابريزْ

(١) رجل من علمآء الانكليز من مقتضى مذهبهِ ان الانسان نشأ مترقيًا من نوع من انواع القرود لا وجود لهُ الان . وهو مذهبٌ اشتهر كثيرًا هاتهِ الايام وتابعهُ عليهِ كثيرٌ من علماء الشرق والغرب والجدال فيهِ قائمٌ على قدم وساق . ولد هذا الرجل في مدينة شروسبيري في ١٢ شباط عام ١٨٠٩ وتوفي في لندن عام ١٨٨٢ م

(الاشكال)

يقولون أن النار تحرق من دنا اليها ولا تؤذي الذي يتجنبُ
فما بال قلبي كلما ضنَّ فاتني بوجنتهِ ذات اللظى يتلهبُ

﴿الرجاء في اليأس﴾

فؤادٌ ساكنوهُ مزَّقوهُ وحيٌّ نازلوهُ احرقوهُ
وصبٌّ اودعوهُ الغدرَ اضحي يجود بنفسهِ اذ غادروهُ
اقاموا في حشاهُ ومن تراهُ يصدّق انهم هم اتلفوهُ
أاحبابي وان اردوا وصحبي وان صدّوا قفوا لا تتركوهُ
فروحٌ للمنايا ودّعوها وجسمٌ للبلايا شيّعوهُ
وان رمتم بهِ خيرًا فلا تد فنوهُ في الثرى بل حنّطوهُ
عسى ان تعطفوا يومًا عليهِ فيحسن عندكم ان تنشروهُ
فان وجودهُ في القبر يقضي عليكمُ بالعنا فتجنّبوهُ
وان كنتم على سفرٍ فماذا يضرُّ اذا قضى وحملتموهُ
فان حملَتهُ راحلةٌ لديكم ولو من بعد ما اتلفتموهُ
يعود الى الحيوة بغير شكٍّ وينسى كلما اسلفتموهُ
وهذا جلُّ ما يرجوهُ منكم ومن رأيي لكم ان تفعلوهُ

(النجاشي وكسرى)

بأبي جفون نواظرٍ سبت النجاشيَ وهي كسرى
هلك الرماةُ بنبلها وهمُ صحاةٌ وهي سكرى

﴿الغرور﴾

قل لمن حاول جهلاً نظم اقوالٍ شجيَّهْ
دون ان يعطى لتوليد المعاني قابليَّهْ
نظمكَ الاوزان علماً ليس فيهِ من مزيَّهْ
لا يجيد الشعرَ الاَّ من لهُ الشعر سجيَّهْ
كم وكم من عالمٍ حبر جليٍّ الالمعيَّهْ
رام ان يقرض شعراً عاد مقروض اللحيَّهْ
كلما يصنع بالتكليف في الدنيا بليهْ
فاعلاتٌ فاعلاتٌ فاعلاتٌ فاعليهْ
كلماتٌ دون طعمٍ هي للسمع اذيهْ
تصدع الراس وتمني الناس بالحمّى الرديهْ
فاجتنب تحت قوافٍ من جبالٍ جندليهْ
واترك النظم لأربا ب الاساليب الطليهْ
من بهم تزهو المباني بالمعاني العسجديهْ
فاذا انشوا قصيداً اطربوا اهل البريهْ

وكسوا اهل التصابي بثياب سندسيَّهْ
وسقوا الارواح طرًّا صرف راحٍ بابليهْ
كشموسٍ في كؤوسٍ او عروسٍ عبقريهْ
نقَّطتها السبعة الافلاك بالزُهر المضيهْ
تنفخ الآذان لفظًا بشنوف لؤلؤيهْ
وتزيل السقم من جسمٍ عفاهُ حبُّ ميهْ
هكذا او لا فلا لا عند ذي النفس الابيهْ
ان شعرًا مثل هذا(١) معجزاتٌ نبويهْ
فاذا لم تحظَ منهُ بمقاماتٍ عليهْ
قم فودّعهُ ودعهُ انما الشعر عطيهْ

(الجمر والورد)

قبَّلت شعلة نار فوق وجنتها يابرْد تلك التي قبَّلتُ في كبدي
ونلتُ من ثغرها النَّمام عاطرهُ خمرًا تروَّق بين الجمرِ والبردِ

(لعب الجريد)

بروحي كاعبًا لاقيت منها صدودًا ما عليهِ من مزيد
يجولُ وشاحها من فوق درٍّ رطيب حشوهُ قلبٌ حديدي

(١) اي مثل المنعوت بالابيات السابقة

يعلّم جفنها لما يراني فوارسَ قومها لعب الجريدِ
لقد آلت على أن لا تصافي فهل هذا من الرأي الرشيدِ
نَفورٌ وهيَ حلٌ في فوادي فواويلي من الداني البعيدِ

(التلفيق)

صلني أياها جري ظلماً بلا سببٍ فان صبري وحق الحب فيك فني
زعمتَ اني سلوت الحب عن ملل هيهات اسلو ولو ادرجت في كفن

(الطوارق)

عيناءُ ما سلّت حسام لحاظها الاّ وحلت في الخلائق طارقه (١
حوريةٌ فتانةٌ ابداً ترى لقلوب من عاف المحبة طارقه (٢
هامت بهِ زُهر الكواكب صبوةً اوما تراها في الغياهب طارقة (٣

﴿ القصيدة الاكتفائية ﴾

افدي فماً كالمسك يعبق نفحهُ حاولتُ ان ادنو فالثمهُ فما
لفتاةِ حسنٍ آهُ من لفتاتها تلك التي تسبي النواظر كلما
خطَّ القضاءُ بوجهها لمحبها نعمْ الجمال أُخيَّ لكن بئسما
ياحبذا لو أنها تحنو على ملتاحها المضنى ولو يوماً كما
لكنها دون الملاح ولو قضى تلفاً معناها لما جادت بما
خودٌ تغازل لا لحسن تودّد لكن تري حباً وتُطمع ريثما

(١) داهية (٢) قارعةٌ اوضاربة (٣) طالعة

لهف الملا طرًّا على من يبتلى بغرامها فهو القتيل بربما
تسمو بادعج كالظلام جفونهُ ترنو فتفعل بالخلائق مثلما
سالت دموعي عندما فتهللت طربًا وخضبت الانامل عندما
ناديتها جودي والاَّ ذاهبٌ روحي فقالت لي ليذهب حيثما
صدقت فان الموت اوجب واجبٍ لفتىً يرى دُهم المصائب كيفما
ما النفع من هذي الحيوة وما الذي ارجوهُ من كل البرية بعد ما
والله لو انَّ الذي في مهجتي من ذا اللمى الوضاح في جبل لما
رفقًا أياسكني بما ابقيتِ من رمق أُمرهُ يحكي الخيال أَما أما
جعل الالهُ الحسن فيكِ مملَّكًا لكن ليعدل لا ليحكم حسبما
قد آن ان تذري العذول وشأنهُ فهو الكذوب بما افتراهُ وطالما
فتعطفي كرمًا ومني رحمةً قبل الفوات وقبل قولكِ ليتما

(الانكليز والهند)

سبتني فتاة الانكليز بناظرٍ أسال دموعي كالعقيق على خدّي
اذا قيل ذا سيفٌ من الهند جاوبت لقد صال سيف الانكليز على الهند

(القافية المزدوجة)

روحي الفداءُ لغادةٍ جبليةٍ
تعويجها الالفاظ اضعف حَوْلي (حالي)

قالت لخالٍ لاح في وجناتها

اتريد تخدم روضتي ياخولي (ياخالي)

(انسان العين)

كفاكَ كفاكَ ياانسان عينٍ سبت لبي على قتلي حريصُ
فما انا عنترٌ ساقي المنايا ولا انت الفتى الاسد الرهيصُ

(الايداع)

سبت لبي بلحظٍ بابليٍّ يريك سوادهُ حُمرَ المنايا
وثغرٍ راح ينشد كلَّ غادٍ انا ابن جلا وطلاَّع الثنايا(١)

(الخمرة)

أدِرْ وقت الصروف عليَّ صرفًا ايابن كرامنا بنت الكرومِ
فان الراح وسط الراح (٢) تقصي عن الارواح رائحة الهمومِ

(حبَّة القلب)

وغادةٍ مذ ارتنى فوق وجنتها خالاً غدا بلظى الخدَّين ملتهبا
توهم القلبُ ان الخال حبَّتهُ فراح يخفق في احشايَ مضطربا

﴿ المجون ﴾

ياليالي الانس عودي وابسمي لي ياسعودي

(١) هذا الشطر صدر بيت قديم وعجزهُ . متى اضع العمامة تعرفوني (٢) جمع راحة وهي باطن الكفّ

واشدُ لي يا ايها الشا دي على نغمات عودِ
واسقني الصهباء صرفًا من يد الظبي الشرودِ
احور الطرف غريرٌ العس الثغر البرودِ
ان رأى عين مهاتي قال ياسودا سودي
غادةٌ قد غادرتني بلظى تلك الخدودِ
اعبد النور اذا ما ضاء من ذات الوقودِ
كمجوسيٍّ قديمٍ قام في عصر اليهودِ
بر بابٍ ذبت وجدًا تلك في الدنيا وجودي
ظبيةٌ ترعى نبات القلب لا نبت زرودِ
تفضح البدرَ بوجهٍ وسنا الصبح بجيدِ
فتنتني بلحاظٍ هنَّ في قتلي شهودي
وسبتني بقوامٍ شبه خطيٍّ مديدِ
جلنار الخدّ نارٌ أُضرمت بين ورودِ
وبريق الثغر برقٌ قد هداني للورودِ
فتنة الناس رباب ربّةُ الحسن الفريدِ
هيَ دنيايَ وديني معبدي ركن سجودي
ان تعشقتُ سواها لعن الله جدودي

الجيد العاطل (١)

لما رأت خدّيَّ منها اضحيا بحريْ دموع ليس يلتقيانِ
قالت ايبقى عاطلاً جيدي وفي بحريك كنز الدرّ والمرجانِ

(اخذ الثار)

دبّت عقارب صدغيها على مهلٍ
من فوق خدٍّ شوى احشايَ بالنارِ
فقلتُ من حنقٍ للصدغ منتقماً
بالله ياصدغ خذ لي منهُ بالثارِ

(الدعوى الباطلة)

يامن قد اتّهمت قلبي بسلوتها مع انهُ بهيامي يضرَب المثلُ
انّي انافق في دين الغرام ومن لحاظكِ الدعج قد جاءَ النبيَ الرسلُ

(الجوهر والعرَض)

عرَض العوارض مذ بدا بجواهر الـ ـوجنات زال بها اليها وتغيّرا
ولذاك رحتُ أعارض العلماءَ اذ اثبتهُ عرَضاً بزيل الجوهـرا

(التورية في الاكتفاء)

يارَبَّ خدنٍ قال لي لما رأى دمعي هملْ
حتّامَ تكتمُ عن خليلك ما بقلبك من دَخلْ

(١) الذي لا حليَ لهُ

فلسوف اسأل من بهِ السخبر الصحيح قد اتصلْ
سلمى التي فتنتكَ ام ليلى الخبائث قلتُ سلْ(١)

(درب الحديد)

اتيتُ مودّعًا سلمى بقصد التجوّل بين مصرَ وبور سعيدِ (٢)
فقالت اين تقصد قلتُ قطرًا دعاهُ الناس بالقطر السعيدِ
لعلّ سعودهُ تعدي(٣) شقيًا اضعتِ صباهُ بالهجر المزيدِ
فيحظى بعد عودتهِ بوصلٍ يراهُ الان كالنجم البعيدِ
فقالت لي اهذا اليوم تمضي اجبت نعم بمركبة البريدِ
فقالت سرْ ولكن في فؤادي فقلت لها اذن درّبي حديدي(٤)

(١) امرٌ من سأل وهي جواب لقوله في البيت السابق ﴿ فلسوف اسأل ﴾ ومقتطعةٌ اكتفاء من سلمى وهي ايضًا جواب لقوله في البيت الآخير ﴿ سلمى التي الخ ﴾ وهذا وجه التورية كما لا يخفى على من زاول هذا الفنّ
(٢) بلدة من ارياف مصر واقعةٌ عند ملتقى ترعة السويس ببحر الروم يقيم بها كثيرٌ من الاوروبيين . كانت في بدأ بها قرية حقيرة ولكنها في زمن شق الترعة اخذت في النماء حتى بلغ عدد سكانها عام ١٨٦٥ م ١٤ الف نسمة
(٣) من العدوى (٤) اول درب حديديّ أُنشيء في العالم انما هو درب (هاويت هافن) في انكلترا وذلك عام ١٧٢٨ واعظم سكة وضعت بعدُ كانت في (كلبروك دال) عام ١٧٨٦ ثم كان اطول السكك واكثرها اتقانًا سكة (ليفربول) و (منشستر) بدئ بها عام ١٨٢٦ وانتهت سنة ١٨٣٠ واول رتل (مفرد ارتال وهي العواجل التي تسافر على السكة)

﴿ غصّة الوداع ﴾

(وقد أُودعَت بعض اعجاز من رائية المتنبي المشهورة ١)

أبارق ايماضٍ تألّق ام ثغرُ ... وذا خوط باناتٍ تأوّد ام خصرُ
وهذي نهودٌ ام درارٍ يريكها ... نهارٌ وذا صبحٌ تبلج ام نحرُ
وذلك ردفٌ في الغلالة ام نقا ... ترجرج ام نهرٌ تموّج ام بحرُ
وذي طلعةٌ تحت القناع ام الضحى (٢) ... بدت فعلاها من غيوم السما سترُ
وتلك فروعٌ تحت تاجٍ ام الدُجى ... سجى فبدا في افق حندسهِ البدرُ
وتي كاعبٌ انسيةٌ ام غزالةٌ ... كناسيةٌ لا ما لبنت الربى خدرُ
أما وعيونٍ ساحراتٍ ووجنةٍ ... تألّف في صفحاتها الماء والجمرُ
ولعس شفاهٍ حلّ في شرع صبوتي ... لآل الهوى ترشافهنّ ولا كفرُ
وثغرٍ حوى ماء الحيوة فلو حبت ... بهِ من طوتهُ الارض عاجلهُ النشرُ
لقد برّح البين المبرّح بالحشى ... بفكري فما ودّعتها ومعي فكرُ
واتلفني يوم النوى نوه ادمعي ... ونُوح نواحٍ ليس يتلفهُ غمرُ
فرحتُ ولي جفنٌ قريحٌ ومهجةٌ ... عناها الأسى والسهد والبؤس والضرُ
ونار فؤادٍ يحرق الجمرَ جمرها ... وبحر دموعٍ ضاع في بعضهِ البحرُ

سافر على الدرب الحديديّ قطع ستة اميال في الساعة وكان اسمهُ الناقل اما الان فيقطع سبعين ميلاً ونيّف في الساعة ونفقتهُ من الفحم الحجري الان تكاد لا تتجاوز خمس نفقتهِ قبلاً . وفضل هذا الاختراع الذي يعدُّ من معجزات التمدن الغربيّ معزوٌّ الى ﴿ جورج وروبرت ستيفانسون ﴾ من انكلترا

(١) هي التي يقول في مطلعها

أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدهرُ ... وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ

(٢) الشمس

بروحي ومالي غادة قد تركتها ... تقول أمات الموت ام ذُعر الذُعرُ
وسرت على رغم الفؤاد كأنّ لي ... سوى مهجتي او كان لي عندها وترُ
واصبحتُ اطوي كل قاعٍ وفدفدٍ ... وحيدًا وما قولي كذا ومعي الصبرُ
تصافحني عند الوداع ودمعها ... سحابٌ على كل السحاب له فخرُ
تقول حبيبي هل لفرقتنا لقًا ... وهل انّ هذا الطيّ بعقبهُ نشرُ
وهل انني يومًا اراك قُبيل ان ... يراني الردى لاطاب لي بعدك العمرُ
وهى جلدي ضاق اصطباري وحيلتي ... عفا جسدي ضاع احتمالي فشا السرُّ
لحى الله دهرًا صبّر البين بيننا ... رقيبًا قريبًا حيث شيمتهُ الغدرُ
ظلومٌ فتوكٌ قاهرٌ ذو بسالةٍ ... ترى الناس قلاً حولهُ وهمُ كثرُ
تحكّم فينا واستطال كأنّهُ ... مليكٌ لهُ دون السوى النهي والامرُ
فيا ربِّ الّف شملنا حنف انفهِ ... سريعًا والاّ فالمنيّة والقبرُ

(الكحل)

قالوا قد اكتحلت ليلى فقلتُ لهم
الا أقصروا ان هذا مشحذ(١) البصرِ
كلّت لواحظها من عظم ما فتكت
فاشحذتها ليفنى سائر البشرِ

(١) المشحذ المسنّ ويقال لهُ حجر الشحذ قال بعضهم
أيا حجر الشحذ حتى متى ... تسنّ الحديد ولا تقطعُ

(العذار)

بأبي عذارًا خلتهُ لما بعارضهِ استدارْ
ريحانةً نبتت بجا نب روضةٍ من جلنارْ

﴿قتيل الحب﴾

(وهي آخر غزلية نظمها)

حفظتُ لكم عهد الولاء فخنتمُ وملتُ الى حسن الوفاء فملتمُ
وكنتُ لكم رضوى وكنتم فلكها وبالبنكم مع كل هذا رضيتمُ
علقت بكم طفلاً حديثٌ فطامهُ فعلّقتموني بالسهى وسهوتمُ
سليتُ ولم ابغِ السلوّ وانكم بغيتم على مضنىً سلا فسلوتمُ
ملكتم فؤادي واستبحتم هلاكهُ ففي ايّ شرع يارفاق استبحتمُ
منعتم جفوني ان تنام فأصبحت عيوني رقيبي منكمُ وعليكمُ
انستُ بذكراكم فلم انسَ طيبها واعجب شيء انكم قد نسيتمُ
حكمتم بهجري واحنكمتم بهجرتي وغادرتموني للأسى وغدرتمُ
حطمتمُ ركني اذ خفرتمُ ذمّتي خصيمكمُ عني الحطيم وزمزمُ
سلبتم شعوري اذ سبلتم شعوركم فها انا ذا المجنون مما جنيتمُ
فطمتُ عن الأغيار نفسي تحبّبًا فأرضعتموني الصبر والصبر علقمُ
اطلتم بعادي والحيوة قصيرةٌ واعمار اهل العشق جمعٌ مقسّمُ
رددتمُ طرفي عنكمُ وهو شاهدٌ عليكم بما في جرح قلبي اجترحتمُ

تجنّبتمُ المفتون بعد افتتانهِ تجنّيتمُ ياقوم ماذا أجنيتمُ
حلفتم باني لن ازال صفيّكم ولكنكم عما قليلٍ حنثتمُ
هززتم قدوداً وانتضيتم لواحظاً ولم يكُ غيري في النزال وكنتمُ
فللهِ ارماحاً ولله اسيفاً تميت ولكن ميتها يتكلمُ
لكم معجزات الانبياء وانما تخلّف عنكم عدلهم فظلمتمُ
عزمتم على ان لا تجودوا بوصلكم لقد ساء يااهل الجفا ما زعمتمُ
فلي شافعٌ فوق الخدود مشفّعٌ هو الحال من حيث القرابة يرغمُ
وان لم تبالوا فالمعاطف شانها الستعطف ماذا ضرّكم لو عطفتمُ
لقد تعبت ما بيننا بعد بيننا على الصلح صلاّحٌ وانتمُ انتمُ
فمنوا انصفوا جودوا الطفوا وتعطفوا صلوا راقبوا الخلاّق في الامر واحكموا
وان قلتمُ ذا عيسويٌّ فانني وحق هواكم في المحبة مسلمُ (١)
وعهدي بمن بالطوع يسلم راضياً بما يحكم الاسلام لا شك يسلمُ
وان لم يكن في قلبكم نحو عبدكم صُبابة عطفٍ فالصَبابة تعدمُ
فخطوا على قبري كبين ابن مقلةٍ ألا أن هذا الميت عان متيم

٦٩٦ ١١٠ ٣١٢ ١٤٠ ٥٣ ٥٧٠
سنة ١٨٨١

٤٣ ٥١ ٧٠٦ ٤٨١ ١٣١ ٤٩٠
سنة ١٨٨١

(١) من قولهم أسلم الرجل اي انقاد

(الاقداح والاحداق)

قامت تدير الطلا من فوق ساقيةٍ هيفاءَ ساقيةٌ ترنو بناظرها
رحيق اقداحها في قلب شاربهِ حريق احداقها في قلب ناظرها

(المواربة)

وقالوا علمنا ياسليم بما جرى
فقلت جرى دمعٌ لقد غرّق الثرى
فقالوا سلوت الحبَّ بعد بعادنا
فقلتُ نعم حب التلذُّذ بالكرى

(التبكيت)

ألا ياقلب ودّعني ودعني فقد البستني ثوب الفضائحْ
أتشكو من جراح لحاظ سلمى بلا خجلٍ وانت من الجوارحْ (١

(تكرار المعنى)

اياقلب قل لي كيف صرت جريحها
غزالة خدرٍ في المنازل سانحهْ

(١) جمع جارحة وهي ما يصيد من السباع والطير . والجوارح اعضاء الانسان ايضاً . قال عنترة

ولكن قتيلاً تدرج الطير حوله ونشرب غربان الفلا من جوارحي

وقد أتى البيت نوريةً على المعنيين فتأمل

عدمتكَ من قلبٍ جبانٍ مقتّلِ
اتصبح مجروحًا واسمكَ جارحه

﴿ دهشة الصب ﴾

(اودعها الناظم رواية ألفها عام ١٨٨٠)

ولج الغرامُ شغاف قلبيَ بغتةً من دون اذني يا رفاق وما اختشى
سكن الفؤاد كأنهُ ارثٌ لهُ عن والديهِ وذا الذي قد أدهشا
نارِ الغرام تأججت في مهجتي ياقوم هذي النار لكن ما العشا
جفت جفوني والعيون تقرّحت حزنًا وها قد كدت اصبح أعمشا
ياحسرتي ضاع الزمان ولم اجد يومًا حبيبيَ نحو مرتبعي مشى
حبُّ الملاح اصارني احدوثةً ياويح خالٍ بالملاح تحرّشا
عش ياخليُّ كما تشاءُ وليتني اسطيع مثلك ان اعيش كما اشا
قد كنت لا ارضى الكواكب مقعدًا والبوم ترضيني السباسب مفرشا
آهٌ وما آهٌ بنافع مهجتي نبت المصاب بها اسنطال وعرّشا
حتامَ اكتم لوعتي وصبابتي والغير يبدي وجدهُ دون اختشا
يادعد دومي للعهود اليفةً ودعي العذول يقول فينا مايشا
لاتسمعي قول الوشاة وما افتروا كذب ابن فاعلةٍ بخلّتنا وشى
بوم البلاء اقام بين اضالعي يادعد حولاً باض فيهِ وعشّشا
امشي بقرب حماكِ يابدر الدجى عليَّ اصيب نسيمَ عرفٍ منعشا

اطفي بهِ جمرًا يؤجّجهُ الجوى جمرٌ شوى مني الحشاشة والحشا
عهدي بسرّي في الفؤاد مكتّمًا عجبي امن لفظ المدامع قد فشا

(الزعم الفاسد)

ياغائبين زعمتمُ انّا لعهدكمُ نخونْ
مهلاً فان غرامنا قد زاد عما تعلمونْ

(العقيق والبهار)

منع الوداع من الرقيب فاومأت بلحاظها الدعجاء يوم فراقها
فجرى العقيق على البهار مغرّقًا في عارضي نبت العذار فراقها

(الورد الغضيض)

رقبيَ لما رأى بخدودكِ وردًا غضيضًا قريب القطوفْ
وشامَ سيوف لحاظكِ نادى ألا جنة تحت ظلال السيوفْ

(الامتياز)

حار خلي اذ رأى محبوبتي تزدري حسنًا نساء العالمينْ
ليس يدري انها من كوثرٍ وجميع الناس من ماءٍ مهينْ

﴿ حكاية الوجد ﴾

(وهي ايضًا من منظومات روايتهِ المشار اليها في صحيفة ٢٣)

ذاب قلبي في هوى هندَ التي من سناها البدرُ في الافق اكتسبْ

غادةٌ قد جمعَ الضدّانِ في خدّها الورديّ ماءٌ ولهَبْ
فرعها ليلٌ بدا من فرقهِ خيط صبحٍ يالهذا من عجَبْ
قدُّها الخيزور لما ماس في ثوبها الديجور ناديتُ الحرَبْ
غصن بانٍ في كثيبٍ مسّهُ نسَمُ الصبح هيامًا فاضطرَبْ
زانها ثغرٌ رطيبٌ اشنبٌ ألعسٌ الى عقيقيّ النسَبْ
لستُ ادري لؤلؤٌ ام بردٌ ام جمانٌ ام اقاح ام حبَبْ
جمرةٌ ريقتها ام خمرةٌ مزّةٌ (١) ام هي ضربٌ من ضرَبْ (٢)
هي جمرٌ هي خمرٌ سلسلٌ هيَ شهدٌ يا ابن ودّي مستحبْ
ما لهندٍ يالقومي مثلٌ في الورى ما بين عجمٍ وعرَبْ
فتنةٌ قد اعجزَتْ عن وصفها كلَّ من في كرة الارض كتبْ
بابي ناظرها الجاني الذي ان رنا اضنى وان الوى عطبْ
صحتي في سقمهِ قد تلفت اذ بنومي ناعس الطرف ذهبْ
بلبلَت بالي وأبدت لوعتي شغلت لبي وأولتني التعبْ
أوهنت عزمي اماتت جلدي ملكت عقلي ومالي والنشبْ
غادرتني طائرًا في قفصٍ ليس لي منهُ سبيلٌ للهرَبْ
رشقتني بنبالٍ كلمتني (٣) لما كلمتني بغضبْ
كدت اقضي من هيامي عندما غاب ذاك الوجه عني واحتجبْ

(١) لذيذة الطعم (٢) من اسماء العسل (٣) جرحتني

هيَ روحي راحتي راحي ضيا مقلتي انسي اذا اشتدَّ الكَرَبْ
هيَ قصدي بغيتي غنمي غنى مهجتي اقصى مرادي والطلبْ
لست اسلو حبَّ هندٍ يا اخا الـ ـعذل فاترك عنك لومي والعتبْ
دائرٌ في جسدي مثل دمي حبها يغذي عروقي والعصبْ
بعد موتي ستنادي اعظمي بودادي تحت اطباق التربْ

(الحبُّ الافلاطوني)

يامن تطارحني الحديث مدبجًا حِكمًا زهت كاللؤلؤ المكنونِ
قد فقتِ افلاطون فلسفةً لذا اضحى غرامي فيكِ افلاطوني(١)

الصبوح (٢)

قمْ نبِّه القوم الرقودَ منادمي فالليل ولّى والظلام تزحزحا
او ما ترى الصبح المنير مقلّدًا بالنجم اقبل حاملاً شمس الضحى(٣)

(١) الغرام الافلاطوني الخليُّ من الدعارة والفحش وهو المعروف عند العرب بالهوى العذريّ (نسبةً الى بني عذرة وهي قبيلةٌ ما عشق رجلٌ منها الاَّ عفَّ فمات) نسبهُ الافرنج الى افلاطون الفيلسوف اليوناني لانهُ هو الذي فرَّق بين الحب الطاهر والحب الفاسد بعد اذ كان قدماء اليونان قد الّهوا الحب الذي سموهُ (ايروس) وجعلوهُ مع تقادم الايام كنايةً عن الزنى والفسق

(٢) شرب الخمر صباحًا ونقيضهُ الغبوق (٣) يريد بالصبح المحبوبة وبالنجم قلادتها وبالشمس الخمر

﴿دار الدرب﴾

بدار الدرب (١) لي ياقوم يومٌ يساوي في الحقيقة الف عامِ
فجوٌ مشرقٌ وهوا عليلٌ ودوحٌ وارقٌ وغنا حمامِ
وصوت النهر شرقَ الروض يحكي حنين النوق ايام الفطامِ
ووجهُ غزالة الاصباح بادٍ يحيّينا بثغر ذي ابتسامِ
وانواعٌ من الريحان شتّى وازهارٌ تلوح من الكمامِ
فمن وردٍ ونسرينٍ وآسٍ وسوسانٍ بدا بين الخزامِ
واقداحٌ من الاسفنط (٢) تجلى يريك حبابها نجماً بجامِ
معتقةٌ شموسٌ من شذاها دري الشمّاس عام ولادحامِ (٣)
وفاكهةٌ منوّعةٌ ونقلٌ واصنافٌ تلذّ من الطعامِ
وياقوت الشقيق على نبات الـــزبرجد ساطع اللألاء دامِ
وماس جداول الامواه طافٍ على درٍّ من الحصباء طامِ
وشحرور السياج يزيد صدحاً لرنّة عودنا الغرد البغامي (٤)
وقمـريٌّ يناوح عندليباً وكركيٌّ يزفّ مع اليمامِ

(١) جنّةٌ من جنان دمشق مهيأةٌ لخلات الانس (٢) اعلى الخمر واجودها قيل

أمن لحظهِ او لفظهِ او رضابهِ سكرتُ ألا انّ الثلثة اسفنطُ

(٣) من اولاد نوح . والولاد مثل الولادة معنى . يريد ان الشماس عرف تاريخ مولد حام بمجرد شمّ رائحة تلك الخمر (٤) يقال بغمت الظبية اذا صاحت الى خشفها بأرخم ما يكون من صوتها

وآلافٌ من العصفور تبدي على الصفصاف شدو المستهامِ
برزنَ بهِ الغواني سافراتٍ محيّاهنَّ كالبدر التمامِ
ظباءٌ مسارح بيضات خدرٍ (١) خمائل روضةٍ ودُمى (٢) خيامِ
كأنَّ نهودهنَّ حقاق (٣) عاجٍ بدت من وسط تمثالٍ رخامي
مرحنَ وما حرمنَ الصبَّ انساً وتلعاباً يعيد العمر نامي
شهدتُ بهِ وقائع ادهشتني وزادت لوعتي وجوى هيامي
تعانق تلك ذي وتضمُّ هذي خدينتها بوجدٍ والتزامِ
وتلثم عبلةٌ وجنات هندٍ وترشف ميةٌ شفتي حذامِ (٤)
وتهصر (٥) عاتكٌ اعطاف سلمى وتلقم عزةٌ نهدَي عصامِ (٦)

(١) بيضة الخدر جاريته (٢) جمع دمية . وهي الصورة المنقشة المزينة او هي الصورة من الرخام او العاج يضرب بها المثل في الحسن (٣) جمع حقة وهي وعاء معروف يتخذ للطيب ونحوه (٤) مبنيةٌ على الكسر . من اعلام النساء وبه لقبت زرقاء اليمامة التي قيل فيها

اذا قالت حذام فصدّقوها فان القول ما قالت حذام.

ولهذا البيت قصةٌ نضرب عن ذكرها لشهرتها (٥) جذبتها واما لتها وثنتها اليها (٦) من اعلام النساء ايضاً وعليهِ قولهم في المثل (ما ورآءَكِ ياعصام) قيل اصلهُ ان الحرث بن عمرو ملك كندة نبي اليهِ ان عوف بنت محلم آيةٌ في الجمال فبعث بامرأة من كندة تدعى عصام لتنظر اليها فمكنتها امها من مرآها ولما عادت قال لها الحرث مستخبراً ما ورآءَكِ ياعصام فذهب قولهُ مثلاً في الاستخبار

يهنّد (١) بعضهنّ البعض دلاً كناهدةٍ تميل الى غلامِ
باحداقٍ سكارى ناعساتٍ واجفان تنوب عن السهامِ
والفاظ تدلّهُ كلّ قسٍّ وتستهوي الامام ابن الامامِ
وغنّةِ منطقٍ غردٍ يعيد الحياة الى الرميم من العظامِ
فكنتُ كأنني في روض عدنٍ وحولي الحورُ ربّات الخيامِ (٢)
تزفّ عليّ بنت الدنّ بكراً باكوابٍ واقداحٍ ضخامِ
على نغم المثالث والمثاني وتسجيع البلابل والحمامِ
فمن يبغي نوال نعيم ربي عليهِ ان يقوم كذا المقامِ

(الغدير)

وغديرٍ وسط روضٍ خيلَ اذ طاف وعربدْ
ذوب ماسٍ سال دفقاً فوق مرجٍ من زبرجدْ

(الاعناب)

وذات ثغرٍ بهِ بنت الكروم غدت تصيح هيّا اياعشاق واعتبقوا
كأنما اللؤلؤ المكنون في فمها نجم تنضد عقداً سمطهُ الشفقُ (٣)

(١) يقال هندت المرأة فلاناً اي اورثتهُ عشقاً بالملاطفة والدلّ والتغنج
(٢) من قولهِ في سورة الواقعة (حورٌ مقصوراتٌ في الخيام) اي محبوسات
(٣) يريد بالسمط (وهو خيط العقد) لثة الاسنان

﴿ الانسجام ﴾

لكِ يامليحة في الفؤاد خباء ... يدعى السماء وانتِ فيهِ ذكاء (١
فلأن بعدتِ فان شخصكِ حاضرٌ ... فالبعد عندي واللقاء سواء
حنَّامَ يعذلني بحبكِ عاذلٌ ... ان لاح صبحٌ قال ذاك مساء
واذا تلطَّف بالخطاب لهُ أمرٌ ... نادى أُمثلي بالجواب يساء
في اذنهِ صممٌ عن الحسنى وفي ... عينيهِ عن نظر الجميل عماء
والامَ قلبي بالغرام معذَّبٌ ... يشكو الظماء وانت فيهِ الماء
عطفاً على دنفٍ تكاد لسقمهِ ... الاَّ تراه المقلة النجلاء
تذكو بهِ نارٌ يزيد ضرامها ... عكس اللظى اذ تهطل الانواء
فلو استعار الجمر من زفراتها ... لهباً لكادت تحرق الدنيا (٢)
ينهلُّ وَبل الويل من اجفانهِ ... لكنهُ عوض الدموع دماء
قد ضاق ذرعاً في الغرام وطالما ... كان الرحيب وضاقت البيداء
عجبي بهِ يشكو السقام وانهُ ... كالطيف لا جسمٌ ولا اعضاء
حاكى الهلال وكان بدراً كاملاً ... وكذا البدور يشوبها الاخفاء
يرضيه منكِ الطيف في سنة الكرى ... لو كان للاجفان منهُ غفاء
ما ضرَّ حسنكِ لو سمحتِ بزورة ... يجد الدواء بها فيشفى الداء
لهفي عليهِ متيَّماً اضحى على ... خطرٍ وقلبكِ صخرةٌ صمَّاء

(١) من اسماء الشمس (٢) اصلها بالقصر مدَّت ضرورة

سلَبَ الفوى منهُ صدود خريدةٍ تبدو فترنو نحوها الحربآ
نجديَّة الارداف ضامرة الحشى غرّى الوشاح صبيحةٌ زهراآ
هيفآ تخطر كالوشيج بقامةٍ تعلو عليها طلعةٌ غرّآ
خودٌ اذا لعب الدلال بعطفها رقصت على اوراقها(١) الورقآ(٢)
او انها سفرَتْ بليلٍ فاحمٍ شاهدتَ صبحًا عمَّهُ الاضواآ
في جفنها مرضٌ بهِ مرضُ الورى طرًّا وعزَّ على الجميع شفآ
تفترُّ عن ثغرٍ بديع زانهُ فلجٌ يروق ولثةٌ شنباآ
حاكت بنهدَيها وصفحة صدرها لما بدا من فوقهنَّ قباآ
كُرَتي لجينٍ فوق ماسٍ فيهما ياقوتتانِ عليهما اللألآ
تفديكِ من دون النساء حشاشتي يامن لها كل الانام فدآ
ياشمس بل يا بدر بل ياصبح بل يامن لديها كل ذاك هباآ
ياجنَّة العينين ياصقر الحشى يامن هي السرّاء والضرّآ
مني ارفقي حني اشفقي جودي اعطفي هيّ انصفي من كلهِ ادواآ(٣)
واحيي قتيلاً منكِ يطلب حقهُ يومًا بهِ يتحاسب الخصماآ

(الهداية)

قال لي الخال الذي في خدّها اذ رآني في دجى الشعر ضليلْ

(١) يريد اوراق دوحها (٢) الحمامة (٣) جمع داء

ان شكوت الظمء ياساري فجج نحو هذا الروض تلق السلسبيلا (١

(التوهم)

ان التي ظننوا انامل كفها مخضوبة اذ حاكت العنابا
سفكت دمي فبدا على اطرافها أثر توهمه الجهول خضابا

﴿ النرد ﴾

او

﴿ خسران الرابح ﴾

(وقد اودعها الناظم واقعة جرت له مع احدى سيدات الافرنج)

بدت لنا من بنات العجم سيدة قد ادهشت بسجايا لطفها العربا
بديعة اللفظ يبدي نطقها حكما تغنيك عن كل من املى ومن كتبا
يزينها حسن تهذيب ومعرفة وفيض علم وفضل يبهر الادبا
ان زين الدر اعناق النساء ففي اقوالها ما يعيد الدر مخشلبا (٢)
صحيحة الوعد ان قالت لسائلها امنتك النار تأمنه متى طلبا
قامت الى النرد والاعطاف مائسة تقول قم لنرى هل تحسن اللعبا

(١) الخمر واسم عين ماء في الجنة وعليه في سورة الانسان (عينا فيها تسمى سلسبيلا) وهو ايضا الماء السهل المساغ . وقد يراد به الريق مجازا . واللفظة في البيت تحتمل تورية جميع هذه المعاني كما رأيت (٢) الخزف او قطع الزجاج المتكسر (٣) اداة لهو تعرف عند العامة بالطاولة

لأُعطينَّك ما تصبو اليهِ اذا غلبتني فضةً ان شئت او ذهبا
فرحتُ العبُ والالحاظ تلعب في لبِّ غدا بضرام الوجد ملتهبا
غلبتها اربعًا من دون فاصلةٍ صيَّرن اجفانها من غيظها سحُبا
فلاح من حنقٍ جمرٌ بوجنتها وزاد في وجهها لألآؤها غضبا
قالت متى سبق الأوعال سابحةً (١) فيارجال النهى قوموا انظروا العجبا
لاريب انك محتالٌ سرقتَ ومن يحتال لا عجبٌ ياقوم ان غلبا
لم يكفها انها لم تعطني طلبي كوعدها بل دعتني سارقًا كذبا
حتى دعت مهجتي مُلكًا لها وكذا كل امرءٍ يرتجي من غادةٍ اربا
نصحتكم يارجال العُرْب قاطبةً من عامَل الغيد اضحى ربحهُ حربا

(التركيب)

وشادنٍ يسلب الالباب ناظرهُ ويسكر الصبَّ ان دارت اباريقُهْ
سألتهُ نهلةً من وِرد مبسمهِ فقال لي وَرد خدَّيهِ ابي ريقهْ

(الاختراع)

بعدًا لشيخٍ فاسقٍ عاتبتهُ بالسرّ اذ عاينتهُ يتصابى

(١) هي الفرس السريعة لسبحها بيديها في سيرها . وفي البيت اشارة لقول الشاعر

وهل تحسن الاوعال جريًا على الثرى اذا ما جرت فيهِ السلاهبة الجردُ

فأجابني واللحظ من اجفانهِ ابدًا يغازل عبردًا وكعابا
لما بدا هذا المشيب بعارضي ولقيتُ منهُ دواهيًا ومصابا
احببت اخفي قبحهُ عن ناظري فجعلت سُود المنكرات خضابا

(الاستخدام مع التورية)

تقول أفتخارًا والعيون كانها عيون(١) تراعي ورد وجنتها الجوري
الى ناظري تعزى السيوف وقد روى على ثقةٍ هذه الحكاية عن حورٍ (عنحوري)

(الكل ماضٍ)

فرت بحسامها الماضي(٢) فؤادي فراح دمي يسيل على الاراضي
فقيل لها مضى في جور ماضٍ اجابتهم نعم الكلُّ ماضٍ

(المملوك والجارية)

ولم انسَ اذ قالت سليبي اماترى دموعيَ من جور الوصائف جاريهْ
فقلت ارتضين الزنوج وصائفًا وقلبيَ مملوكٌ وعينيَ جاريهْ

﴿ المملوك المالك ﴾

(في مليح اسمهُ يوسف وقد اقترح عليهِ)

ايامالكًا رقي برقةِ خصرهِ بغير جوازٍ راقب الله واحتسبْ
انت الذي باعوهُ اخوة يوسفٍ وجاءوا على اثوابهِ بدم كذبْ(٤)

(١) جواسيس ورقباء (٢) المراد بهِ لحظها (٣) جمع وصيفة وهي الخادمة (٤) من قولهِ في سورة يوسف (وجاءوا على قميصهِ بدمٍ كذبٍ)

﴿ يمين المفتون ﴾

قسماً بحبّاها الأقمرْ وبصبح مقلّدها الأزهرْ
وبواو مصادغها المرقو م بمسك ذوائبها الازفرْ
وبحبيهتها وبغرّتها وبهدبيْ (١) ناظرها الاحورْ
وبسين سوالفها المفتو ن بنون (٢) حواجبها المشهرْ (٣)
وبسوسن عارضها المقرو ن بورد خُديديها الاحمرْ
وبطيبِ فاح وقدٍّ ما ح (٤) وثغرٍ صاح ادِر فأسكرْ
وبمرهف عينيها المعتزّ بعامل عطفيها الاسمرْ
وبميم (٥) مباسمها المرصو د بطلسمهِ كنز الجوهرْ

(١) مثنى هدب وهو شعر اشفار العينين (٢) من حروف الهجاء . وهو من اسماء السيف او شفرته وعليه في القرآن (ن والقلم وما يسطرون) وقد ورد المعنيان هنا استخداماً (٣) من قولهم شهرَ سيفهُ اذا انتضاهُ ورفعهُ على الناس . وهو ترشيحٌ لاستعارة السيف للحواجب وتوضيحٌ للمعنى الثاني المستخدم في البيت (٤) يقال ماح يميح ميحاً وميحوحةً اي مشى متبختراً وهو ينظر في ظلّهِ (٥) قد اصطلح شعراء المولدين والمحدثين ان يشبّهوا الصدغ بالواو والطرّة بالسين والحاجب بالنون والثغر بالميم والعذار باللام والقدّ بالالف . ومنهُ قول عبد الباقي العمريّ وفيهِ اللف والنشر المرتب

افدي الذي ان ماس او لاح او فاه بالفاظٍ كدرٍّ نظيمْ
من قدّهِ والخط والثغر قد اودعَ في القلب الف لام ميم (الم)
يريد بالخطّ خطّ العذار

وبياقوت الشفتين يصو ن عقيق(١) ثناياها(٢) الكوثرْ(٣)
وباذنيها وبقرطيهـا (٤) وزبرجد دملجها (٥) الاخضرْ
وبساعدها البلّور يري فيروزج(٦) معصمها الأنورْ
وبكفٍّ ندّاها عرقٌ ذوبٌ من ماسٍ يتبلوَرْ

(١) مسيل الماء في الوادي . والحجر الكريم المعروف . والمقام يحتمل المعنيين
(٢) الثنايا . الاسنان في مقدّم الفم . وهي ايضًا الجبال او عقباتها او طرقها وكلا المعنيين مستخدمٌ هنا (٣) الشراب العذب (مولدة) وهو ايضًا نهرٌ في الجنة قال عنهُ النبيُّ انهُ احلامن العسل وابرد من الثلج والين من الزبد واشدُّ بياضًا من اللبن حافاتهُ من الزبرجد واوانيهِ من فضةٍ . وعليهِ سورة الكوثر واوّلها (انّا اعطيناك الكوثر) واللفظة هنا تتناول المعنيين كما لا يخفى (٤) مثنى قرط وهو حليةٌ لأسفل الأذن (٥) الدملج حليٌ يلبَس في المعصم ويقال لهُ المعضد والسوار . او الدملج ما يُلبس في المعصم والمعضد ما يُلبس في العضد والسوار ما يُلبس في الزند . قال عنترة

لهوتُ بها والليل ارخى سدولهُ الى ان بداضوء الصباح المبلجُ
أُراعي نجوم الليل وهيَ كأنها قوارير فيها زئبقٌ يترجرجُ
وتحتيَ منها معصمٌ فيهِ دملجٌ مضيءٌ وفوقي آخرٌ فيهِ دملجُ

(٦) بفتح الزاي . الحجر الكريم المعروف بالفيروز . ويراد بهِ هنا الوشم وهو الدقّ الازرق يكون على معاصم الغواني كالسنابل . قال الخالديُّ مشبهًا

والمشتري وسط السماء تخالهُ وسناهُ مثل الزئبق المترجرجِ
مسمار تبرٍ اصفرٍ ركّبتهُ في فص خاتم فضةٍ فيروزجِ

وقد سرق معنى البيت الاوّل من قول عنترة الذي مرَّ قبيل هذا

وبنقش انامِلها يحكي درعيْ داوُد (١) على أسكندر (٢)
وبصفحة نهديها الكافو ر يزان بخالَيها العنبرْ
وبشعرٍ طال وخصرٍ جا ل وردفٍ صال على عنترْ
وبلفتتها وبنفرتها كالظبية لوصيد الجؤذرْ (٣)
وبطيَّةِ اعكانٍ (٤) تحكي موجًا في بحر يتكسَّرْ (٥)
وبخلخل (٦) ساقيها الذهبيّ يطوّق (٧) عامودَيْ مرمرْ

(١) قبل ان داوُد النبيّ اوّل من اصطنع الزرَد دروعًا فنسبت اليهِ . يقال دروعٌ داوُدية كما يقال رماحٌ رُدينية او سمهرية نسبةً الى ردينة وزوجها سمهر اللذين كانا يثقّفان الرماح في خط هجر (٢) هو ذو القرنين الملك المكدونيّ الشهير بفتوحاتهِ ومغازيه . وقد خُصّص بالذكر لانهُ اشدّهُ بأسًا وارفع شأنًا من كل دارعٍ في الارض فتكون الدروع عليهِ اكثر لياقةً واوفر ملاءمةً منها على غيره . فكأنهُ يقول ان هذا النقش الشبيه بالزرَد قد لبق ببنانها كما لبقت دروع داوُد بالاسكندر (٣) ولد الماء . اي كنفرة الغزالة عندما ترى الجؤذر الذي يحاكيها بجمال عيونهِ مصادًا (٤) جمع عكنة وهو ما تثنّى وانطوى من لحم البطن سمنًا (٥) ينتشر بعد الطيّ متفرقًا قال الشاعر

الا ربَّ يومٍ قد تقضّى ببركةٍ اقمتُ بها فيما جرى متفكرا
بعيني رأيت الماء فيها وقد هوى على رأسهِ من شاهقٍ فتكسرا

(٦) الخُلخُل والخَلخَل والخَلخال . حليةٌ كالسوار تلبسها نساء العرب في ارجلهنّ والجمع خلاخل وخلاخيل . قال المتنبي

من طاعني ثُغر الرجال جآذرٌ ومن الرماح دمالجٌ وخلاخلُ

(٧) كل ما استدار بالشيء فهو طوقهُ

وبمعجز كعبٍ ان داست فيهِ مُقل الاعمى ابصرْ
اني بهواها معتلٌّ مفتونٌ مجنونٌ اكبرْ
كلفٌ دنفٌ مغرًى مضنًى مشغوفٌ معروفٌ منكرْ (١)
اهواها من قبل التكوين لآخر ما بعد المحشرْ (٢)

(الشكوى)

شكوت لهُ عليهِ وقا ت ياخلي متى تسمحْ
فقال اراك ذا طمعٍ فصه واقرأ الم نشرحْ (٣)

(الانعطاف)

رثى دهري لذلي اذ رآني اذوبُ اسًى فلجَّ بهِ انعطافُ
فالَّفَ شملنا بعد التنبّا (٤) وامنّا الذي كنا نخافُ
فيالكِ ليلةً تمّت سعودي بها لولا التعقّل والعفافُ

(الاستفسار)

يامن اذا ظبيُ الفلا لاقاكَ يومًا كلّمكْ

(١) اي معروف من الناس بهذه الصفات منكرٌ من المحبوبة ولذلك يقسم لها هاتو اليمين العظيمة لكي يقنعها (٢) يقول ان هواهُ قد ابتدأ قبل ان تتكوّن جراثيم الوجود ولا ينتهي الاّ بانتهاء كل موجود (٣) اكتفاء واقتباسٌ من قولهِ في سورة الانشراح (الم نشرح لك صدرك) (٤) الداهية

واذا لقيك مملّكٌ تاج المعالي(١) سلّمكْ
وادار نعلك صاغرًا طمعًا بقبلة ملثمكْ
فاذا مننتَ بلثمةٍ ناداك ياما احلمكْ
او انهُ لمسَ الهوا خدّيك وجدًا الملكْ
او شامك البدر المكمـــل صاح ياما اظلمكْ
قل لي بحق الحبّ من هذا التجني علّمكْ

(السعي)

مهلاً كفاك تداعبًا وتباعدًا
قد ذبت يابدر الدجى شوقًا اليكْ
اسعى اليك كسعي قاصد مكةٍ
ولو استطعتُ سبقتُ في عدْوي السُليكْ(٢)

(اللحظ المنسوب)

سبَتْ لبي بلحظ بابليٍّ تحقّق انهُ في الاصل هندي

(١) لو قيل (تاج الخلافة) لكان اوقع في السمع والطف في التركيب واصح في المعنى ولكنهُ تحاشى ايراد هاتهِ اللفظة في مثل هذا المقال ضنًّا بقدرها السامي من الابتذال (٢) هو الحرث بن عمرو بن زيد مناة التميمي احد محاضير العرب المشهورين في زمانهِ . قيل كان ادلُّ الناس في مجاهل الارض واعداهم على رجلهِ لا تلحقهُ جياد الخيل ولذلك لقبهُ العرب بسُليك المقانب (جمع مقنب وهو جماعة الخيل)

وثغر كالعقيق يصون درًّا يمجُّ الراح ممزوجًا بشهد

﴿ نوادر العشق ﴾

﴿ نُظمت زمان انتشار الريح الاصفر في سورية عام ١٨٧٥ م ﴾
(وقد اودعها الناظم اغراضًا في نفسهِ)

نأت ليلى فاقفرت الديارا وشطَّت بعدما قربت مزارا
نأت ليلى فعاد الصبح ليلاً محالٌ ان يريك لهُ نهارا
نأت ليلى فيالبنان بشرى لقد اصبحتَ للاقمار دارا
هنأتَ بما ملكتَ فليت عيني ترى ايَّ البدور اليك سارا
فقم ياايها الطود المفدَّى وحيِّ لمن حييت بها أزديارا
وقبِّل في الثرى اثرًا لنعلٍ ارى تقبيل موطئهِ افتخارا
ولا تكُ طائش الافكار مثلي فان الدهر علَّمك الوقارا
وكن من خدّها حذِرًا فاني قدحتُ عليه من نفسي شرارا
وخفْ من طرفها فبهِ شفارٌ مهنَّدةٌ نسمِّيها أحورارا
ودع عنك الفضول وكن صموتًا فربَّ كليمةٍ سلبت قرارا
فسوف ترى خصورًا من غصونٍ عليها طائر الالباب طارا
واجفانًا بها سودٌ صواحٍ تراها في الوغى بيضًا (١) سكارى

(١) صفةٌ للسيوف

وجيدًا طالما ليلاً هدانا ظللنا في النهار بهِ حيارى
وخالاً يعبد النيران لكن تراهُ ملازمًا لدُمى(١) النصارى
ونهدًا مذ غدا للشمس امًّا رأيتُ لبنتهِ ذاك الخمارا(٢)
خمارٌ حيك(٣) من شفقٍ وخمرٍ اقبّلهُ فيصدعني خمارا(٤)
بروحي من أُسمّيها بليلى فتجزيني على الزور ازورارا
رنت ريمًا ولاحت بدر تمٍّ وصالت ضيغمًا وشدت هزارا
أُسائلها من الشفتين ماءً فتسمخني من الخدّين نارا
تؤلّف وجنتانا كلّ ضدٍّ كأنّا باذلان بذا القصارى(٥)
ترى عيني السعير بوجنتيها فتجري فوق وجناتي بحارا
وتنظر فيهما وردًا غضيضًا فتنبت لي على خدّي بهارا(٦)
فيزهو خدّها الثاني احمرارًا ويذبل خدّيَ المضنى اصفرارا
ابيتُ ومهجتي تذكو ضرامًا لفرقتهـــا وتستعرٌ استعارا

(١) جمع دمية قد مرّ تفسيرها في حاشية القصيدة الموسومة بدار الدرب. ويراد بالدُمى هنا التماثيل الرخامية التي تُنصب في كنائس النصارى من الافرنج (٢) النصيف وهو اللثام يكون على وجه المرأة. يريد ان الحلة الشمس وامها النهد وما على الحلة من حمرة فهو خمارٌ (٣) من الحياكة (٤) ألم الخمر وصداعها واذاها وما خالط من سكرها قال عبد الملك للاخطل ماذا يعجبك من الخمر واولها مرار وآخرها خمار قال نعم ولكن بينهما ساعةٌ تشتريها بملكك (٥) قصارى الشيء جهدهُ وغايتهُ (٦) نبتٌ اصفر طيب الريح

وادوي من دموعي كل وارٍ (١) ويروي لي فمي عني الأُوارا (٢)
وابهتُ اذ يلوح البدر علمًا بانَّ ضياءهُ منها استعارا
واندبُ كلما ناحت صباحًا حمائمُ جاورت شيحًا وغارا
فتصغى لوعةً لسماع ندبٍ يذيب كلامهُ الصخر انفطارا
وتنظم من لسان الحال بيتًا يريك نثارهُ دمعي اضطرارا
لعمرك ان هذا الصبَّ صبٌّ يباري في العديد ولا يبارى
تجرَّعني الصروف الصابَ ٣ صرفًا فاصرفُ كيدها عني اصطبارا
الامَ الدهر يوسعني خطوبًا واوسعهُ على الخطب اقتدارا
وحتَّامَ الزمان يطيل حزني واقصرهُ فيأبى الاقتصارا
فلو اني قتلتُ لهُ كُليبًا (٤) وكان مهلهلاً لكفاهُ ثارا

(١) يقال زندٌ وارٍ اذا اقتدح فاورى نارًا . يريد انهُ يروي بدموعهِ كل متقدٍ ظمأ مع ان فمهُ يروي (من الرواية) لهُ ظمأ ذاتهِ (٢) اشدُّ الظمأ (٣) عصير الحنظل (٤) هو كليب بن ربيعة سيد بني تغلب المضروب بهِ المثل بالعزَّة والمنعة . قتلهُ اخو زوجتهِ الجليلة جسَّاس بن مرَّة بثار ناقةٍ اسمها سراب لرجل جرميٍّ يدعى سعد بن شمر كان جار خالةٍ لجسَّاس تعرف بالبسوس بنت منقذ التميمية فثأر بهِ (اي طلب دمهُ وقتل قاتلهُ وادرك ثارهُ) اخوهُ عديُّ بن ربيعة التغلبيُّ المعروف بالمهلهل فدارت رحى الحرب بين قبيلة جسَّاس (هي بكر) وقبيلة المهلهل (هي تغلب) ودامت اربعين سنةً حتى كادتا تتفانيان وهي المعروفة بحرب البسوس كل هذا والمهلهل لا ينزع لأمةً

الامَ الامَ يابدرًا اذا ما رآهُ البدرمن خجلٍ توارى
نهدٌ للقا سُلاَّ فتأبي لصوص البين تجعلها حرارا (١
حتى الريح (٢) اضحت لي عذولاً يراقبني اذا ما زرتُ زارا
فيترك في الديار نساء حينٍ (٣) حبالى بيننا تلد البوارا (٤)
اما هذا الذي جعل المطايا (٥) باجناح الدجى تلج القفارا
وتطوي وهي طاوية (٦) حزونًا (٧) لتنفذ اوليَ الحزن الحيارى
فواويلاهُ من دهرٍ خؤونٍ يجاري في القبيح ولا يجارى
زمانٌ ان تسل عنهُ فسلني فاني قد وسعتُ بهِ اختبارا
غرورٌ فيهِ حبُّ الغدر طبعٌ غريزيٌّ فلو عاصاهُ بارا
اذا ما عزَّ عن تلفيق شيءٍ من المكروه لفَّق خنفشارا (٨)

ولا يحسو خمرًا ولا يضاجع حليلة ولا يتخذ طيبًا . فضرب بهِ المثل في طلب الثأر كما ضرب باخيهِ كليب في منعة الجار (١) جمع حرَّة وهي الارض ذات حجارة نخرة سود (٢) يريد بها الريح الاصفر (٣) الحين الهلاك والمحنة (٤) الهلاك (٥) جمع مطيَّة وهي ما يركب من دابة (٦) جائعة (٧) ما غلظ من الارض (٨) كان شيخ يدَّعي العلم بكل فنّ ويتصدَّر للمسائل والفتاوي وكان لا يسأل عن شيء الاَّ اجاب من دون سبق روية جوابًا عريضًا ظاهر السداد مؤيَّدًا بالاستشهاد فعجب الناس من غزارة مادتهِ وطلاوة عبارتهِ . وكان جماعة تردد دونهُ اليهِ بالمسائل فيدهشهم بوفرة علمهِ وسعة حفظهِ . فاجتمعوا يومًا وقال احدهم اني احسب ياقوم هذا الرجل دجَّالاً مخرقًا فماذا علينا لو كتب كلٌّ منا حرفًا في رقعة ثم جمعناها

متى يرجى اللقاء وكل يوم يشيّدُ دون ما نرجو جدارا
فحسبي في الهوى بأسٌ فاني قضيت (٥) لم انل منهُ غرارا (٦)
وحسبي ان يمثّل منكِ وهمي خيالاً يمنح القلب القرارا
فيقوى ان يلقنني قريضاً (٣) ازيح بهِ من البلوى ستارا
واهدي من فرائدهِ عقوداً لجيدٍ صيحنا منهُ استنارا
اذا ما شامهُ بدر الدياجي تأمّلَ في محاسنهِ فحارا
يكاد النجم يهوي حين تبدو قلائدهُ فيصبح مستطارا
لهُ من نظم احداقي عقودٌ يباهي حسنها الدُرَر النثارا

كلمةٌ غير مستعملة نعرضها عليهِ امتحاناً فان استنكرها وثقنا بهِ وان اجاب عنها علمنا انهُ خدّاعٌ اثيم فكتب كلٌ ما بدا لهُ ثم جمعوا الحروف فاذا هي (خنفشار) وهي كلمةٌ مهملةٌ لا محل لها في لغةٍ . ثم جاءوهُ بها مستفسرين فقال من فورهِ هو نبتٌ ينبت في مشارف اليمن سبط الساق دقيق الورق مستدير الزهر يضرب بياضهُ الى حمرة . قال ابن البيطار انهُ حارٌ في الدرجة الثالثة رطبٌ في الاولى . وقال داؤد البصير انهُ يُذهب الخفقان ويجلو الآلات النفس . وقال فلانٌ كذا وقال فلانٌ كذا . وقد جرّبتهُ العرب في ادرار اللبن . قال شاعرهم

لقد جذبت محبتكم فؤادي كما جذب الحليب الخنفشارُ

ثم قال ورد في الحديث وهمٌ بذكرهِ فقالوا مهلاً ياشيخنا قد كذبت على الاطباء والعرب وشعرائهم فلا تكذب على النبيّ ايضاً ثم شرحوا لهُ القصة فذاب خجلاً واعرضوا عنهُ فكان من الخاسرين

(١) متُّ (٢) الغرار هو القليل من النوم يكاد يكون يقظةً او هو القليل من النوم وغيرهِ (٣) شعراً

باهلي من لها الاقمار اهلٌ فتاةٌ قد خلعتُ بها العذارا
احبُّ لاجلها الزُهر الدراري لعلمي انهنَّ من العذارى
فهمتُ (١) وما فهمتُ (٢) بانَّ قبلي نجوم الافق قد باتت سهارى
مهاةٌ تخجل الاقمار نورًا وتضحك اذ ترى الشمس احتقارا
بخدٍّ صيغ من ماسٍ ودرٍّ وياقوتٍ فيزدهر ازدهارا
اذا اسهبتُ في التشبيب راحت تعلّمني خناصرها أختصارا
حباها حسنها الزاهي جلالاً يزيد جمالها الباهي اقتدارا
فلو نظرت الى ارض لهارت (٣) ولو مرَّت على جبلٍ لمارا (٤)
ولو وطئت باخمصها (٥) صعيدًا (٦) رأيت ترابهُ اضحى نضارا (٧)
باخلاقٍ كزهر الروض عرفًا يباهي نشرها المسك انتشارا
تردَّت بالعفاف فان تبدَّت رأيت لها من التقوى ازارا
اقول وانَّ صدق القول شأني وحاشا ان اماري من يمارى
وحاشا ان اسوِّد وجه صحفي بمينٍ (٨) طالما جلب الشنارا (٩)
باني لم اكن كلفًا بحسن ولن (١٠) ترَ لي من الفحشاء جارا

(١) من الهيام (٢) من الفهم (٣) انصدعت ولم تسقط (٤) اهتزَّ من قولهم مار البحر اذا ماج واضطرب او من قولهم مار الشيء اذا اهتزَّ وتردَّد في عرضٍ (٥) باطن قدمها (٦) وجه الارض (٧) ذهبًا (٨) بكذبٍ (٩) العيب والعار والامر المشهور بالشنعة (١٠) لن حرف

ولم اكُ جاهلاً مطواع نفسٍ عن الاهواءِ لا تثنى أزدجارا
ولكني فتىً اهوى السجايا واطرب من مغازلة العذارى
واقنع في الوصال بقبض كفٍّ تصيغ لزندها عيني السوارا
اذا سمح الزمان لنا بقربٍ سويعاتٍ وان كانت قصارا
ولم يكُ بيننا ابدًا رقيبٌ الّمتْ العقل يرقبنا اختيارا
سيعلم آلها يومًا باني فتىً لم يرتكب في الحبّ عارا
واني ان علقتُ بحبّ خودٍ اتيحُ لها مدى الدهر الفخارا
واني لا احوص (١) رداءَ امري بايدٍ لا تفصّلهُ أفتكارا
اذا لم يثنني عقلي وعلمي فحسبك انّ لي شرفًا يُدارى
ذراهم هائمين بكلّ وادٍ عميقٍ لا يرون لهُ قرارا
يضلّون السرى حتى اذا ما بدا صبح الهدى والليل هارا
درى كل الورى بجميل صنعي وحصحص حق من يرعى الجوارا

نصب ونفي واستقبال . وقد جزمت هنا اجتزاء بالفتحة عن الالف ضرورةً او جريًا على مذهب من قال انها قد تجزم وعليهِ قول الشاعر ﴿ فلن يحلَ للعينين بعدك منظرُ ﴾ وقول الآخر

لن يخب الآن من رجائك من حرّك من دون بابك الحلقه

(١) من الحوص وهو الخياطة ومنهُ المثل ﴿ ان دواءَ الشق ان تحوصهُ ﴾
(٢) حصحص الحق بان وظهر او ثبت واستقرّ . ومنهُ في سورة يوسف ﴿ الان حصحص الحق ﴾

(الذهب)

هام الفؤاد بغادةٍ رومية فتنت ملاحتها الفرنجة والعرب
في خدّها ذهبٌ وكم من مهجةٍ ياصاحبي تلفت باسباب الذهب

(الحياء)

واسيلة الخدّين يرشح خدّها ماء الملاحة والجمال صبيبا
غازلتها فتلهّبت وجناتها فأعجبْ بهِ ماءٌ يعود لهيبا

(الاحتراز)

لمّا رأت كفّي تحاول مجتني وردٍ حواهُ روضِ خدّ ازهرُ
قالت لخالٍ بالمحاسن عمّها احسنْ حراسة جنتي ياعنبرُ[1]

(المنطاد[2])

اصلى هوى سلمى حشايَ بناره
ياليت قلبي لم يذق طعم الهوى
اطوي البسيطة تابعاً آثارها
ولواُستطعتُ ركبتُ مركبة الهوا [3]

(١) العنبر من اسماء العبيد وهو ايضاً الطيب المعروف . وهذا وجه التورية في البيت كما لا يخفى (٢) من قولهم انطاد انطياداً اي ذهب في الهواء صعداً وهو اسم اطلقهُ بعض لغويي العصر على المركبة الهوائية الآتي ذكرها (٣) هي المعروفة بالبالون والابروستا اخترعها (مونغوفيه فرير) الفرنسويان سنة ١٧٨٣ م وسافرا بها اوّل مرّة في السنة المذكورة

(التضمين)

يارب بدرٍ سقانا الشمس ساطعةً
في ليلةٍ نجمها يطفو على الكاسِ (١)

ساقٍ مخلخل ساقٍ ابيض يققٍ (٢)
ساق السقام لجسمي جفنهُ الكاسي

لمَّا رأى الليل قد شابت غدائرهُ
والصبح شبَّ وضاءت جمرة الناسِ

ولى فاصبح لين العطف ينشدنا
لا تعتبوا كل ساقٍ قلبهُ قاسِ (٣)

(التهمة)

لما رأت شعري ينظّم لؤلؤاً ضمَّتهُ في وصف ألمها اوراقُ
لمست بياقوت الانامل عقدها !! درّيَّ تزعم انني سرَّاقُ

(١) يريد بالبدر الساقي وبالشمس الخمر وبالنجم الحبب وهو ما يطفو على وجه الكأس من الفقاقيع (٢) اليقق شديد البياض ناصعهُ . يقال ابيض يقق كما يقال اسود حالك واصفر فاقع واحمر قانٍ (٣) مأخوذٌ من قول العفيف التلمساني المعروف بالشاب الظريف

اسكرني باللفظ والمقلة !! كحلاء والوجنة والكاسِ
ساقٍ يريني قلبهُ قسوةً وكل ساقٍ قلبهُ قاسِ

وقد نبَّه على التضمين بقولهِ (ينشدنا)

(استير وهامان)

لما رأت استير في مرآتها وجناتها تزهو بلونٍ قانِ
قالت لمن هدَّت قواهُ بنهدها وسبت نهاهُ بقدّها الفتّانِ
ياحسن تفّاح بدا في وجنتي الحمراءِ لولا انهُ هاماني(١)
سبحان من جعل البيان سحيَّةً فيها تتيهُ بهِ على سحبان (٢)

(١) التفاح الهاماني في دمشق ما يجلب من الهامة وهي قرية كثيرة الفاكهة على خمسة اميالٍ من دمشق . والهاماني ايضًا نسبةً الى هامان وزير الملك (احشورش) وقصتهُ مع استير في التوراة اشهر من ان تذكَر ومخصها ان هامان احتال على الملك حتى ساقهُ الى ابراز امر بقتل كل اليهود الذين كانوا منتشرين بداعية الجلاء في اقطار مملكتهِ ولما نمي الخبر الى استير بواسطة (مردخاي) نسيبها دخلت على الملك (وكانت من جملة محاظيهِ) وتمكنت بلطفها وجرأتها من الفوز بامر ينسخ الاوَّل بعد ان اهاجت غيظهُ على هامان حتى قتلهُ على خشبةٍ كان اعدَّها لصلب مردخاي وما برح اليهود حتى اليوم يعيّدون تذكارًا لهذه الحادثة . وعلى هذا تكون التورية في البيت غريبةً في بابها وتُعدُّ من الطف النوادر (٢) هو سحبان وائل الباهليّ الذي يقول

لقد علم الحيُّ اليمانون انني اذا قلت اما بعدُ اني خطيبها

قال عنهُ المؤلف في شرح مقدّمة كتابهِ (كنز الناظم) ما يأتي

خطيبٌ براهُ الله ابدع من برى وابرع من يعلو لدى العُرْب منبرا
اذا قال اما بعد سالت شفاههُ من الحكم الغرّاءِ شهدًا وكوثرا
ينضدُ اسجاع الكلام بسمطهِ فيلقي على الاسماع دُرًّا وجوهرا
فحسبي الذي ابديتُ من حسن وصفهِ وحسبك ما اوعيت فاحكم بما ترى

﴿ نشوة الحب ﴾

مهْ (١) عذولي لمتى تلحى وتلحو (٢) انني نحو التسلّي لستُ لنحو
رُحِ ودعني انني لا انثني فهواني في الهوى فوزٌ ونجحُ
حسْبُ قلبي جرح حبي لا تزِد فيهِ عتبي ان هذا العتب جرحُ
ليس يجدي النصح نفعاً بفتى طالما ازداد جوىً ما ازداد نصحُ
تعبي في حبّ سلمى راحتي صحّتي من دونهِ سقمٌ وبرحُ
اخت غزلانٍ لها في كل او جٍ وفجٍّ منزلٌ يحنو فتنحو
في السما برجٌ وفي الارض كنا سٌ وفي قلب الشجي خدرٌ وصرحُ
رفعتهُ بعد خفضٍ حينما سكنتهُ فبدا بالضمّ فتحُ
بعتها كلي ببعض الوصل من دون غبنٍ وانا في البيع سمحُ
قل لمن يزعم اني خاسرٌ كلُّ خسرٍ في سبيل الغيد ربحُ
بانةٌ بالسفح مذ بانت بدا لدمي في وجنتي سفكٌ وسفحُ
قسمت في جمعها الحسن فوا دي بضربٍ فيهِ للسلوان طرحُ

(١) اسم فعل مبنيٌّ على السكون بمعنى اكفف ولا تقل بمعنى اكفف لان اكفف يتعدى بخلاف مهْ وحكمها في التنكير والوصل حكم صهْ وقد ذكرت اكثر من مرة في هذا الديوان ومعناها اسكت . تستعمل بلفظٍ واحد للمفرد والمثنّى والجمع مذكّرًا ومؤنثًا (٢) الاوّل يائيٌّ من قولهم لحاهُ لحيًا اذا لامهُ وسبّهُ وعابهُ والثاني واويٌّ من قولهم لحاهُ لحوًا اذا شتمهُ

اقسمت احداقها اذ اسكرتني طلا اقداحها ان لستُ اصحو
ما انا والله الاَّ ثملٌ طافحٌ في مهجتي للسكر طفحُ
قلتُ ليلي طال قال الحبُّ لا تشكهِ ما لظلام الصبِّ صبحُ
قلتُ صفحًا ياحياتي قال صهْ ليس في دين الهوى ياصاح صفحُ
قلتُ مهما شئت فاحكم انني طائعٌ قال جزاءُ الذنب ذبحُ
قلتُ فاذبحْ بيدَ اني طامعٌ بنشوري (١) آملٌ الاَّ تشحُّ
قال طبْ نفسًا وطلْ عمرًا ولا تخشَ بأسًا ان هذا القول مزحُ
عذبٌ تعذيبها في كبدي كلُّ مفعولٍ بهِ ترضى يصحُّ
ظبيةٌ ترنو بلحظٍ احور في قلوب الناس من جفنيهِ قرحُ
لحظ طرفٍ جاءَ بالحقِّ نبيًّا بسيفٍ لضلال الكفر يمحو
كلُّ من خالف دين الحب اضحى قتيلاً ولهُ في النار شطحُ
ذات قدٍّ ظلمتهُ فئةٌ اجمعوا جهلاً وقالوا هو رمحُ
قد جنوا (٢) سحقًا لهم هلاَّ جنوا (٣) وردهُ الغضُّ وهل للرمح نفحُ
انحلت جسمي بخصر ناحل لهُ في قرطقها (٤) حبسٌ وسجحُ
رمتُ اشكوهُ الى الردف ولكن طوى كشحي (٥) عنهُ منهُ كشحُ (٦)

(١) النشور هو الحيوة بعد الموت (٢) من الجناية (٣) من الجني وهو قطف الثمر والزهر (٤) قباتها . معربة (٥) يقال طوى كشحهُ على الامر اذا اضمرهُ وغضَّ الطرف عن افشائهِ (٦) ما بين الخاصرة الى الضلع

شرحت(١) متني ٢ظبى ٣الحاظها وهو متنٌ مالهُ والله شرحُ
ليتها تشرح صدري بدلاً منهُ ان الشرح للمصدور سرحُ
بأبي طرَّتها تلك التي طرَّت العقل بجنحٍ وهي جنحُ
لمتى ياقلبها القاسي تشحُّ وعيني بدم الدمع تسحُّ
قد لبست المسح(٤) زهداً بالسوى ليت حبي بعد ذا بالوصل سمحُ
لمتِ لما ملتِ عن عهدي على فرط اصراري وانَّا الان صلحُ
فاعطفي يارَبَّة الحسنى على عبد حسنٍ خشية الموت بلحُ
وارحمي مهجة عانٍ كلفٍ نالهُ في حبهِ كدٌّ وكدحُ
ذاب مني القلب مني(٥) ان زا د الفتى من دهره منٌّ ومنحُ
قد ذكا في مهجتي جمرٌ لقد كاد يفني كلَّ حيٍّ منهُ لفحُ(٦)
قد عداكِ(٧) الذمُّ تنديكِ عدا كِ فجودي لي بوصل يحلُ مدحُ
لا تبالي بخليٍّ لائمٍ لا يضير البدر في الظلماء نبحُ
انني بالنزر راضٍ فاصلحي قدرَ ما يصلح طعم الخبز ملحُ

(١) قطعت (٢) ظهري . او المتن ما اكتنف الصلب من اللحم وهو في عرف المولَّدين خلاف الشرح والحواشي وقد استخدم البيت المعنيين فتأمل
(٣) جمع ظبة وهي حدُّ السيف (٤) الثوب من شعر كثوب الرهبان
(٥) من المنّ وهو الانعام . يقال من عليهِ منًّا اذا انعم واصطنع عندهُ صنيعة
(٦) يقال لفحت النار فلانًا اي احرقتهُ بحرّها (٧) فاتكِ وتجاوزكِ

قد قضيت العمر صوماً بصدودكِ آن الآن ان يتلوهُ (١) فصحُ (٢)
اي متى الفى لهذا الصوت في صرح (٣) داري بعد ذاك الصمت صدحُ
كلفت نفسكِ بالهجر لذا تلفت ارواحنا وانجاب ٤ نجحُ

(النبوّة)

اياطرفها الجاني على مهجتي التي غدا حتفها في مذهب الهجر منخوسا
تنبأت عن قتلي واسهبت شارحاً رويدك قد قطّعت قلبي يا موسى

(البراقع)

وذات صدغٍ اذا ارخت براقعها شالت عقاربهُ شولاتها ٦ حنقا
حتى اذا ما تظنّت انها كبدي اهوت عليها فعاد الصبح منفلقا

(الاخلاص)

عانيتُ داءً مؤلماً فشكوتهُ لخدود من عزمت على انصافي
قالت عليك بماءِ وردي انهم حسبوهُ من طرق العلاج الشافي

(المنظار)

قد ذبت من وجدي فان احببت يا خلي تصافحني فصافحْ ثوبي

(١) يعقبهُ (٢) بكسر الفاء والعامة تلفظهُ بالفتح . هو عيد النصارى الاكبر
(٣) الصرح هو القصر وكل بناءٍ عالٍ (٤) انقطع (٥) السكين .
او آلة يحلق بها . وموسى النبيُّ (معروف) وكلا المعنيين مقصودٌ هنا توريةً
(٦) جمع شولة وهي حمة العقرب اي ابرتها

هيهات تقدر ان تراني مقلةٌ ولو انها نظرت بمكر سكوبِ (١)

(شقائق النعمان)

ياحسن خالٍ شافعيٍّ (٢) قام في خدٍّ تقلّد مذهب النعمانِ (٣)
لرجلة (٤) نظراً ابن حنبلٍ حسنها فتحقق انهُ مالكي (٦) بثمانِ
بالشعر والعينين والخدّين والـ نهدين والردف العظيم الشانِ
سألت شقائقها ٧ مكارم خالها مسكاً فجاد بهِ على النعمانِ

(١) هو المنظار الاكبر تنازع اختراعهُ رجلان هولانديان احدهما يدعى (كرنيليوس دربيل) قيل انهُ اخترعهُ عام ١٥٧٢ م والآخر يسمى (زخريا جانسون) قيل انهُ اوجدهُ سنة ١٥٩٠ م (٢) نسبةً الى محمد بن ادريس ابن شافع القرشيّ المعروف بالامام الشافعي الذي يقول

خذوا بدمي هذا الغزال فانهُ اراش لقتلي مقلتيهِ على عمدِ
ولا تقتلوه انني انا عبدهُ وفي مذهبي لا يقتل الحرُّ بالعبدِ

توفي سنة مائتين واربع (٣) هو ابن ثابت المعروف بابي حنيفة . توفي سنة مائة وخمسين (٤) تارةً سمينة طويلة (٥) هو الامام احمد الشيباني توفي سنة ٢٤١ (٦) نسبةً الى مالك بن انس الاصبحيّ . توفي سنة ١٧٩ وهولاء هم ائمة المذاهب الاربعة في الاسلام (٧) جمع شقيقة وهي الاخت لأبٍ وامٍّ والشقائق ايضاً هي النبت المعروف بالشقيق أُضيف الى النعمان بن المنذر ملك العراق لانهُ جاء الى موضع وقد بدا نبتهُ من اصفر واحمر وفيهِ من الشقائق ما راقهُ فقال ما احسن هذه الشقائق احموها . قال الشاعر

لا تعجبوا من خالهِ في خدّهِ كلُّ الشقيق بنقطةٍ سوداءِ

﴿ النور والنار ﴾

(وهي اوّل مقطوعة انظمها)

عاينت في وجنتيها النار ذاكيةً (٣) والعنق مصباح نور يمحق الغلسا
فقلت من كان يسري يا رباب وفي ايديه نور علام يحمل القبسا (٤)
فزحزحت شفقاً عن لؤلؤ رطبٍ واطلعت كوثراً اقدط الماحيسا
ورنحت خوط بانٍ فوق رابيةٍ ماجت كبحر به فُلكٌ (٤) القلوب رسا
وقهقهت ثم قالت من رأى رجلاً بغير نار شكا لذعاً (٥) صباح مسا
فالنور يسري امامي في الظلام هدىً والنار تكوي قلوب العاشقين عسى (٦)

(التبادل)

لكِ قد اوقفتُ حيوتي ولي اوقفتِ حيوتكِ يا ألُغا (٧)
ما بيني وبينك قبل الكون عهود ودادٍ لا تُلغى

(١) المقطوعة من الشعر ما كان من بيتٍ الى سبعة او تسعة وما جاوز هذا العدد منه فهو قصيدة (٣) متقدة (٤) شعلة نار تؤخذ من معظم النار (٤) الفُلك (بالضم) السفينة . يؤنث ويذكر وهو للواحد والجمع . والعامة تقول فلوكية وتجمعها فلائك (٥) يقال لذعت النار فلانًا اي احرقته والمة (٦) اراد ان يقول عسى ان تفنيهم او عسى ان يتوبوا عن التعرّض لربّات الجمال فاعترضته القافية فاكتفى (٧) اسم زوجة (ايغور) وهو ثالث (غراندوق) روسي . ولدت في قرية قرب (بسكوف) من عائلةٍ دنيئة فنشأت جميلةً فتانة اديبةً عاقلة فعلق بها (ايغور) فاصطفاها حليلةً سنة ٩٠٤ م وتبوّأ واياها اريكة الملك سنة ٩١٢ ولما قُتل سنة ٩٤٥ ملكت بعده

(العاج والآبنوس)

برزت تخال زنودها وعروقها ماسًا تركَّبَ تحتهُ فيروزجُ
تمثال عاجٍ والعقيق شفاههُ بالآبنوس (١) مكحَّلٌ ومتوَّجُ
حاولت قبلتها فماجت وانثنت ودعت فؤادي باللظى يتوهجُ
فكأنها ليلٌ علا قمرًا على غصنٍ يميل بربوةٍ تتموَّجُ
ومضت تريك من الثنايا انجمًا نضحت بخمرٍ طيبها يتأرَّجُ

(الكرسيُّ)

روحي الفداء لغادة فضحت سنا الافلاك وجهًا والمجرَّة (٢) مبسما

نائبة عن ابنها ومن اعجب ما فعلتهُ اذ ذاك احتيالها على اعيان (الدربوليين) قاتلي زوجها حتى اتولى بلاطها مخدوعين فدفنتهم احياء وقهرت تلك الامة الباسلة فعنت لها منقادة صاغرة ثم جالت في مضمار السياسة رَدَحًا فاستلبت بحكمتها القلوب وجمعت على ولائها الافئدة واذاعت اسم امة الروس حتى طبَّقت بذكرها الاثير. ولما بلغ ابنها اشدَّهُ سنة ٩٥٥ القت اليهِ مقاليد المُلك وجنحت الى الزهد فتنصَّرت في عاصمة الرومان بمرأى سلطانها (قسطنطين) ومسمعهِ وعاشت ثمت عيشًا نسكيًّا حتى ادركتها الوفاة سنة ٩٦٨ ولسان حالها يقول (لمثل هذا فليعمل العاملون) فاسف عليها عالم الغرب عامَّةً واحصاها الروس في مصاف القديسات

(١) خشب اسود صلب عزيز الوجود غالي القيمة

(٢) هي امُّ النجوم وتسميها العامة درب التبان والافرنج الطريق الحليبية. وقد زعم البعض انها نهرٌ في السماء. قال العمريُّ

تحاكي الانجم الزُّهر اللواتي بنهر مجرَّةٍ اذ سال دفقا
لمن قد امعن التحديق فيها حديقة نرجسٍ في النهر غرقى

جلست على كرسيّ خيزور حكى عرشاً عليهِ تربّعت ماءُ السما (١)

(الرحيق والورد)

قامت اليّ تقول خذها خمرةً حمراءَ تسطع في الزجاجة كالعقيقْ
فأجبتها أمن الخدود تكوّنت قالت متى اتخذوا من الورد الرحيقْ

(الربوة والمنشار ٢)

لم انسَ يوماً قد قطعت بربوةٍ في معشر كالماءِ والمسطارِ (٣)
فيهِ اجتنينا الراح بكراً من يدي بكر بشدو الناي والمزمارِ
وصفا الزمان لنا فيالكِ ربوةً فيها قطعنا الهمَّ بالمنشارِ

﴿الملامة﴾

لا كان يومٌ عاينتكِ نواظري تثنين هذا القدَّ في باب البريدْ (٤)
يومٌ مننتِ بهِ عليَّ بلفتة قد اوقفتني عند بابكِ كالعبيدْ

(١) هي ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بنت ربيعة التغلبيّ ملكة العراق التي من سلالتها النعمان وباقي الملوك المناذرة . لقّبت بماء السماء لانها كانت في عصرها آية الجمال وعنوان المجد والجلال (٢) منتزهٌ غربي دمشق غايةٌ في البهجة والرونق (٣) الخمر الصارعة لشاربها (٤) سوق في دمشق تباع بها نفائس القماش اشتهرت منذ القديم بانها محشد ربّات الحجال ومنتدى ذوات الدلّ والخفر حتى كتب على زوايا قبّتها بخط صريح هذان البيتان

عرّج ركابك عن دمشق فانها بلدٌ تذلّ لها الاسود وتخضعُ
ما بين جابيها وباب بريدها قمرٌ يغيب والف بدر يطلعُ

هنّدتني وبذلتِ جهدكِ كلهُ حتى غدوتُ موكلًا كلفاعميدْ (١)
كلّفتني حفظ الولا فحفظتهُ وحلفتِ انكِ لي مدى الدهر المديدْ
واراكِ بعد قليل وقت خنتني وجفوتني طمعًا بغيسانٍ (٢) جديدْ
ما هكذا اهل الوفا يازُهرة ضحت بهيكل حسنها الفي شهيدْ
قولي بربّكِ ماجوابكِ بعدما ابدى الحقيقة نور برهاني السديدْ
افلست تخجل يامحيّاها بلى وكفى دليلًا درُّ ذا العرق النضيدْ
اجريتِ دمعي جعفرًا (٣) من بعدما امسيت مسرورًا ابسعاك الحميدْ
مأمون عهدكِ يازُبيدة (٤) بعتهِ وهو الامين اهكذا الرأي الرشيدْ

(١) الذى هدّه العشق (٢) اصلهُ باليآء حُذفت ضرورة . الجميل (٣) نهرًا (٤) هو اسم بنت جعفر بن المنصور ابنة عم هارون الرشيد الخليفة العباسي الشهير وزوجته . كانت بارعة في الجمال اديبة عاقلة لها آثار عظيمة منها مصانع زبيدة التي انشأتها من العراق الى الحجاز ليستقي منها ركب الحج وكانت متصفة بالحلم والسخاء . قيل وقف يومًا ببابها شاعرٌ فانشد

ازبيدة ابنة جعفر طوبى لسائلكِ المثابْ
تعطين من رجليكِ ما تعطي الاكفُّ من الرغابْ

فهمّ خدامها بقتلهِ فقالت لهم كفّوا عنهُ انما اراد خيرًا ولم يقصد الاّ الغلوّ فالتوى عليهِ المعنى ثم اجازتهُ بالف دينار وقالت لهُ اياك ان تعود لمثل هذا في مدح امثالي فاني اخاف عليك غضب من لا يعرف كيف يجد عذرًا للناس فتذهب ضحيّة سذاجتك . ولها شعر جيّد منهُ قولها

انا التفاحة الحمرا عليها الطلُّ مرشوش

(جبل طارق)

يا انكليز كفى بحسن فتاتكم حصنًا بهِ تكفون غيلة طارقِ (١)
فدعوا اذًا درب السويس لاهلهِ كرمًا وعدّوا المسوى عن طارقِ ٢

(الغلالة الزرقاء)

تبدّت عليها من حرير غلالةٌ (٤) سماويّةٌ فيروزجًا فوق مرمرِ
على راسها طيرٌ من الماس راقصٌ (٥) يحاكي خطيبًا قد علا فوق منبرِ
تميس على القبقاب تيهًا بخطوها كزينب (٦) اذ قامت على عرش تدمرِ

وخدي روضةٌ غنّاء فيها الورد مفروش

زُفّت على الرشيد سنة ١٦٥ للهجرة وادركتها المنية سنة ٢٢٦ . وقد طوينا الكشح عن ايراد تراجم الرشيد والامين والمأمون وجعفر ومسرور المذكورة اسماؤهم توجيهًا في بيتي المتن وذلك لشهرتهم وكثرة تداول قصصهم على السن الناس (١) اغتيال مفاجئ . والطارق في الاصل من يباغت القوم ليلاً (٢) هو خليجٌ في افريقيا فتحهُ العلاّمة (دليسبس) الفرنسويّ الشهير سنة ١٨٦٩ م وكان من قبل برزخًا فاصلاً بين بحر الروم والبحر الاحمر المعروف بالقلزم فاتصلا بهِ وهو الان اقرب طريق تؤدي الى الهند وقد عدّ فتحهُ اجلّ اثر قام بهِ بشر (٣) هو حصن في افريقيا سمي باسم فاتحهِ الاول طارق ابن زياد احد قادة الوليد الأموي وهو مفتاح البحر المتوسط ويعدُّ من اعظم المعاقل . استلبهُ الانكليز من الاسبان في عصر الملكة حنة ابنة (جمس) الثاني وذلك سنة ١٧٠٤ م ولطالما صرف الاسبان والفرنسويون هممهم لاستردادهِ فخابوا سعيًا (٤) شعارٌ يُلبس تحت الثوب (٥) حليةٌ تعرَف عند العامة (بالبروش) (٦) هي آية عصرها في الجمال ونادرة زمانها في

﴿ لوعة الشاكي ﴾

ان كان قلبكِ هذا قدّ من حجر فالماء يجري وحق الحب من حجرِ
او كان من معدنٍ فالوجد يا الملي نارٌ وهل معدنٌ يقوى على الشررِ
فيا رباب التي في حبها ولهي لم يبقِ من مهجتي شيئاً ولم يذرِ
هي ارحميني اشفقي حيي اعطفي كرماً مني ارفقي بفتىً اضحى على خطرِ
صبٌّ ولوعٌ مشوقٌ هائمٌ دنفٌ مضنىً كئيبٌ شجيٌّ دائم الفكرِ
سليل همٍّ اخو سهدٍ ابو سقمٍ حليل غمٍّ خليل البؤس والكدرِ
رثت له الورق في ادواحها سحراً لما رأت دمعهُ كالطل في السحرِ

الفضل المقرون بالجلال تعرّف عند الرومان بزينوبيا ملكة الشرق تولت عرش تدمر بعد زوجها أذينة المقتول (عام ٢٦٧) ولما اشتدّ ساعدها ورسخت في البلاد وطأتها شادت في عاصمتها البنايات الباهية الأنيقة وغرست في ضواحيها الرياض الزاهية الوريقة حتى ذرّتها جنةً من الجنان فيها فاكهةٌ والنخل ذات الاكمام والحبُّ ذو العصف والريحان. ثمّ جمحت الى المغازي والفتوحات فدانت لشدّة بأسها العباد وفتنت ببديع حسنها وسحر اساليبها الملوك فاسكرها الفوز والنصر وبعثها على التمادي في طلاب العزّة والتماس الفخر فبعثت بالسرايا والصوائف الى مصر فقهرتها ولقّبت ذاتها بالقاب اهاجت عليها حسد مملكة الرومان فناوتها وزحف عليها (اورليان) قيصر الروم فعبّأت الجيوش وقابلته على مقربةٍ من انطاكية فحمص فهزمها شرّ هزيمة حتى اذا اعتصمت منهُ بقاعدة بلادها تدمر ادار عليها رحاة الحرب حصاراً وقتالاً حتى تداعت لهُ اسوارها عنوةً فاعمل في اهلها السيف وفي قصورها التخريب حتى غادرها قاعاً صفصفاً تأوي اليها البوم والقطا نادبة

يجيبي الليالي ميتاً راح ينشرهُ طيُّ الغرام فيقضي العمر بالسهرِ
قد ذاب وجداً عفا صدًّا قضى اسفًا حتى غدا شبحًا في اقبح الصورِ
وددتُ والله اني لم اكن بشرًا من هول ما مرَّ بي يا احسن البشرِ
وطالما خيل لي ان الممات لمن اضحى نظيري حبوة الفوز والظفرِ
كساني البعد من آلائهِ حللاً لكن من السقم لا من سندس خضرِ
والبستني عنايا الشوق واحربي تاجًا من الشيب لا من عسجدٍ انضرِ
ما مثَّلت جنَّة الخلدين في فكري الاَّ واصبح مني القلب في سقرِ (٢)
فالقلب في حرقٍ والجفن في غرقٍ والعين في ارقٍ والنفس في حصرِ
ضاع اصطباري نأى رشدي وهى جلدي عزَّ انتظاري قضى جهدي انقضى عمري

سالف مجدها المذكور وقديم عزها المأثور واما زينوبيا فاسرها (اورليان) وقادها الى عاصمة الرومان ذليلةً صاغرة حينما دخلها بموكب حافل وهي ترسف بقيودها الذهبية امام العواجل وكان ذلك عام ٢٧٢ م فسبحان الحيّ الباقي من لا عاصم من ايديهِ ولا واقٍ . واما تدمر فهي مدينة قديمة ذات آثار عظيمة كانت تعرَف بمدينة النخل ويسميها الاقدمون (بالميرا) واقعةٌ بين نهريْ الفرات والعاصي تبعد نحو ٩٠ ميلاً عن حمص الى الشرق و ١٥٠ ميلاً عن دمشق الى الشمال الشرقي قيل انها سميت باسم تدمر بنت حسان التي بنيت المدينة في ايامها والصحيح انها من بناء سليمان كما ورد في التوراة وقد زعم العرب ان الجنَّ بنوها لهُ وعلى ذلك يقول النابغة

الاَّ سليمان اذ قال الاَّلهُ لهُ قم في البرية فاحددها عن الفندِ
وخيِّر الجنَّ اني قد امرتهمُ يبنون تدمر بالصفَّاح والعمدِ

(١) ذهب (٢) من اسماء جهنم . وتلفظ بالصاد ايضًا

ثنتان لا بدَّ من احداهما عجلاً اما الممات واما الفوز بالوطرِ

(الغدر)

يامن لأهل الهوى في هيكلٍ نصبتْ فيهِ تماثيلك الحسناءَ تقديسُ
ان كنتِ هيلانة (١) اليونان يا املي فما اناذلك الغدَّار باريسُ (٢)

﴿الاستغاثة﴾

غدرَ الزمانُ ففرَّقا شملَ التواصلِ واللقا
وسطا فقدَّ دروعَ صبـ ـريَ بالغرامِ ومزَّقا
أخنى عليَّ فراشَ لي سهمِ البلاءِ وفوَّقا

(١) هي على ما ذكر (اوميروس) الشاعر اليوناني بنت بعض ملوك (سبارتا) كانت اشهر نساء عصرها حسنًا واكثرهن رقةً وظرفًا فزوَّجها ابوها (بمنيلاس) ملك (لاكونيا ومسينيا) فأتى سبارتا عقيب ذلك باريس بن بريام ملك تروادة وكان ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فاكرم منيلاس وفادتهُ وانزلهُ في بلاطهِ فكان من باريس ان استهوى هيلانة وفرَّ هاربًا بها بعد ان سلب قسمًا من مال بعلها فكان ذلك سبب حرب تروادة الشهيرة التي دامت فيما قيل عشر سنين وانتهت بفتحها عنوةً واحراقها بالنار

(٢) هو ابن بريام المقدَّم ذكرهُ . ذكر في (الميثولوجيا) اليونانية ان امهُ (ايكوبا) حلمت وهي حبلى بهِ انها حامل بقبس نار يحرق آسيا فاوروبا فلما ولدتهُ أمر ابوهُ بعض قادتهِ بقتلهِ ولكن القائد رقَّ لعبرات امهِ فالقاهُ حيًّا على قنة جبلٍ هناك فحنَّت عليهِ دبةٌ فارضعتهُ خمس ليالٍ ثم عثر بهِ راعٍ

وأناح لي سيل الشجو ن فسال حتى غرّقا
زمنٌ تقرّط بالردا ةِ والخنى وتطوّقا
ما شامَ مهجـــة عاشقٍ الاّ وزوّدها الشقا
صعبٌ عليهِ ان يرى ذا صبوةٍ متوفّقا
واهًا لايامٍ تقضّت في العذيب وفي النقا
مع شادنٍ هجر الانا مُ بهِ المنامَ تعشّقا
ان لاح راح البدرُ من خجلٍ لدينا مُطرقا
ظبيٌ توشح بالمحا سن والبها وتمنطقا
فرعٌ جبينٌ طلعةٌ عنقٌ قوامٌ مرتقى

فذهب بهِ الى حليلتهِ فربتهُ فنبغ آية في الجمال وغاية في البسالة ثم تزوّج بجنيّة تدعى (اونوني) فانبأتهُ بما سيحدث لهُ من الاهوال وما سيسبّبهُ لقومهِ من البلايا وكان قد اشتهر بين الرعاة بحكمتهِ فاصبحوا يحكّمونهُ في المعضلات ولما اختلفت (مينرفا) و (جونون) والزُهرة على التفاحة الذهبية التي أهديت لمن كانت اجملهنّ اتخذن باريس حكمًا ووعدتهُ الاولى بالحكمة والثانية بالقوّة والثالثة باجمل امرأةٍ في الارض فحكم بها للزُهرة فآلت (مينرفا وجونون) على ان تؤذياهُ ثم عرفهُ بعد ذلك ابوهُ وبعث بهِ الى سبارتا في عشرين سفينة لاستخلاص (ايسيونا) التي كان سباها (هيراكليس) فانزلهُ منيلاس في بلاطهِ وسار في مهمّتهِ الى (كريت) فاغتنم باريس الفرصة وسبى زوجتهُ هيلانة على ما مرّ بك في ترجمتها فلما اتصل الخبر بمنيلاس اشتعل غيظًا وحلف ان ينتقم بهِ وبقومهِ عقابًا شديدًا فذكت ثمت وقود الحرب بين سبارتا وتروادة

ليلٌ صباحٌ هالةٌ(١) شمسٌ قضيبٌ في نقا
قد رقَّ حتى خلتهُ بحشى النسيم تخلَّقا
صنمٌ اقول عبدتهُ لولا التعقُّل والتقى
بدر الملاحة في سما وجنانهِ قد اشرقا
يسبي العقول بمبسمٍ يحبو الدراريَّ رونقا
درٌّ بياقوتٍ علا هِ ترى عقيقًا مطبقا
من ذاق طعم رضابهِ كفل الزمان لهُ البقا
ذو ناظرٍ بين الرقا د ومقلتي قد فرَّقا
لحظٌ يدير على الملا خمر الغرام مروَّقا
يا ايها القمر الذي طرُق القلوب تطرَّقا
لبسَ التجني واكتسى ثوب الدلال منمَّقا
وكسى قلوب الهائمين بهِ لهيبًا محرقا
ما ضرَّ حسنكَ لو تلطـف بالملا وترفَّقا

ومع ان باريس كان رجل حرب طالما ابدى جبنًا ونذالةً في قراعهِ مع منيلاس الذي كاد يظفر بهِ لولم تغشّيهِ الزُهرة بسحابة حجبتهُ عن الابصار جيرانهُ جرح اخيرًا بيد (ديروس) فطلب ان يذهبوا بهِ الى (اونوني) التي كان هجرها مع ولديها فلما رأتهُ نفرت منهُ وابت ان تداويهِ فعاد حزينًا الى تروادة وبعد عوده ندمت على خذلها اياه فتبعت آثارهُ ولكنهُ مات قبل ان تدركهُ فخنقت ذاتها ندمًا ويأسًا

(١) دوّار الشمس اي طفاوتها التي حولها

عطفًا على دَنِفٍ الى لقياكَ ذاب تشوّقا
يرعى الثواقب في الغيا هب سامدًا متأرّقا
في سوق صدّك درَّ دمـــع جفونهِ قد أنفقا
وارفقْ بقلبٍ مذ اقمـــت بهِ غدا متمزّقا
ايروق في عينيك ان تلقى حماكَ مخرَّقا
فالطفْ بعبدٍ لا يرى خيرًا لهُ ان يُعتقا
او لا فاني ميّتٌ من بعد ذا فلكَ البقا

(الرطانة ١)

طارحتها وجدي فابدت نفرةً ومضت تعيد الشتم بالطلياني
رعبوبةٌ فتّانةٌ من امّة فـــرنسيس (٣) تسبي لبَّ شارلمانِ (٣)
فكأنّها الوجين (٤) بعد مصابنا بوليونها وكأنني المانيّ

(١) الكلام بالاعجمية (٢) يحتمل ان يراد بهِ امة الفرنسيس او امة فرنسيس يوسف قيصر المنكاريين والمجريين الحالي (٣) ملك فرنسا وسلطان المغرب وهو رأس الدولة (الكارلوفنجية) وهي الدولة الثالثة لامة الفرنسيس . تبوأ العرش عام ٧٧١ م وتوفي عام ٨١٤ كان ذا شوكة وبأس ايّامًا فاضلاً وغيورًا عادلاً محبًّا للعلوم نصيرًا للمدنية دائبًا على تعزيز المُلك وتوطيد اركانهِ . عاصرَ الرشيد العباسيّ فاقتدى بهِ وتخلّق باخلاقهِ فكان اشهر ملك قام في الغرب كما كان الرشيد اشهر خليفة قام في الشرق (٤) هي سلطانة الفرنسيس

﴿ الغزل الملغز ﴾

(وفيه لغزٌ باسم غزال)

راح يسقي الراح اغيدْ طرْفهُ السفَّاح عربدْ
سلَّ عضبًا في مطاوي جفنهِ الفضَّاح مغمدْ
صار منهُ الخلق طُرًّا صرعًا في كل فدفدْ
يالهُ ظبيًا غريرًا صيد آجامٍ تصيَّدْ
هزَّ عطفًا قابلتهُ العرْب والاعجام سجَّدْ
ذو عذار شبهُ وشيٍ في ظبى سيفٍ مهنَّدْ

حليلة (شارل) لويس ابن لويس (نابوليون) الذي تولى سدَّة الملك باسم نابوليون الثالث كانت في صباها المشار اليها بالبنان والمثنى عليها بكل شفةٍ ولسان لما اودعتها الطبيعة من المحاسن واللطف وحبتها التربية من الكياسة والرقة والظرف رقت في عصر زوجها مقامًا تحسدها عليهِ السبع الطباق وبلغت في باحة المجد شأوًا اطار ذكرها في الآفاق ناهيك انها تصدَّرت في مائدةٍ جمعتْ ملوك الارض وكلهم بحسب احترامها كالسنَّة وتعظيمها كالفرض وحَسْبك انها لما انت مصر عام الاحتفال بفتح الخليج كان عزيز مصر في خدمتها ولفيف من امرآء الشرق والغرب في عداد حاشيتها ولما قدمت فروق (لقب القسطنطينية لانها تفرق بين القارَّتين آسيا واوروبا) استقبلها ساكن الجنان السلطان عبد العزيز حتى المرفأ وابدى لها من ضروب التكرمة والتبجيل ما يعزُّ عن المثيل واذ ذكرت نار الحرب بين الفرنسيس والالمان اقامها الامبراطور خليفةً لهُ على العرش تنظر في امرهِ وتقضي في حالتي خلّهِ وخمرهِ وخرج قائدًا

خلتُ ماءَ الحسن لمَّا في عذاريهِ نزرَّد
ذوب ماسٍ سال دفقًا فوق مرجٍ من زبرجدْ
هام قلبي بمعاني ثغرهِ العذْب المبرَّدْ
لستُ لا والله اسلو حبهُ في الوصل والصدْ
فليقُلْ ما شاءَ لاحٍ لامَ في حبي وفنَّدْ
وعجيبٌ انَّ حبي حالهُ المعجب مفردْ

للجيش يصدم بهِ العدوَّ . ولكن

في الدنيا تقول بملءِ فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركمُ مني ابتسامٌ فقولي مضحكٌ والفعل مبكِ

فان الدهر بعد ان سقاها سلسبيلاً وادار عليها من الصفو اكوابًا كان مزاجها زنجبيلاً في سدر مخضود وطلحٍ منضود وظلٍّ ممدود عاضها الزقُّوم والغسلين وهبط بها من اعلى عليين الى اسفل سافلين فغادرها في سموم وحميم وظلٍّ من يحموم لا بارد ولا كريم . ذلك ان زوجها بعد اذ كان حالفهُ النصر في معركة (سار بروك) وامَّل العالم لامة الفرنسيس الفتح المبين والفوز المكين خالفهُ التوفيق في سائر المعارك فقهرهُ اعداؤهُ واي قهر وكسرهُ مساجلوهُ واي كسر حتى اذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر اخلد الى الاستسلام بعد واقعة (سيدان) التي حدثت في ٤ ايلول عام ١٨٧٠ م فاخترط حسامهُ وسلمهُ الى الملك (غليوم) عدوِّهِ الالدّ مكتفيًا من النصر بالأسر مع ثمانين الفًا من جيشهِ وما برح مأسورًا في (فاستافاليا) من بلاد الالمان حتى خبت لظى الحرب بين الفريقين ثم لم يأتِ حينٌ من الدهر حتى المَّ بهِ داءٌ في المثانة عياءٍ ذهب بهِ الى دار الفناءِ بعد ان اذاقهُ صنوف الويل وافانين

بدرٌ تمٌ ان علاهُ الـغين(١) في الافق توقّدْ
واذا ما انزاح عنهُ زال كلاً وتبدّدْ

(البخار)

يامن يحيّرها استماع تكلمي وخفاء شخصي اذ اتيتُ الدارا
وتظنُّ اني ساحرٌ مستخدمٌ(٢) تخذ(٣) التكهُّن(٤) سيمةً وشعارا
لا تعجبي مما ترين حبيبتي فالعلم يكشف هاتهِ الاسرارا

البرحاء تاركًا وراءهُ المسكينة (اوجيني) على فراشٍ من القتاد ووسادةٍ من الرمضاء ولم يكتفِ بهذا الدهرُ الظالم حتى اثكلها وحيدها وبقية آمالها (البرنس امبريال) شهيدًا في بلاد الزولوس الافريقية مطعونًا بأسنة امة بربرية وهو يافعٌ في نضارة العمر وريعان الشباب وها هي الان في بلاد الانكليز كالغزالة النافرة في وادي زرود جزعًا على خشفها الغرير المزوّد تنثر لآليَّ الدمع على يواقيت الخدود وتضرّس عقيق الشفاه ببَرَد الثغر البرود ولسان حالها يقول . لقد جئت يادهر شيئًا فريًا ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا . تحاول الاعتصام بالصبر على ما انتابها بهِ الايام وهو بعيدٌ عنها بُعد المسجد الاقصى عن مسجد الحرام (١) الغيم . وحرف الهجاء المعروف وفي هذه اللفظة سرُّ اللغز (٢) الاستخدام عند اهل السحر اتخاذ الشيطان خادمًا بواسطة رياضةٍ يستعملها الساحر على وجه معلوم في مدّة معلومة تحت شرط معلوم . وهو من خزعبلات مخترقي الاعصر الخرافية كما لا يخفى (٣) بمعنى اتخذ . قال الشاعر

تخذوا العقيق مباسمًا وخدودا والياسمين ترائبًا وزنودا

(٤) ادّعاء معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وهو من ضروب الاستخدام

بحرارة الحب الشديد تمددت اجزاء جسمي فاستحال بخارا (١)

﴿ القنوط ﴾

بروحي مهاة تخجل الظبي والخشفا ... مليكة حسن حازت اللطف والظرفا
رداح تغار الزهر من حسن جيدها ... ويخجل زهر الروض ان نضت السجفا
لها شنة ان يرتشف دنف الهوى ... مراشفها يشفى ولوانه اشفى (٢)
بسوق الهوى راحت تبيع حشاشتي ... وقد جعلت اذذاك دلالها الحلفا (٣)
متى ياترى تأتي المنون تسومها ... فقد سئمت روحي الحيوة ولا خلفا (٤)
مزجت دموعي بالدماء وطالما ... جرعت كؤوس الصاب من صدها صرفا
غزالة انس قد غزتني بمقلة ... اذا جردت اسيافها قتلت ألفا

(١) هو عبارة عن تمدد السيالات والجوامد بفعل الحرارة واستحالتها الى هيئة غازية . واول من افتكر بالقوة التي تنشأ عن ضغط البخار انما هو (هيرو) الاسكندري الذي نبغ قبل المسيح بنحو مئة وثلاثين سنة ثم اشتغل به كثيرون من مثل (سافري) و (سمبتون) المهندسين البريتانيين و (نيوكمن) الحداد و (كولي) الزجاج ولم يترتب على اهتمامهم الاثر المطلوب قبل ان نبغ (جمس وط) النجار الانكليزي الذي تهيأ له اصطناع اول آلة بخارية محكمة الصنع ومن عهده اخذ رجال الغرب بتوسيع نطاق هذا الاختراع واستخدامه في عواجل البر ومواخر البحر (اول سفينة بخارية مخرت في البحار انما هي السفينة المسماة . كلارمون . انزلها روبرت فلطن الاميريكي في نيويورك في ١٠ آب عام ١٨٠٧ م فسافرت منها الى فيلادلفيا) ومعامل الحياكة والنسج وادوات الحرث والطبع الى غير ذلك حتى كاد لا يقوم معمل في الدنيا الا والبخار نقطة دائرته وجرثومة حياته (٢) اشرف على الموت (٣) نكث الوعد (٤) ولا كذب

وغارت (١) على ضعني تبدّد قوّتي ... وياليتها غارت (٢) فبدّدت الضعنا
شكوتُ لها ما الاتي من الجوى ... فزادت عليهِ من تمادي الجفا ضعنا
هو الصدُّ تبديهِ صنوفًا عديدةً ... اذا كان باقي الغيد يبدينهُ صنفا
جفتْ مقلتي طيب الرقاد فاصبحت ... كغانيةٍ اضحى السهاد لها الفا (٣)
يغار عليها من سواهُ صبابةً ... فيمسكها عن وصل نوم الدُجى عننا (٤)
قد استملكت قسرًا جميع جوارحي ... فصارت لها من دون كل الملا وقفا (٥)
نسكّن منها ما تراهُ محرّكًا ... كقارئة في مصحف صادفت وقفا (٦)
محاسنها خطّتْ على لوح مهجتي ... من الحبّ آياتٍ غدت تملأُ الصحفا
تلاهى فؤادي مذ تلاها عن السوى ... ولما تلاها (٧) البُعد بعد الشفا اشفى
الى الله اشكو جور سلمى فانها ... دهتني بودّ راح يوردني الحتفا
سبتني بجيد يفضح العقد حسنهُ ... يجاور اذنًا تفضح القرط والشنفا (٨)
لها قامةٌ يزرى الغصون انعطافها ... ولكنها لا تعرف الميل والعطفا
اذا ما تثنّت فوق بارز ردفها ... خشيتُ على خيزور قامتها القصفا
بوجهٍ صرفتُ القلب نحو جمالهِ ... فعلمني في حبهِ النحو والصرفا
وصدغٍ تلقّى النحو عن ابن حاجب ... الم ترَ كيف الواو يجعلها عطفا
وثغرٍ كميمٍ كل صادٍ (٩) قضى اسىً ... لقا الف (١٠) قد لازمت ذلك الحرفا

(١) من الغارة (٢) من الغيرة (٣) من الالفة (٤) يقول ان مقلتهُ بالسهر اشبهت غانيةً الفها السهاد فهو يمنعها عن وصال النوم الذي هو ضدُّهُ كلفًا بها وغيرةً عليها (٥) الوقف هو حبس المُلك لجهة معلومة (٦) من شروط القارئ اذا بلغ منتهى الآية ان يهمل اعرابهُ ويسكّنهُ دليلاً على الوقف (٧) الاولى من اللهو والثانية من التلاوة والثالثة من التلو (٨) حليةٌ تُلبس باعلى الاذن وهي خلاف القرط وقد مرّ تفسيرهُ (٩) عطشان (١٠) الاوّل من حروف الهجاء ويعني بملازمتها الميم (ما) النافية

هي الصبح فرقًا والغزالة طلعةً ... وجنح الدجى فرعًا وزهر الربى عرفا
وكأس الطلا ثغرًا واوام الطلا اطلى ... وبان النقا عطفًا ودعص (٣) الفلا ردفا
اعلّل نفسي بالاماني وانني ... لأعلم ان النار بالنار لا تُطفى
واصبحتُ ارجو من هواها تخلصًا ... ولكن مريض الحبّ هيهات ان يشفى
على انني ذرت الامور الى الذي ... لغير ذرى علياهُ لا امدد الطرفا
فان شاء ألقاني بوهدة زلتي ... وان شاء نجّاني وعما مضى عفّا

(ولّادة الاندلس)

رفقًا ايافتنة الاسبان قاطبةً ... بن حكى دمعهُ انهار جيرون (٤)
لو قام يشرح ما يلقاهُ من ولهٍ ... يعوزهُ الامر احياءً ابن خلدون (٥)

(١) الخشف وهو ولد الغزالة (٢) جمع طلية وهي العنق او اصلهُ
(٣) تلٌّ الرمل المستدير وبرادفهُ الرابية والربوة والربية والحقف والنقا والكثيب . وجلُّ هذه الالفاظ واردٌ في هذا الديوان دون تفسير فليراجع
(٤) اسمٌ قديم لدمشق او لبابٍ من ابوابها (٥) هو الوزير عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون الاشبيلي المغربي الفيلسوف صاحب التاريخ المشهور بعدٌّ من اجلّ مؤرّخي الاسلام وفحول علمائهِ . ولد في تونس عام ٧٣٢ للهجرة ومات في القاهرة سنة ٨٠٨ ولهُ شعرٌ مقبول منهُ قولهُ

اسرفنَ في هجري وفي تعذيبي ... واطلنَ موقف عبرتي وتحيبي
واين يوم البين موقف ساعةٍ ... لوداع مشغوف الفؤاد كئيبِ
لله عهد الظاعنين وقد غدا ... قلبي رهين صبابةٍ ووجيبِ
غربتْ ركائبهم ودمعي سافحٌ ... فشرقتُ بعدهمُ بماءٍ غروبِ

ان كنتِ ليلى وقد قمّصتِ اثانيةً (١) فالعبد قيسٌ ولكن غير مجنونِ
او كنتِ ولّادة في ارض اندلسٍ (٢) فما اسير هواكِ الّا ابن زيدونِ

﴿ عبد شمس ﴾

(في غانية اسمها شمس وقد ضمّنها واقعة حال)

شمس حسنٍ جمعتني معها ليلةُ انسِ
ذات لحظ مذ بدا لي سيفهُ هيّأتُ ترسي

(١) من التقميص ويقال له التناسخ . وهو انتقال النفس من جسد الى جسد آخر عند من يعتقد ذلك فكأنهم جعلوا الاجساد اقمصةً للارواح تنتقل من واحد الى آخر دوراً بعد دور . وقد غلط من قال التقنيص (بالنون) والعامة تقوله (٢) هو مجنون ليلى المشهور . قال عنهُ المؤلف في شرح مقدّمة كتابهِ (كنز الناظم) ما نصهُ . هو ابن الملوّح العامريّ وليلى ابنة عمهِ علق بها فصار بحبهِ لها مشهوراً . فخطبها فردّ فهام فجُنّ فمات حصوراً (٣) هي بنت المستكفي بن المستظهر احد خلفاء الدولة الأموية في الاندلس الفائلة

انا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي وانيهُ تيها
امكّن عاشقي من لثم ثغري واعطي قبلتي من يشتهيها

كانت صبيحة الوجه بارعة الجمال رخيمة الصوت لطيفة النكتة ذات ادبٍ غضّ ونظمٍ رائع وخُلق جليل وكانت بعد نكبة ابيها قد بذلت للناس حجابها فازدحمت في اعتابها اقدام فحول الكتّاب والشعراء وهرع الى رحابها وزراء الدولة وعلية الامراء فكانوا يعاشرونها فتحاضرهم ويراودونها فتهندمهم وقصتها مع الوزير ابن زيدون اشهر من مشكاة فيها مصباح وكان قد هام بها وهامت بهِ حتى سالت بذكر حبّهما البطاح ونظم تشبيباً بها من بديع الاشعار ما

اومأت نحوي وقالت لفتى قربي بهمس (١)
ما اسم هذا قلت يا سيدة اسمي عبد شمس
فانثنت تيها وعجبا واجابتني ميرسي (٢)

تناشدته رجال الاسفار في الامصار ومما نظمت فبعثت اليه قولها

ترقب اذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر لم ينر وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

﴿ وقولها ايضا ﴾

لحاظكم تجرحنا في الحشى ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذي اوجب جرح الصدود

وممن كلف بها الوزير ابن عبدوس الملقب بالفار وكانت ولادة تعبث به وتسخر منه فبعث اليها يوما بامرأة تستميلها اليه وتغريها على التفرد به والاقتصار عليه فطار الخبر الى ابن زيدون فبعث له عن لسانها برسالة بديعة تتضمن شتمه والتهكم عليه وقد شرح هذه الرسالة ابن نباتة الشاعر المصري فجاءت مجلدا ضخما عامرا بالمحاسن جامعا لغرر الامثال ولطائف النكات مدبجا بفرائد اسجاع ترتاح اليها الاسماع ولكن بعد ان تحول ابن زيدون الى اشبيلية انصرفت ولادة الى ابن عبدوس وخادنته وفي ذلك ابن زيدون يقول

اكرم بولادة علقا لمعتلق لو فرقت بين عطار وبطار
قالوا ابو عامر اضحى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار
عيروني بان قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذاك من عار
زاد شهي اصبنا من اطايبه بعضا وبعض صفحنا عنه للفار

(١) بصوت خفي (٢) كلمة فرنسوية معناها اشكرك او استكثر خيرك

(الورد الجوري)

بدا خالها في خدّها فوق صحنهِ كعنبرةٍ في وردةٍ فوق كافورِ
رداحٍ لقد اغنى عن المرط[1] شعرها فغشّت عمود الصبح لجّة ديجورِ
ترشّفتُ منها ماءَ خدٍّ مورّدٍ اصار فؤادي من لظاهُ بتنّورِ
فقالت اذا لم تدرِ نسبة وَرْدهِ اجورُ بلاشكٍّ فقلت لها جوري[2]

﴿ التعريض ﴾

(نُظمت بالاقتراح على لسان بعض السيّدات ولها حكايةٌ)

انا بيت الجمال بهِ بساط اللطف مفروشُ
بجنّ اليهِ اهل الذ وق لا اعمي واطروشُ[3]
فوجهي روض نسريـ ـن بماء الحسن مرشوشُ
واحداقي سهام العشـ ـق اهدابي لها ريشُ
على خدّيَّ ابريزٌ[4] بمسك الخال مغشوشُ
وعنقي حوض بلّورٍ عليهِ الشعر معروشُ

(١) الكساء من خزّ (٢) امرٌ من الجور ونسبة الى جور وهي مدينة فيروزاباد تبعد عن شيراز عشرين فرسخًا ينسب اليها الورد الجوريّ وهو الشديد الحُمرة . والتورية في البيت بلجة لم تغشها من ظلمة الشعر لجة (٣) يوجد هنا في الاصل عَلَمانِ لرجلين معروفين عدل عنهما المؤلف الى هاتين الصفتين تأدبًا (٤) ذهب صافٍ . ويرادفهُ العسجد والنضار والتبر والحجر والعين والورق او هو الدراهم وجلّ هذه الالفاظ وارد في هذا الديوان

وصدري عرش آشور[1] ونهدي فوقهُ كوش[2]
واعطافي وارد افي بها كيوانُ[3] مدهوشُ

(١) اوّل مملكةٍ قامت في الدنيا انما هي المملكة الآشورية نسبةً الى آشور ابن سام بن نوح الذي كان رأس ملوكها وباني اركانها وذلك انهُ بعد تبلبل الالسن ونشتت العالَم في اقطار الارض جاء آشور مع فريقٍ من قومهِ الى ارض شنعار واختطّ هنالك مدينة (نينوى) وذلك عام ٢٢٢٩ قبل المسيح واحاطها بسورٍ منيع يبلغ ارتفاعهُ خمسين ذراعًا وعزّزها بخمسة عشر برجًا مساحة كلٍ منها مئة ذراع قيل كان لا يطاف حول هذي المدينة الغنّاء الواسعة الارجاء بأقلّ من ثلاثين ساعة ومنذ ذلك اليوم ابتدأ ذلك الفريق من الناس ان يستقلّ بتلك الارض حتى أُطلق عليها اسم مملكة ثم اتّسع نطاقها حتى بلغت شأوًا ما كان لدولةٍ في عصرنا الحاضر ان تبلغهُ (٢) هكذا ورد اسمهُ في بعض التواريخ . وهو كورش بن كمبز ملك فارس من منداني بنت استياج ملك مادي ولد هذا الرجل نحو سنة ١٨٠٠ بعد الطوفان (ولظروف ميلادهِ وتربيتهِ قصةٌ لا يحتملها المقام) وعند ما بلغ اشدّهُ حارب جدّهُ استياج فقهرهُ ثم ورث عن خالهِ داريوس مملكتي مادي وبابل واستولى عليهما وضمّهما الى فارس كان هذا الملك مظفّرًا مهيبًا كثير الفتوحات اخضع لحكومتهِ امة الفرثيين واكتسح جميع البلاد التي بين النهرين ثم ارمينيا وسورية وآسيا الصغرى وقسمًا من بلاد العرب ثم مملكة ليديا التي كان افتتح (كريسوس) ملكها كثيرًا من ولايات آسيا ولكنهُ بعد ذلك قُتل في حربٍ قام بها على التتر المنتشرين على ضفاف بحر الخزر اذ التقتهُ ملكتهم (طوميريس) وقهرتهُ بعد قتالٍ شديد قُتل فيهِ ابن الملكة المذكورة ولما تمكّنت من اسرهِ قتلتهُ بثأر ابنها وكانت مدّة ملكهِ ثلاثين عامًا (٣) اسم زُحل وهو من الكواكب السيّارة

وحسن الخُلق لي وِردٌ (١) على كفيّ منقوشُ

﴿ الزُهرة ﴾

بأبي وامي وجنةً في جنةٍ من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
لاهلة الحسن (٢) التي فُتنتْ بها فتعبّدتها امة اليونانِ

(١) هو الجزء من القرآن يتلوهُ الانسان كلّ ليلةٍ والوظيفة من قراءةٍ ونحو ذلك . يقال قرأ فلانٌ وِردهُ اي وظيفتهُ المفروضة عليهِ (٢) هي الزُهرة احدى السيّارات السبع وعندهم انها ولدت من زبد البحر فظهر وراءها (ايروس) معبود الحب الذي مرّ بك ذكرهُ في الكلام عن الحب الافلاطوني ويسميه الافرنج (امور) ومعناهُ الحب او معشوق النفس وهو من اقدم معبودات اليونان وقيل انهُ هو واضع الحركة في الخلاء قبل ان تشغلهُ الكائنات وبظهوره في الارض صار الحبُّ ذاتًا بعد ان كان معنىً . وحقيقةً بعد ان كان وهمًا . وفي حيّز الهيولى بعد ان كان تصوّريًا . ويشخّص دائمًا بفتىً عريان على عينيهِ عصابةٌ رمزًا الى الجهل ولهُ جناحان رمزًا الى عدم الثبات وباحدى يديه قوسٌ وبالاخرى كنانةٌ مملوّةٌ بالنبال رمزًا الى فعلهِ القتّال . هذا وان في وصف ذات الحسن وتعريفها كلامًا للمؤلف رأينا ان نثبتهُ هنا لان المقام يقتضيهِ وهو *بهيّة الطلعة مكتئمتها . عريضة الجبهة عالينها . نقية البَشرة ناعمتها . معتدلة الخلق مكتنزتهُ . برود الثغر مفلجتهُ . ياقوتية الشفاه عقيقيّتها . حلوة المبسم طيّبتهُ . عذب المقبل شهيّتهُ . غَرِدة الصوت شجيّتهُ . بضة المجرّد صقيلتهُ . مهفهفة القوام مائستهُ . اسيلة الخدّ ورديتهُ . دجوجية الشعر مسترسلتهُ بعيدة مهوى القرط ساطعتهُ . تلعة الجيد رائعتهُ . بلّورية الترائب . عاجية المناكب . عريضة صفحة الصدر منبسطتهُ . كاعب الثدي ناهدتهُ . ضخمة العضد

قامت باعلاها عيونٌ (١) تنتضي قُضُباً أُنيط بها قصاص الجاني (٢)
وبدت بأدناها عيونٌ ماؤها يحيي فتحسبهُ المسيح الثاني
حبستهُ وسط غديرياقوتٍ بهِ درٌّ يحاط بضفّتي (٣) مرجانِ
والخال يمرح في الرياض مداعباً حُوراً حللنَ بلحظها الفتّانِ
ولذا المنادي راح يصرخ والملا من حولهِ يصطفُّ كالبنيان (٤)

مشبعتهُ . مبرومة المعصم مدملجتهُ . طرية الكف لطيفتها . سبطة البنان . براقة الاعكان . نحيلة الخصر . جائعة الوشاح . رداح القبل بارزتهُ . رابية الردف منموّجتهُ . لفاء الفخذين . ربي الاوراك . عظيمة الركبة . مفعمة الساق . صموت الخلخال . صغيرة الكعب والقدم . قطوف الخطو . معقربة الصدغ خلقةً . معنبرة الطرّة . كافورية الغرّة . مسكية الخال . بادية الشنب . شيقة الخفر . بيضاء زهراء . وطفاء قمراء . كحلاء زجاء . بلجاء دعجاء . عجباء برجاء . عيناء حوراء . قنواء شمراء . مطماع مكسال . نؤوم الضحى . تترنح ولا تصنّع وتبتسم ولا تكلّف . وترنو ولا عجب وتلتفت ولا خنة . وتهند ولا خلاعة . وتغازل ولا فحش وتلحن (اي تقول قولاً يفهمهُ المخاطب دون غيره) ولا لحن

غرّاء لو جلت الخدود شعاعها للشمس عند طلوعها لم تشرقِ
غصنٌ على دعص تأوّد فوقهُ قمرٌ تألّق تحت ليل مطبقِ
لو قيل للحسن احتكم لم يعدُها او قيل خاطبْ غيرها لم ينطقِ
وكأننا من فرعها في مغربٍ وكأننا من وجهها في مشرقِ
تبدو فيهتف للعيون ضياؤها الويل حلّ بمقلةٍ لم تطبقِ

(١) رقباء . وقد مرّ ذكرها (٢) جاني الزهر ومرتكب الجناية . وكلا المعنيين مقصودٌ هنا توريةً (٣) مثنّى ضفة وهي حافة النهر (٤) من قولهِ في سورة الصفّ (يقاتلون في سبيلهِ صفّاً كأنهم بنيانٌ مرصوص)

لاتقربوا ياقوم ندحة(١) جنّتي فالحُور قدزُفّت على الولدانِ

(كُليمة)

بفؤادي غادةٌ ان اقبلت خلتُ شمس الصبح في الأفق نجيمهْ
قلت اذ طال تجافيها عِدي صبّكِ المضنى بوصل ياكُليمهْ(٢)
فاجابت بنفارٍ ما المرا د وماذا قلتهُ قلتُ كُليمهْ(٣)

(الرحيق المختوم)

تفلتْ فذاق الترْب منها كوثرًا فحسدتهُ فسقتنيَ اليحموما(٤)
هامت باسباب الجفا فكأنهُ قمر الملاحة يستهيم نجوما
من غزل لحظيها حبتْني حلّةً قد الحمتها شدّةً وهموما
ما زلت اكتم حبها واصونهُ حتى اباح سقاميَ المكتوما
يافتنة البلغاءِ يامن وضحت الفاظها المنطوق والمفهوما
وانت تعلّمنا نوابغ ثغرها ان نحسن المنثور والمنظوما
لو لم يكن فمكِ المحجوهر خاتمًا لم يدعَ خمر رضابكِ المختوما

(١) ما اتسع من الارض (٢) ترخيم (كليانتين) وهو عند الافرنج من اعلام النساء (٣) تصغير كلمة . واسم المحبوبة كما مرّ . والبيت يشمل المعنيين تورية (٤) الدخان الاسود . ومنهُ في سورة الواقعة (في سموم وحميم وظلّ من يحموم لا بارد ولا كريم)

(العرش)

يامن بصحيح نبوّتها شهدت أُمم الدنيا طُرًّا
سيما من بعد تلاوتهم آيات محاسنها الكبرى
ياما لكة الثقلين(١) ويا نور القمرين(٢) ولا فخرا
يافاتنة الأفلاك بلا كفرٍ بسجاياها الغرّا
رفقًا بفؤاد أضحى عرش جمالكِ يا كليو باترا(٣)

(١) الانس والجن (٢) الشمس والقمر على طريق التغليب (٣) هي من الملوك البطالسة الذين تغلبوا على مصر عقيب دولة الفراعنة المنقرضة اقترنت باخيها (بطليموس ديونيسيوس) سنة ٥٢ قبل الميلاد وكان في سن الثلاث عشرة وهي في السابعة عشرة فراودتها نفسها على الاستئثار بالعرش دونه فقاومها رجال البلاط واوصياء زوجها القاصر حتى اذا اعيتها الحيل عمدت الى الاستنصار (باغسطوس) قيصر الرومان فألّف ذات بينهما ولكنها بعد قليل تزوّجت باخيها الثاني ولم يكن قد اتى عليه احدى عشرة سنة فنودي به بأمر قيصر ملكًا على مصر ثم مات هذا مسمومًا بعد زواجه باربعة اعوام ولما خلا العرش من ملك بعث انطونيوس احد مشتركي دولة الرومان الاربعة فاستدعى (كليو باترا) الى طرسوس حيثما كان ذاهبًا لمحاربة (بروتوس) الروماني فلبّت الدعوة وسارت على اجنحة الرياح حتى بلغت نهر طرسوس وهنالك اتخذت لها سفينة فاخرة الاثاث ارجوانية السجف والقلاع مزدانة ببديع الاواني ونفائس الجواهر وافرغت على قدّها الفتان حلّة كسرويّة مديجة بالماس والدرّ وكلّلت جبينها الوضّاح بتاج وهّاج والبست وصائفها الحور ثيابًا خضرًا من سندس واستبرق وتصدّرت بينهنّ كأنها الشمس وكأنهنّ البدور

﴿ تجاهل العارف ﴾

بالنفس افدي خدّ خود عطّر الا رجاء طيبا مسكهُ المفتوتُ
وعقيق ثغرٍ زانهُ درٌّ بدا كقلادتين غلافهُ الياقوتُ
خُزن الرحيقُ بهِ يمازج شهدهُ فغلا على اهل الغرام القوتُ

وهنّ يضربن بالعيدان والقيثار ويطلقن الند والبخور حتى عبق الشاطئ بريّاها وماج النهر طربًا بنغمات اعوادهنّ ولألاء محيّاها فلما القيها (انطونيوس) استطار فؤادهُ شغفًا وذهب رشدهُ هيامًا وكلفًا فما عتم ان عاد معها الى الاسكندرية وهنالك زُفّت عليهِ حليلةً فلم يستطع بعد على فراقها صبرًا فغادر واجباتهُ ومهامهُ الى التقادير واصبح حِلس بيتهِ لا يستفيق من خمرة حبها سكرًا ولما طار الخبر الى زوجتهِ الاولى (اوكتافيا) نزغها من شيطان الغيرة نازغٌ فاغرت اخاها (اوكتافيوس) احد الشركاء الاربعة على مناصبهِ والانتقام منهُ فحشد جيشًا خميسًا وقصد الديار المصرية فتغلّب عليها بعد نزالٍ يشيب لهولهِ الوليد ولما حمي الوطيس واحسّ انطونيوس بسوء المنقلب سقط في يدهِ ولات حين ندامة فتناول مديةً وطعن بها ثديهُ فكانت القاضية واما (كليوباترا) فلما لم تنطلِ اساليبها على اوكتافيوس ولم تقوَ على اختلابهِ بما اوتيت من الجمال الباهر واللطف الساحر تبوّأت عرشها بعد ان احاطت بهِ سراريها واترابها وكانت قد زيّنت رأسها بالتاج وافرغت على جسدها البلّوريّ حلةً من نفيس الديباج ثم زحزحت غلالتها عن نهديها العاجيين واطلقت صلاً (اي حيةً خبيثة) على صفحة صدرها المزري باللجين فلدغها لدغة مشوقٍ ملهوف اوردتها حياض الحتوف وكان ذلك سنة ٣٠ قبل المسيح وبموتها قرض الله دولة البطالسة بعد ان حكمت مصر ٢٩٤ عامًا فسبحانهُ اذا قضى امرًا فانما يقول لهُ كن فيكون

يافتنة الحُور التي تلفتْ بها نفسي اموسى انتِ ام هاروتُ (١)
ما في وشاحكِ صورةٌ ام دميةٌ عاجيةٌ ام مرمرٌ منحوتُ
وسنا وجهكِ ذا ام البدر آنبرى يحكي جمالكِ والنجوم سكوتُ
قولي بحقّ ابيكِ مغناكِ السما ام بقعة الفردوس ام بيروتُ
انسيتني دين ابن مريم بالذي القى وحلّ عقيدتي الطاغوتُ (٢)
ما كنت ادري ان من يهوى ملا ئكةً تولى روحهُ البهموتُ (٣)
ما شام حسنكِ ناسكٌ في معبد الاّ عداهُ تهجّدٌ وقنوتُ (٤)
صلّى الامام لكِ البقاءَ وهيّأتْ لقتيلكِ الاكفان والتابوتُ
لو لم تكوني في النسا حبّابةً (٥) ما كنت مثل بزيدهنّ اموتُ

(١) احد الملكين اللذين أُنزل عليهم السحر ببابل وعليه في سورة البقرة (وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) ومنهُ قول المؤلّف

رويتُ عن الاحداق تاريخ بابلٍ من البدء حتى عصر هاروت ذي النورِ
فقالوا ومن يروي وعمّن اجبتهم بتورية راوي الرواية عنحوري (عن حور)
وهذا سرُّ تسمية هذا الديوان (بسحر هاروت) (٢) اللات والعزّى والكاهن والشيطان وكلُّ ما عُبد من دون الله ومردة اهل الكتاب ومنهُ في سورة النسآء (يؤمنون بالجبت والطاغوت) جمعها طواغيت وطواغ. وقد يكون المفرد جمعاً كما في سورة البقرة (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) ولفظة (حلّ) استغرقت تورية معنيي الحلول والحلّ (الذي هو ضدُّ العقد) كما لا يخفى (٣) الشيطان (٤) عداهُ فاتهُ والتهجد صلوة الليل والقنوت الطاعة والدعآء والقيام للصلوة والامساك عن الكلام فيها ومنهُ في سورة البقرة (وقوموا لله قانتين) (٥) هي مولّدةٌ مدنية كانت صبيحة الوجه

(التشطير)

وبي اغنّ اذا غنى غنيتُ بهِ عن كلّ غانية تشدو بلا وجلِ
ذو منطقٍ ناظمٍ درًّا كفيت بهِ عن الغزالة والغزلان والغزلِ
اذا بدا او رنا او راح مبتسمًا فالشمس والنفس والايماض في عللِ
او قام ليلاً تدير الراح راحتهُ فالظبي والبدر والاغصان في خجلِ

ملحة النادرة . لطيفة الحاضرة . خفيفة الروح . غردة الصوت . شجية الغناء ضاربة بالعود اخذت اصواتها عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد وجميلة وعزّة الميلاء وغيرهم من فحول عصرها ومجيديهم تملكها يزيد بن عبد الملك الاموي وكان مغرمًا بالنساء شديد الكلف بهنّ فهام بها ولا هيام قيس بليلاه وعلقها ولا علوق ابي نواس بحميّاه فتهتّك وخلع عذارهُ وانقطع اليها ليلهُ ونهارهُ تاركًا بين ايديها ازمة دينهِ ودنياه فكانت تعزل من تشاء وتولي من تشاء وتحول بينهُ وبين الصوم والصلوة حتى اشتهر امرهُ وساء ذكرهُ ولو قائعهُ معها نكاهات ونوادر لا يحتملها المقام . قيل نزل واياها يومًا ببيت راس وهي قرية من الشام فقال زعم السلف ان الدهر لا يصفو لاحدٍ يومًا كاملاً وماذا عليّ لو غادرتُ كلامهم نجمًا افلاً ثم قال لغلامهِ ويحك لا تمكّن بشرًا من الوقوف ببابي ولا تدع احدًا يخرق حجابي ثم خلا بجيّابة وما برح معها في لهو وطرب بين هذل ولعب حتى استقام قسطاس النهار فدعا بطبق رمّان كانهُ شعلة نار او ياقوت تحتهُ بلّار او حبُّ آس غاص بالجلّنار فشرقت حبّابة بحبة منهُ ذهبت بروحها الى عالم العدم فصاح يزيد صيحة الالم وطارت نفسهُ باثرها شعاعًا وطفق يعضُّ انامله جزعًا والتياعًا وما فتئ يقبّلها وينوح وهو على مثل شوك القتاد حتى سطع ريحها وادركها الفساد فادعوها الثرى حنف انفهِ وهو يدمي بثناياه باطن كفهِ ومازال يذري بعدها العبرات ويردّد الانين والحسرات

(التخميس)

غبتم فغبت عن الديار وذرتها ومضاجعي بعد الوصال هجرتها
قسماً بقبلة كعبةٍ قبلتها لو ان روحي في يدي ووهبتها
لدنوّ طيف خيالكم لم اكتفِ

ضاع الزمان ولم الاقِ موالياً اشدو لبعدهم الفراق مواليا
تالله لو اضع الضلوع مراقيا او انني اضع العيون مواطيا
لمبشري بقدومكم لم انصفِ

(التورية)

بفؤادي معاطفاً مائسات كرماح قد ثقّفتها رُدَينة (١)

حتى نزلت به منيته بعد اسبوعين وهو معانق ضريحها فدفن حذاءها ولسان حاله يقول

اموت على اثر الحبيبة ظاعناً ليجتمع الروحان في عالم الخلدِ

وكان ذلك سنة ١٠٥ للهجرة. ومن شعره لها

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطرُ ما للفؤاد سوى ذكراكمُ وطرُ
ان سار صحبيَ لم املك تذكّرهم او عرّسوا فهموم النفس والسهرُ

(ومن شعرها له)

اذا انت لم تعشقْ ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الاّ ما تلذُّ وتشتهي وان لام فيهِ ذو الشنار وفنّدا

(١) هي زوجة سمهر التي كانت تثقّف الرماح مع زوجها في خط هجر وقد مرّ ذكرها في شرح القصيدة المسمّاة ﴿ يمين المفتون ﴾

زاد حبي فذاب قلبي هياماً بجميلٍ يروي لنا عن بُثينة (١)

(الاستخدام)

وغزالةٍ رعت السواد من الحشي لما رأته بعد ذا لم يعشبِ
غربت فاطلعت الدموع محاجري وكذا النجوم تلوح بعد المغربِ

(١) اسم غادةٍ من بني عذرة كانت اكثر النساء جمالاً واكملهن ادباً واطيبهن حديثاً هام بها فتى من قومها اسمهُ جميل وهامت بهِ حتى سارت بذكر هواها الركبان . وتداولتهُ كالمثل السائر السن الانس والجانّ . قال الشاعر

هام قلبي بمعانيها كما هام من قبلي جميلٌ ببثنهْ

خطبها من ابيها فردّهُ لداعية تشبيبهِ بها فانهُ كان قد طبّق الفضاء بذكرها غزلاً ونسيباً . وملأ الاحياء ببيان علاقتهِ بها وصفاً وتشبيباً . وحسبك قولهُ وقد اودعهُ معنًى غريباً

هواها هوىً لا يعرف القلب غيرهُ فليس لهُ قبلٌ وليس لهُ بعدُ

ثمّ ازوجها ابوها برجلٍ اسمهُ نبيه فكان ذلك اغراء لهما على الانبعاث في الوجد والامعان في الكَلَف فكانا يخلسان الاوقات وينتهزان الفرص فيجتمعان على غفلةٍ من الرقيب والمعنّف . ولكن على حدّ قول المؤلّف

أُعانق منها الريم في ثوب عفةٍ عليها العفا تلك التي قصّرتْ سعدي

قيل لما حانت منيّة جميل وهو في مصر قال لمن حولهِ من ينعاني الى بُثينة فقال بعض الحضور انا ياجميل فرمى لهُ بخاتمٍ فتلقّفها الرجل ومضى حتى اذا اتى الحيّ وقف على شرفٍ فانشد

بكر النعيُّ وما كنى بجميلِ وثوى بمصر ثواء غير قفولِ
بكر النعيُّ بفارسٍ ذي همةٍ بطلٍ اذا حُمّ القضاء مذيلِ

فسعت اليهِ بثينة سافرة وهي تقول

(مراعاة النظير)

لا تعجبوا من بعد لثمي خدّها ان عشت يوماً ثم اتلفني الهوى
فالنور في جنح الظلام يعيش من لفح اللظى ويموت من نفح الهوا

(الجناس التام)

وذات خدرٍ لنا من ثغرها قدحٌ ومن رياضٍ زهت في خدّها نزهةْ
تنزّهتْ عن مثيلٍ في محاسنها لذا دعوها لارباب الهوى نزهةْ

وان سلوّي عن جميلٍ لساعةٌ من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواءٌ علينا يا جميل بن معمر اذا متّ بأساءَ الحيوة وليتها

ثم قالت يا هذا ان كنت صادقاً فقد قتلتني وان كنت كاذباً فقد فضحتني فقال عداني الكذب والله ثم اراها الحلّة فصاحت واجمالاه ثم رفعت عقيرتها معولةً مولولةً حتى غشي عليها ولما هدأ روعها استأنفت الانشاد وما برح ذلك شأنها حتى ماتت ولسان حالها يقول

هو الحبُّ فاسلم بالحشى ما الهوى سهلُ فما اختاره مضنًى به وله عقلُ
وعش خاليًا فالحبُّ راحةُ عنا واوّلهُ سقمٌ وآخرهُ قتلُ

و(بُثينة) ايضاً اسم بنت المعتمد بن عباد من معشوقته الرميكية (وستذكر) وكانت كأمّها نادرة زمانها في الادب والظرف وزهرة اقرانها في المحاسن واللطف فلما نكب اباها سلطانُ المغرب (يوسف بن تاشفين) سُبيَتْ بثينة وبيعت كالسراري الى تاجر في (اشبيلية) فوهبها لابنٍ له فلما رام مساورتها تجافت عنهُ واطلعتهُ على خبيئة امرها ثم اشارت عليهِ بالعقد عليها والبناء بها بعد الامهار واسترضاء الاصهار فلبّاها فكتبت الى ابيها وهو في حبس امير المغرب بتلك الابيات العذبة المذاق . التي طار ذكرها في الآفاق وهي

(الجناس المركّب)

هل جرّعنكَ بصدّها ودلالها مثل ابن مريم علقماً او صابا(١)
اوصابَ قلبكَ(٢) نبل فاتك لحظها حتى اراهُ ممزّقاً اوصابا (٣)

(الجناس المطرف)

عاتبوني اذا رأوا دمعي يسيل م وجفني دامياً يشكو الجراحْ
قلت حبي قد نوى وصل النوى ليس لي بعد النوى الاّ النواحْ

اسمعْ كلامي واستمعْ لمقالتي فهي العقود بدت من الاجيادِ
لا تنكروا اني سبيتُ وانني بنت المليك من بني عبادِ
ملكٍ عظيمٍ قد تولّى عصرهُ وكذا الزمان يأول للافسادِ
لما اراد الله فرقة شملنا واذاقنا طعم الاسى من زادِ
قام النفاق على ابي في مُلكهِ فدنا الفراق ولم يكن بمرادِ
فمضيتُ هاربةً فحازني امرهُ لم يأتِ في اعجالهِ بسدادِ
اذ باعني بيع العبيد فضمّني من صانني الاّ من الانكادِ
واراد ني لفراش نجلٍ طاهر حسن الخلائق من بني الانجادِ
ومضى اليك بسوم رأيك في الرضى ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تمتّعني بهِ ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكة الملوك بفضلها تدعو لنا باليمن والاسعادِ

فكان الجواب امضاء العقد وتوقيعهُ بالاشهاد . والدعاء للعروسين بالرفاء والاولاد (١) عصارة الحنظل (وقد مرّت) يشير بذلك الى قولهِ في الانجيل (وسقوهُ باسفنجةٍ مرارةً وخلاً) (٢) بمعنى اصاب (٣) جمع وَصَب وهو الوجع الدائم

(اللزوم)

حلّت عُرى ازرارها عن صدرها فرأيت منهُ مطلع القمرين
فكأنَّ عرش الروم(١) صفحة صدرها وكأنَّ ثدياها المليكة ريني(٢

(الاقتباس)

اتى وهو يثني عطفهُ متلفتًا فلم ادرِ هل غصنٌ أتاني ام رشا

(١) المراد به عرش (بيزنطية) وهي مدينة قديمة كانت على ساحل البوسفور بنيت على آثارها القسطنطينية عاصمة الروم اوانئذٍ (٢) هكذا ورد في بعض كتب العرب والصحيح انهُ (ايريني) وهو اسم سلطانة (بيزنطية) ولدت في آثينا سنة ٧٥٢ م ومانت في جزيرة (ليسبوس) سنة ٨٠٢ كانت موصوفة بمحاسنها مشهورة بحصافة عقلها وتوقد ذكائها تزوّجت (بلاون) الرابع فرانت على عقلهِ واستولت على قلبهِ ولما مات سنة ٧٨٠ عهد اليها وصاية ابنهِ قسطنطين الخامس ففامت باعباء المُلك حقّ القيام حتى اذا ساعدها القدر وطاوعتها الايام بطرت واستكبرت ونزغها من شيطان الانانية نازغٌ فعقدت مع هرون الرشيد صلحًا مجحفًا بحقوق البلاد جرًّا لمنفعةٍ ذاتية ولما رشد ابنها حجر عليها في صرح ولكنهُ بعد خمسة عشر عامًا تخلصت قائبةً من قوب ووسوس لها الخنّاس ان تستأثر بالمُلك فسملت عيني ابنها بفحةٍ وجرأةٍ عزّتا عن المثيل ولكي تصرف الناس عن الخوض في حديث هذا العمل الاثيم اقدمت على جلائل الاعمال ثم عرضت ذاتها زوجةً على (شارلمان) الذي مرّ ذكرهُ ولكن قبل ان يتمّ هذا القران خلعها (نيقينوروس) خازنها الاكبر واجلاها الى جزيرة (ليسبوس) وذلك سنة ٨٠٢ فناء الدهر عليها بكلكلهِ هناك حتى كانت تغزل الصوف تحصيلاً لقوتها ثمّ ماتت بعد عامٍ حزنًا على

غداثغرهُ الدرّيُّ للحسن آيةً وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشا(١)

﴿ الخداع ﴾

او

(الشعر الملمّع ٢)

بأبي عيناً باريسيّةً سلبت من اعين الرآءي الرقادْ
قلتُ يا مقلتها مالي ارى بك سقماً جاوبت جهْ سوي ملادْ(٣)
خلتُ هذا القول صدقاً واذا بسهامٍ صاب مرماها الفوادْ
من جفونٍ جرّدت اسيافها وانت تنهب من قلبي السوادْ(٤)
قلت ما هذا فقالت خدعةٌ نلتُ في تدبيرها منك المرادْ
صدقَت والله فيما نطقت ففؤادي صار مملوك القيادْ

حالها واسفاً على مصابها وكان القسم الاخير من حيانها نموذج الفضائل وعنوان الكمال فاغتمّت امة اليونان لما نابها وادرجت اسمها في سجلّ القديسات وعيّنت لها تذكاراً يُحتفل بهِ في ١٥ آب (١) اقتباسٌ من قولهِ في سورة المائدة (ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء) (٢) هو ما خالط ابيانهُ اشطرٌ او كلماتٌ من لغةٍ اجنبية كقولهِ

وزدْهم في تعاطي راحها سكراً على سكرِ
كمْ عشق أسانْ نمودْ اوّلْ ولي افتاد مشكلها

وقد لمّعت هذه الابيات بالافرنجية عوض الفارسية (٣) عبارةٌ افرنجية معناها (انني مريضة) (٤) السواد من القلب حبّتهُ وكذا الاسود والسوداء والسويداء. والسواد ايضاً من العراق رستاقهُ ومن البلدة قراها. وقد تناول البيت المعنيين توريةً كما لا يخفى

خادعتني بمراضٍ كنَّ في فتنتي اصل البلايا والفسادْ
وعجيبٌ انهـــا من بعد ما نصبت لي شرَك الطرف وصادْ
ذهبت ناديتها مستفسرًا فاجابت جِهْفُهْ فيرْأُن برَوْمينادْ[1]

(التنكير)

رحماكِ يابنت الكرام فانَّ بي داءً دويًا عزَّ فيهِ شفاءُ
نكَّرتِ اسمًا كان معرفةً وكم اشجاكِ منهُ الذكر يااسماءُ[2]

(كواكب الصبح)

نفسي الفداءُ لشمسٍ للبها جمعت
كواكب الصبح تبدو من مقلَّدها
ضيَّعتُ مذ عاينت عيني محاسنها
روحي لذا رحتُ حول الخدر انشدها

(١) عبارةٌ افرنجية معناها (اريد ان انتزه) (٢) هي اسماء العامرية . نبغت في مدينة اشبيلية الاندلسية . وكانت من ربَّات اليسار . والمأثور عنهنَّ غوث الضعيف وحماية الجار . وهي ذات ادبٍ رائعٍ وشعرٍ مطبوعٍ مشحونٍ بالبدائع ولها في مديح عبد المؤمن صاحب الدولة بالمغرب اشعارٌ رنَّانة . تسترد عطاش الابل عن مواردها وهي ظمآنة . ومنها قولها في مطلع قصيدة

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا امير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجونا

(اللزوم مع التورية)

هدانا في ضلالتنا هلالٌ نوى سفرًا فودّع وهو سافِرُ
فبالليل النوى جوزيتَ ويلاً قتلتَ المؤمنين وانت كافرْ (١)

(الخلد)

ياحسن جنّةٍ صدرها تلك التى نلنا نعيم الخُلد من رمّانها
قامت ملائكة الجمال تزفّها فظننتها نيكتورسيس (٢) زمانها

(١) اي مُظلم . مأخوذ من قول الفارقيّ

قفْ بي على نجدٍ فان قبض الهوى روحي فطالب خدّ ليلى بالدمِ
واذا دجا ليل الفراق فناده ياكافرًا احللت قتل المسلمِ

وقد استحفهُ بزيادات بعلمها الناقد البصير (٢) او (نيكتوريس) هي ملكة من ملوك دولة الفراعنة السادسة المصرية كانت اكثر نساء عصرها لطفًا وجمالاً واشهر بنات مصرها فضلاً وكمالاً واغزر اعلام زمانها عقلاً ودهاءً واوفر اعيان اقرانها حزمًا وذكاءً . قيل ان المصريين أشربوا حبّها وفُتنوا بها فادخلوها بعد اذ ادركها الممات في مصاف المعبودات . ومما يؤثر عن دهائها ان فريقًا من رجال الدولة ثاروا باخيها اذ كان ملكًا قبلها وقتلوهُ بغيًا ولما خلفتهُ على العرش دعت الباغين الى مأدبة اعدّتها لهم في قصر جميل قائم على احدّ ورجاور نهر النيل ولما مُدّت الاسمطة وابتدأوا بالطعام والآلات الطرب عازفة تبدّدبأ لحانها كتائب الاشجان وتغنيهم بأغاريدها عن ترشاف سلافة الحان امرت بماء النهر فانساب عليهم حتى غرّقهم اجمع وكانوا زهاء الخمسين فلقوا جزاء كنودهم الذميم واملتْ عليهم (ان كيدي متين)

وما من يدٍ الاّ يد الله فوقها وما ظالمٌ الاّ سيبلى بأظلمِ

(الرأي السديمي)

وبى شفةٌ تزحزح عن ثنايا ترينا النجم كالعقد النظيمِ
لبكرٍ مذ بدا لي معصماها حسبت زنودها اهل الرقيمِ (١)
ومذ سقط الردا (٢) عن منكبيها جنحت (٣) لرأي اصحاب السديمِ (٤)
رنتْ وتلفتت غنجًا ودلاً فوابلوايَ من رامٍ وريمِ

(التشبيه والتورية)

بدتْ بعصابةٍ سوداءَ تحكي ظلامًا قد علا صبحًا منوّرْ

(١) الكتاب المرقوم . يريد بهِ ساعدها المرقوم بالوشم ويشير الى قولهِ في سورة الكهف (ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا) والمراد بالرقيم في الآية لوح رصاص نقش عليهِ اسماء اصحاب الكهف وانسابهم (٢) بالمدّ الوشاح . والازار يشتمل بهِ جمعها اردية (٣) ملتُ ومنهُ في سورة الانفال (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (٤) الضباب الرقيق . وقد ذهب بعض متأخري العلماء الى ان السديم اوّل كائنٍ اشغل الفضاء الكليّ ثمّ كيّفتهُ الطبيعة بما طرأ عليهِ من التغيير والتحوير فتركّبت الاجرام الجوّية من جواهرهِ الفردة (اي من اجزائهِ ودقائقهِ) وعلى هذا تكون جراثيم السديم وذرّاتهُ أمّ الموجودات على اطلاقها من الشمس المركوزة في الرقيع الى اصغر نجيمة سابحةٍ فيهِ . هذا وان لعلماء المادّة في هذا المبحث تفصيلٌ وتعليلٌ لا يحتملها المقام فليراجعهُ من شاء في مطوّلات اسفارهم . وكأنّ المؤلّف يقول هنا انهُ لما سقط الرداء عن منكبٍ موصوفتهِ وبدا لعينيهِ مجرّدها الشفّاف مال للمذهب السديمي اعتقادًا ان لا شيء غير السديم يقوى على تكوين جسمٍ شعشعانيّ كجسمها . وهو ككثير من معاني هذا الديوان من مبتكرات المؤلّف التي لم يخترعها احد قبلهُ

فاصبح عاذلي كلِفًا معنّى فقلت لهُ أتئد (١) هذا مقدّر (٢)

(اللفُّ والنشر)

بأبي التي لما مشت وتلفّتت قدماس عسّال (٣) وصال يماني

خرقت استنّتها الفؤاد فخلتها جانْ دارك (٤) بارزةً الى الميدان

(١) تأنَّ وتثبت وهو امرٌ من التؤدة وهي الرزانة والتأني (٢) المقدَّر عند العامة عصابةٌ مزينةٌ تنعصب بها المرأة . والامر المحتوم على الانسان . والبيت يشمل المعنيين توريةً كما رأيت (٣) صفة للرمح واليماني السيف (٤) وتسمى (لابوسل) وتعرف بسيّدة (اورليان) هي فتاة فرنسوية كانت نقية البشرة مهيفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها تلوح على محيّاها الصبيح سيماء الحياء واللطف والدعة وتبدو من مخايلها امارات مضاء العزيمة وبُعد الهمة وثبات الجاش ولقد طالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مسرّج ولا مشكوم جرأةً وفروسةً وكانت ذات كلام جامع بين البلاغة والرشد وافعال دائرة على محوَر الاستقامة والصلاح . ولدت في (دومرمى) من مقاطعة (لورين) سنة ١٤٠٩ م من راعٍ يدعى (جاك) كان قد ربّاه الفقر وهذّبه الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينية ولما بلغت الخمس سنوات اخذت ان ترى في هجعتها رؤىً علوية زاعمة ان الملائك والاولياء تتجلى عليها بمظهر نوراني فلما انس ابوها منها ذلك اراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار منه والانضواء الى ارملة من ربّات الفنادق فاقامت في خدمتها رَدَحًا تبذل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تذكر به فتشكر ثم عادت الى ابيها زمان اذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والانكليز يذيقونها من حروبهم ضريع الويل

(المواربة)

قال حبي اذ رآني عاتباً ويكَ قد اصبحت بعدي ساليا
قلتُ جدَّ الوجد بعد البُعد لا بدَّ ان يصبح جسمي ساليا

الممزوج بالشنار وكان قد مرَّ بقريتها فريقٌ من الاعداء فاكتسحوها واستاقوا اموالها فاقتسموها وتركوها خاويةً على عروشها يندبها لسان الخراب ويأوي الى اطلالها البوم والغراب فصدع فؤادها الشفاف ذلُّ قومها وبوارهم وانكسارهم للعدوّ المفضي الى دثارهم فعاودتها الاحلام والرؤى وزعمت انها مأمورةٌ بالالمام بانقاذ بلادها من الهلكة والمعرَّة وانتشال قومها من هوَّة الحيف والمضرَّة وبعد تردد واعمال رويةٍ سارت الى (شارل) السابع ملك فرنسا وذلك في شهر شباط من سنة ١٤٢٩ وكان عليها ان تقطع مسافة ١٥٠ فرسخًا في اقطار مشحونةً بدياذبة الانكليز ومحفوفةً بالمكاره والاهوال حتى تبلغ مدينة (تورين) حيث يقيم الملك فتزيَّت بزيّ فارس وعلت جوادًا سابحًا بعد ان تقلَّدت حسامًا بتَّارًا واخترقت تلك المهامه حتى اذا اشرفت على مقرّ الملك بعثت تنبئهُ بقدومها وتخبرهُ بانها ستكون منقذة العرش ورافعة الحصار عن (اورليان) وممهّدة سبيل تتويجهِ في (رام) فلما قدم عليهِ البشير بذلك النبأ ابتسم مزدريًا عن قلبٍ مشحونٍ بالغيظ ثم أتمر مع وزرائهِ في شأنها ثلاثة ايام فكان فريقٌ يسخر منها ويضحك عليها وفريقٌ يذود عنها ويرنأي الفاء المفاليد اليها والملك بين ذلك مذبذبٌ لا الى هولاء ولا الى هولاء حتى اسفر الرأي عن لقائها فلبس الملك ثياب احد اتباعهِ والبسهُ ثوبهُ الملكيّ اختبارًا لامرها ثم اذن لها فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتى وقفت ازاءهُ فانحنت جاثيةً لديهِ قائلةً لهُ بلسان ذرب حيّيتَ وحييتَ ايها الملك الحليم فقال لها اخطأتِ فان الملك هو ذاك مشيرًا الى من البسهُ ثوبهُ فقالت ما الملك الاَّ

(الوفاء والجفاء)

اشكو لها من جور قسوة قلبها ذاك الذي قرأ الوفا جيماً وفا

عجبي به لم يحو نار صبابةٍ مع انَّ بعض النار مكمنهُ الصفا

انت وما انت الاَّ الملك واني لمأمورةٌ انا العذراء المسكينة من الروح الامين بشدّ ازرك والدأب لاستتباب نصرك وما على الرسول الاَّ البلاغ فحلا بها الملك حيناً من الدهر ثم ناجى وزراءهُ فقال لهم لقد احاطت لعمر الله بما في سرائري ودرَت بما لا يدركهُ بعد الله الاَّ ضمائري واني لأوشك ان اكون من امرها على ثقةٍ ولكن لا بأس من التربّص ربثما تمخّض ثم اتاها برهطٍ من مهرة الاطباء واساطنة العلماء حاولوا ان يعقروها بمسائل مشكلات وغوامض معضلات حتى اذا اعيتهم الحيل وعادوا بالخيبة والفشل عزّزها الملك بكتيبة من خوّاص فرسانهِ فبرزت امام الجيش شاكية السلاح معتقلةً بيدٍ رمحاً وبالاخرى رايةً واخذت تعدو على جوادها متفننةً في انواع الفروسة حتى حيّرت الناظرين فهتفوا ترحيباً لها واستحساناً لها وتعجباً منها ثم سارت بجيشها تنهب الارض اهاجاً وخبباً حتى بلغت المعسكر في (اورليان) واذا بارواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدوّ محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر واهلها في شدّةٍ من ضيق الخناق فأمرت باديءٍ بدأةً في تطهير المعسكر من عواهر النساء وحضّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثم زحفت على البلد فاستولى الرُعب على قلوب الانكليز وقالوا ما هذه بشرٌ ان هي الاَّ ملَكٌ كريم او ساحرٌ اثيم وكانت تتردى بحلةٍ بيضاء وتركب جواداً اشهب وتنشر فوق رأسها راية بيضاء فادا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فرّوا من امامها كأنهم حمرٌ مستنفرة فرّت من قسورة وما برحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرّع من انحراف جيشها عنها وعدم

(التنزيه)

سرت لي الصبا صبحاً فهاجت صبابتي وذكّرني عصر الصبا نفح طيبها

انقياده لها انواع الغصص وضروب الاحن حتى استتبّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضُربت عليهم الذلة اينما ثُقفوا فالجئوا الى الجلاء عن (اورليان) فكفّوا عن حصارها في ٨ ايار سنة ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيء فسارت (جاندارك) الى (بلوا) لتهنئ الملك بما اوتيه على يدها من النصر وكان القروبون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون لمسّ اقدامها ولمس ثراها فاكرم رجال البلاط وفادتها ودعاها الملك الى وليمة فأبت قائلةً ان الوقت وقت جهد وثبات لا وقت قصف ولذّات وان الروح انبأني بان الموت قد دنا فتدلى حتى صار على قاب قوسين وانهُ لم يبقَ بيني وبينهُ اكثر من عامين فاذهب بحتك الى (رام) حيثما اتوّجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء فسار وسارت امامهُ بفصيلة من الجيش حتى اذا بلغت (جارجو) اعترضها العدوُّ فهاجمتهُ ورقت سلّماً نصبت على السور فرُميت من اعلاه بما جندلها في الخندق فصُرعت ولكنها افاقت بعد قليل وجعلت تستثير حمية العساكر بكلام ارقُّ من السحر وافعل في الرؤوس من نشوة الخمر وهي تعاني آلاماً مبرّحة فدبّت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملةً صادقة اذاقت العدوَّ الازرق بلاءً اسود وأرتهُ من بريق النصل الابيض موتاً احمر فاستولت على البلد عنوةً بعد ان اسرت قائد الجيش ولما طار الخبر الى الامير (نلبوث) قائد الانكليز العام اخلى سائر المدن وكرَّ قافلاً الى باريس وما برحت (جاندارك) آخذةً في سيرها وكلما عثرت بشرذمة فتكت بها حتى بلغت مدينة (رام) وهنالك تمَّ تتويج (شارل) في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت (جان دارك) ممسكة بسيفهِ وعليها اثواب الكماة وبعد

وما فاتني عصر الصبوّ وانما رأت صبوتي ان التصابي يعيبها
فاكرمتُ نفسي ان يقال اخو هوىً وان كانت الاهواء تبغي نصيبها

انقضاء الحفلة جثت عند قدميه وعانقتها باكية ثم قالت اليوم اكملت لكم نصركم وانجزت كلما وعدتكم فاطلقوا سراحي فاعود الى ابي قريرة العين حيثما ارعى الماشية واغزل الصوف جريًا على سنن ربيت فيه ونشأت عليه فامتنع الملك قائلاً كيف اغادر من بها نجاة الامة واليها يرجع امر استتباب راحتها وعليها يتوقف استكمال سعادتها ذلك لان الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقادًا وعلّقوا على بسالتها واقدامها آمالاً طوالاً حتى كانوا يرون حول رايتها اسرابًا من الفراش البرّاق البهيج فساءها امتناع الملك وعرتها مذ تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحمية والبسالة وانقطعت عنها احلامها الروحانية حتى اصبحت اعمالها رهينة الحيرة والفشل واقوالها قرينة الوهم والركاكة وكانت ترى ابدًا خاثرة النفس دائمة البكاء ولما لم يجدها الالحاح نفعًا استعادت من معبد (مارم) سلاحها وبرزت ثانية في زيّ الابطال جبر ان كبراء القادة وامراء الجيش كانوا قد أُشربوا بغضها واضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنّعون عليها ويسيئون معاملتها ويغرون العساكر على نبزها بالالقاب المستهجنة بل بلغت بهم القحة الى محاولة هتك حجابها ليفضحوها فكانت تردّهم اقبح الردّ ولا تجالس الاّ حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الاّ مع امرأة تخفرها فلم يجد احدٌ فيها محلاً للّوم والقذف ومع انها جرحت مرّات لم يثبت كونها سفكت بيدها دم احد ثم اشارت على الملك بالشخوص الى باريز ليستخلصها من يد الانكليز فساروا (جان دارك) سائرة في ركابه حتى اذا بلغها بعد شقّ الانفس امرها بالهجوم على (فوبور سانت اونري) حيث يقيم الاعداء فاثخنت في تلك الواقعة

ونزّهتها عن كل فحش وريبة مخافة ان سهم الملام يصيبها
فرحتُ وشمس اللهو في افق مهجتي تودّع في قلب الصباح حبيبها

جراحًا وصرعت عدّة ساعات ولما استعادت رشدها قامت فعلّقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى واعدّا اياها باعفاء قريتها من الضرائب وبمنحها رتبة جليلة فعاودت الخدمة مرغمة وفي سنة ١٤٣٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن (كومبيني) فسارت متدرّعة بالاقدام يد انها لما ارادت الايقاع بالمحاصرين خذلها اتباعها وانحرف عنها اشياعها فرُميت بسهم فصرعت واستسلمت الى الامير (فندوم) وذلك في ٢٤ ايار سنة ١٤٣٠ فذاع خبر اسرها في تلك الاصقاع واقبل الناس سراعًا لرؤيتها ثمّ بيعت للانكليز وخذلها الملك (شارل) جاحدًا جميلها كافرًا نعمتها لؤمًا منه وخسة اصل وخاض الناس في حديثها وكان اهل باريز يشدّدون عليها النكير ويغرون الانكليز على اتلافها فلبثت مسجونة في قلعة (جان دولكسمبورغ) حتى اقيمت عليها الدعوى في ٣ اشباط سنة ١٤٣١ تحت رئاسة (كوشون) مطران (بوفه) من صنائع (هنري) السادس عاهل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرّة ابدت في خلالها ثباتًا عجيبًا ودفاعًا مفحمًا على انهم حكموا اخيرًا بانها مبتدعة ساحرة وبان تُجازى بالحبس الابدي مقصورًا قوتها على الخبز والماء ثم ارغموها على الحلف بألاّ تتردى بعدئذٍ بلباس الرجال ثم نصبوا لها شركًا بان بدلوا ثيابها ليلاً بثياب رجل فلما ارادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرّة فهوجمت واسيقت الى الحاكم بهذا الزيّ فحكم بأنها حائثة تستحقّ الاحراق فقالت بثبات وجلال انني استأنف حكمك الى عرش الحكم العظيم ولكنها لما اخرجت الى حيث توقد النار خارت قواها فأنّت متأوّهة ولما حمي الوطيس ولعلع لسان اللهيب أُدخلت

وذاك لاني يافعٌ فتعجّبوا لشمس دنا عند الصباح مغيبها

(الالتفات)

الا يالائمي في حبّ اسما(١) كفاك فكف قد اسرفتَ كفرا

فيهِ فجعلت تدعو وتبتهل بلسان ابكى اعداءها وصيّر الكردينال (بوفور) يحوّل وجههُ عنها تألّما والدموع تتحدّر من مآقيهِ كالسواقي وقد تمّ هذا المشهد الاثيم الذي اكسب الانكليز لعنةً وخزيًا في ٣٠ ايار سنة ١٤٣١ في ساحة تسمى موضع البكر وذرّي رمادها في نهر (السين) ثم بعد عشرين عامًا نقض مطران باريس ومطران (رام) هذا الحكم واثبتا براءتها وفي سنة ١٨٢٠ اقيم لها تمثال في موطنها (دومرمي) وآخر في محل احراقها (روان) ثم آخر في باريس وهو اجمل تماثيلها وفي سنة ١٨٥١ نصب لها اهل (اورليان) تمثالاً في مدينتهم وهم يعيّدون تذكارًا لها في ٨ ايار من كل عام * وقد عاب الرأي العام (فولتير) بقصيدتهِ التي اودعها ذمًّا (جان دارك) وتسويد صحيفتها بانواع الثلب الظالم والقذف الغادر ولكنهُ لا يستغرب ذلك ممن اوقف حياتهُ على تقويض عُمُد الديانات وتزييف اوليائها . وقد الّف كتبة الافرنج بموضوع قصتها عدّة روايات محزنة من النوع المعروف (بالتراجيدي) اي الفاجعة وهي ما يذيب تمثيلها القلوب ويشق المرائر فياقاتل الله الانسان انهُ لكافر

ليت السباع لنا كانت مجاورةً وليتنا لا نرى ممن نرى احدا

ان السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرهم ابدا

(١) هو اسم بنت عوف بن سعد بن مالك علق بها ابن عمها عمرو المعروف بالمرقّش وكان بطلاً حُلاحلاً معوّدًا خوض المعامع ومصارعة السباع قيل مرّ يومًا بوادي نجران ومعهُ صحبٌ فالتقى بأسد ونمر يقطعان الطريق فوثب على الاسد حتى علا متنهُ ومازال يهوي حتى قتلهُ ثمّ التقاهُ النمر فراوغهُ ولم يمهلهُ حتى الحقهُ

قرأتُ بوجهها الوضّاح آيَ الجمال فهمتُ ليتك كنت تقرا

برفيقهِ ثمَّ سلخهُ واتّزر بجلدهِ ولذلك لقبهُ العرب بالمرقّش وكان قد ألف اسماً صغيراً فخطبها الى عمهِ فلبّاهُ فمضى الى جار الفلاة يمدحهُ فخطي اديهِ فامسكهُ عنهُ حيناً من الدهر حتى اذا استحكم الجدب بالبادية وعمَّ الغلاءُ قدم على عوف مراديٌّ فتزوج منهُ اسماءَ بمائة ناقة واحتملها الى قومهِ فعمد عوف الى كبش فجرّدهُ ووارى عظامهُ في جدثٍ هناك ولما عاد المرقّش قيل لهُ انها ماتت ودلّوهُ على القبر فضرب اطناب بيتهِ فوقهُ ولبث يبكيها هناك بكرةً واصيلاً وهو يلفح الحيَّ زفرةً ويقلبهُ عويلاً حتى اختصم فتيانٍ في تلك الندحة فقال احدهما للآخر قد سرقتَ كعبي الذي اخذتهُ من عظام الكبش المدفون في هذا اللحد بدلاً من اسماءَ فعلم المرقّش دخلية الامر فسار برجل وامرأة من قومهِ يقصد بني مراد حتى اذا بلغ واديًا يقرب من حيّهم اقعدهُ المرض عن تتمّة الترحال فتواطأ رفيقاهُ على تركهِ فلما احسَّ بما في نفسيهما كتب على مؤخرة رحلها

ياصاحبيَّ تلبّثا لا تعجلا ... ان الرواح رهين ان لا تنعلا
فلعلَّ لبثكما يقرّب بيننا ... او يسبق الاسراع سيبًا مقبلا
ياراكبًا اما عرضت فبلّغن ... انس بن سعدٍ ان لقيتَ وحرملا
لله درّكما ودرّ ابيكما ... لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقّشًا ... اضحى على الاصحاب عبًّا مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه ... ان غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما رأى اخواهُ (انس وحرملة) ما كتب قتلا رفيقيهِ اما هو فلبث طريحًا على السلماءِ في غار هناك حتى نما خبرهُ الى اسماءَ فسارت اليهِ مع زوجها فادركاهُ وفيهِ بقيّة رمق فاحتملاهُ حتى اذا بلغا بهِ الحيَّ ادركهُ الموت فكان آخر ما فاه بهِ قولهُ

كفاك كفالك تعنيفي ولومي ... الم ترني اكاد اموت صبرا (١)
وانتِ ايامعذبتي بدلٍ ... لقد اتلفتني صدًّا وهجرا
غدوت افوق عروة بن حزام (٢) ... بفرط جفاكِ ليتك مثل عفرا

سما نحوي اخيٌّ خيال اسما ... فارّقني واصحابي هجودُ
فبتُّ ادير امري بكل حال ... واذكر اهلها وهمُ بعيدُ
على ان قد سما طرفي لنار ... يشبُّ لها بذي الارطى وقودُ
حواليها مهًى بيض التراقي ... وآرامٌ وغزلانٌ رقودُ
نواعم لا تعالج بؤس عيشٍ ... اوانس لا تروح ولا تغودُ
يرحنَ معًا بطاء المشي رودًا ... عليهنَّ المجاسد والبرودُ
سكنَّ ببلدة وسكنتُ اخرى ... فقطعت الموائق والعهودُ
فما بالي افي وبخان عهدي ... وما بالي أُصاد ولا اصيدُ
ورُبَّ اسيلة الخدَّين بكرٍ ... منعَّمةٌ لها فرعٌ وجيدُ
وذي اشر شنيب النبت عذبٌ ... نقيُّ اللون برّاق برودُ
لهوت بها زمانًا في شبابي ... وزين بها النجائب والقصيدُ
اناسٌ كلما اخلقتُ وصلاً ... عناني منهمُ وصلٌ جديدُ

(١) يقال مات فلان صبرًا اي حُبس حتى مات . والصبر نقيض الجزع وهو معروف . والبيت يتناول المعنيين توريةً (٢) أُسكنت نون (بن) ضرورةً هو ابن حزام بن ضبة العذريُّ كان شاعرًا مطبوعًا متمكنًا في العشق قيل انهُ اوّل عاشق مات هجرًا من المخضرمين ولشدّة ولوعهِ ضُرب بهِ المثَل بين العرَب والمولّدين . قال جرير

هل انت شافيةٌ قلبًا يهيم بكم ... لم يلق عروة من عفراء ماوجدا
ما في فؤاديَ من داءٍ يخامرهُ ... الّا التي لو رآها راهبٌ سجدا

(الاستعارة)

قامت تدير لنا راحاتها قدحًا من راح كرمٍ غنينا عنهُ بالحدق

(وقال ابو عينية)

فما وجد النهديُّ اذ مات حسرة عشية بانت من حبائلهِ هندُ
ولا عروة العذريُّ اذ طال وجدهُ بعفراءَ حتى شفَّ مهجتهُ الوجدُ
كوجدي غداة البين عند التفاتها وقد طارَ عنها بين اترابها البُردُ

وعفراءُ هي بنت هصر اخي حزام كلاهما ابناءُ مالك من بطن من العذريين يقال لهُ نهد توفي حزام وعروة صبيٌّ فكفلهُ هصر ابو عفراءَ فنشأ امعًا فكان يألفها وتألفهُ فلما بلغ الحلم سأل اباها تزويجها فأرجأهُ الى حين ثمَّ اجلاهُ الى الشام وجاءَ ابن اخ لهُ اسمهُ اثالة يريد الحج فنزل بعمهِ هصر فبينا هو جالس ازاءَ الخباءِ اذ برزت عفراءُ من خدرها حاسرةً عن وجهها ومعصميها وعليها ازار خزٍّ اخضر فوقعت من قلبهِ فخطبها من ابيها فانعم بها فاحتملها على جمل احمر واذا بعروة قد اقبل مع العير فلما رآها دهش ولم يحر جوابًا حتى افترق القوم فانشد

وإني لتعروني لذكراك رعدةٌ لها بين جلدي والعظام دبيبُ
فما هو الاَّ ان اراها فجاءةً فابهت حتى ما يكاد يجيبُ
فقلت لعرَّاف اليمامة داوني فانَّك ان ابرأتني لطبيبُ
فما بيَ من حمَّى ولامسَّ جنةٍ ولكنَّ عمِّي الحميريُّ كذوبُ
عشيَّة لا عفراءُ منك بعيدة فتسلو ولا عفراءُ منك قريبُ
بنا من جوى الاحزان والبُعد لوعةٌ تكاد لها نفس الشفيق تذوبُ
ولكنما ابقى حشاشة مقولٍ على ما بهِ عُودٌ هناك صليبُ
وما عجبي موت المحبين في الهوى ولكن بقاءُ العاشقين عجيبُ

فبان ليلٌ علا صبحًا على فنَنٍ ولاح نجمٌ علا شمسًا على شفقِ

ولما بلغ الحيّ اخذهُ الهذيان والقلق واقام رَدحًا لا يتناول قوتًا حتى شمت عظامهُ وبدا هذالهُ ولم يناج بسرّه احد فحُمل ليلة الى فضاء ترويحًا لهُ فسمع من يقول لابنهِ على اي ناقةٍ حملتَ المزاود قال على العفراء فاغمي عليهِ واعترتهُ غشوة ثم قام مخبولاً فذهبوا بهِ الى عرّاف اليمامة رياح بن راشد فعالجهُ بالرُقى ولما لم ينجع قال لهم ما بهِ من مسّ وانما هو العشق ولا دواء لهُ الاّ بالوصل ولما قنط تمرّض بين اهلهِ زمانًا حتى شاع في العرب انتحالهُ وحتى احسّ من قومهِ بالملال فقال لهم احملوني الى البلقاء فاني ارجو الشفاء فلما بلغها وجعل يسارق عفراء النظر في مظانّ مرورها عاودتهُ العافية فاقام كذلك حتى لقيهُ رجل عذريٌ فسلّم عليهِ فلما امسى دخل على زوج عفراء فقال لهُ متى قَدِم هذا الكلب (يعني عروة) اليكم فقد فضحكم بكثرة تشبيبهِ بجارتكم فقال انت احقُ منهُ بما وصفت والله ما علمت بقدومهِ وكان زوج عفراء سيّدًا مهابًا رضيّ الاخلاق فلما اصبح جعل يتصفح الامكنة حتى عثر بعروة فعاتبهُ واقسم انهُ يكون نزيلهُ فوعدهُ حتى ذهب مطمئنًا ولكنهُ اضمر في نفسهِ ان لا يبيت وقد فشا سرُّهُ فخرج فعاودهُ المرض فمات بوادي القرى دون منازل قومهِ وقيل بل بلغ المنازل وانطرح عند كسر البيت وهو شخصٌ لم تبقَ الاّ رسومهُ ولم يلبث ساعةً حتى تموّج ثم خفق ففارق الحياة وكان ذلك سنة ٣٠ للهجرة ولما نعي الى عفراء قالت لحليلها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من صلة الرحم وما عندهُ من الوجد المقرون بالعفاف فهل تأذن لي ان اخرج الى قبرهِ فاندبهُ قال ذلك اليكِ فخرجت حتى اتت الى قبرهِ فتمرّغت وبكت ثم تنهدت فانشدت

ألا ايها الركب المخبّون ويحكم بحقّي نعيتم عروة بن حزامِ
فان كان حقًّا ما تقولون فاعلموا بان قد نعيتم بدر كل ظلامِ

(الطباق مع التورية)

حتّامَ ياذات الدلال جفونكِ الـ ـدعجاءُ اسهم مقلتيها رائشة
يكفيكِ اني في غرامكِ ميّتٌ صدًّا واعراضًا وانّكِ عائشة (١

فلا لقيَ الفتيان بعدك راحة ولا رجعوا من غيبةٍ بسلامِ
ولا وضعت انثى تمامًا بمثلهِ ولا فرحت من بعده بغلامِ
ولا لا بلغتم حيث وجّهتمُ لهُ ونغّصتمُ لذّات كل طعامِ

ولما فرغت من شعرها القت نفسها على الضريح فحرّكت فاذا هي ميتة فدُفنت الى جانبهِ فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حدّ قامة التفتا وتعانقتا فكانت المارّة تنظر اليهما ولا تعرف من اي ضرب من البنات هما فكثر فيهما انشاد الشعراء ومنهُ قول الشهاب

بالله ياسرحة الوادي اذا خطرَت تلك المعاطف حيث الرند والغارُ
فعانقيهم عن الصبّ الكئيب فما على معانقة الاغصان انكارُ

(وقول الآخر وفيهِ حكاية حال عروة)

غصنان من دوحةٍ طال ائتلافهما فيها فجالت صروف الدهر فافترقا
فصار ذا في يدٍ نحويه ليس لهُ منها براحٌ وهذا في الفلاة لقا
حتى اذا ذويا يومًا وضمّهما بعد التفرّق بطن الارض واتّفقا
حنا على العهد في ارجائهما فحنا كلٌّ على الفوفي التربِ واعتنقا

(١) هي عائشة بنت يوسف بن ناصر الباعونية الدمشقية كانت شاعرة مطبوعة فاضلة واديبة لبيبة عاقلة وكان على وجهها من الجمال لمحةٌ جمّلها الادب وجلّتها بلاغة العرب فجعلاها غنية الطالبين ومنية الراغبين والذي اجمع عليهِ العارفون ان عائشة بين المولّدين كالخنساء بين الجاهليين ولها في مديح النبيّ بديعية طنّانة مطلعها

(التلميح)

سميراميس (١) هذا العصر كفي فقد اوردتني حوض المنايا
فما انا قيل قطر الهند حتى ألاقي منك هاتيك الرزايا

في حسن مطلع اقمار بذي سلم اصبحت في زمرة العشاق كالعلم

وهي قصيدة عامرة بالمحاسن مغمورة بماء اللطف والرشاقة يفضلها بعضهم على قصيدة الموصلي واليها ينسب البيتان المشهوران وهما

كأنما الخال تحت القرط في عنق بدا لنا في محيًّا جلَّ من خلقا
نجم غدا بعمود الصبح مستترًا خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

(١) هي ملكة آشور الشهيرة كانت اجمل اقرانها واشجع اهل زمانها تولت العرش بعد زوجها (نينوس) فكان من همها تحسين مدينة بابل فشادت بها الهياكل العظيمة وانشأت القصور المزخرفة وغرست الرياض والبساتين واحتفرت الترع والمخلجان ومدت عليها المعابر والقناطر وبنت في باحة المدينة هيكل (بعل) اله الآشوريين واقامت فيه تمثالاً ذهبيًّا طوله ٤٠ قدمًا وكان هذا الهيكل اعظم بناء قام به البشر بلغ ارتفاعه ٦٦٠ قدمًا وهو اعلى من الهرم المصري الاكبر قال عنه (هيرودوتوس) المؤرخ انه مربع الشكل مساحته ٤٠٠ ذراع في وسطه برج يرتفع نحو ٦٠٠ قدم ويعلوه سبعة ابراج علق كل منها ٧٥ قدمًا وفي البرج الاخير مسجد فيه تمثال من ذهب وبقربه مائدة ومنصة ذهبيتان ثمنهما نحو ٢٢٥ مليونًا وفي فناء هذا المسجد مذبحان احدهما ذهبي يوقد عليه في كل عيد ٢٠٠٠ اقة بخور وبالجملة فان هذه الملكة هي التي حببت بابل ورونقها المذكور وبهاءها المأثور وهي التي اولتها تلك العظمة والشهرة بيد انها لم تكتفِ بما اكسبها سعيها هذا من الفخر بل جمحت نفسها الى الغارة فاثارتها شعواء على مصر فالحبشة ففلسطين فالهند

(الدنيا والدين)

راجت بسوق جفاكِ مهجة عاشق تخذ الهوى دنيا وحسنك دينا

فتنازلي حلماً ومني رحمةً حتّام هذا العجب يا روجينا (١)

فانتصرت في جميع غزواتها الاّ في الهند فان افيالها قد القت الرعب في قلوب العسكر ولم تنطلِ حيلتها التي اتخذتها بالباس الجمال جلود بقر على هيئة الافيال ارهابًا للهنود وتغريرًا بهم فرجعت مدحورة صاغرة بعدان جرحت ومذ ذلك الحين زهدت في متاع الدنيا ومالت الى الخمول فقتلها بعد زمن يسير ابنها (نيناس) وذلك سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد فانزلها الآشوريون منزلة الآلهة واقاموا لها صورًا منقوشة بهيئة حمامة زعمًا منهم انها تقمّصت عقب موتها بجسم حمامة وهي في كل حال فخر نساء العصر القديم ونور مشكاته

(١) معبودة يسميها الرومان (روجينا) واليونان (جونون) و (هيرا) وقد مرّ ذكرها في ترجمة (باريس) خاطف هيلانة وكان يلقّبها اليونان بالقاب مختلفة مثل (باسيليا) و (لوكونيا) و (روتوبا) ومن اشهر القابها ما معناه ملكة السماء وهي امّ المريخ واخت المشتري (جوبتير) وزوجته وتعدّ من طبقته في مصاف المعبودات لانها المعبودة العظيمة للطبيعة وتشخّص ابدًا حالة الامّ باعتبار كونها القوّة المنفعلة اي الوالدة كما يشخّص هو حالة الاب باعتبار كونه القوّة الفاعلة اي المولّدة فان كني بهِ عن السماء كني بها عن الارض او بهِ عن الاثير فبها عن جوّ الارض او بهِ عن الشمس فبها عن القمر وكانت موكولةً بالاعراس والولادات ولذلك سمّي بها كل تابع للجنّ. وكانت ذات جمال فتّان وحركات مدهشة غير انها لم تكن محبوبة لعجب في نفسها وشراسة في خلقها ولقد طالما ناكفت حظيّات (جوبتير) واولادهنّ حتى انها ثارت بالاتفاق مع (مينرفة) و (نبتون) وهمت بخلعهِ وحبسهِ ولكنها اخفقت سعيًا فكبلها بالسلاسل وعلّقها

(سلامة الاختراع)

يامن اضعت حياتي في محبتها صبرًا امرّ ولم تحمد عواقبهُ (١)
لولم يكن حبك القتّال صاعقة ما كان قلبي التعيس البخت جاذبهُ (٢)

﴿ المصحّف والمشتوق ﴾

ياطرّةً في غرّةٍ قد مثّلت ليلاً بصبح نجمهُ الاكليلُ (٣)

بالسحاب ولما حكم (باريس) بتفاحة الذهب للزُهرة كما علمت في قصتهِ غضبت (جونون) ولم يسكن غضبها حتى خربت (تروادة) واحرقتها بالنار. واشهر هيكل بناهُ اليونان لعبادتها انما هو هيكل (ارغوس) ولها فيهِ تمثالٌ مصوغ من الذهب والعاج على هيئة امرأة ذات سمت جليل مستوية على عرشها وعلى رأسها التاج وبيدها الصولجان والى جانبها طاووس لانهُ رمز العجب والجمال ومن ورائها المعبودة (ابريس) ناشرةً الوان قوس قُزح التي قال عنها ابن الرومي

يطرّزها قوس السحاب باخضر على احمر في اصفر اثر مبيضِ
كاذيال خودٍ اقبلت في غلائلٍ مصبغةٍ والبعض اقصر من بعضِ

(١) لما قال (صبرًا) اوهم انهُ يريد الاسم المصدريّ الذي هو نقيض الجزع ولما قال (امرّ) صرف المعنى استخدامًا الى الصبر المعروف وهو عصارة نبات مرّ او حامض كريه (٢) جاذب الصواعق انما هو اداةٌ معدنية كالقناة تركّز في اعالي البنايات حتى اذا نزلت صاعقة جذبتها بفعلها المغنطيسي الى ركية تحفر تحتها فتريح الناس من بلائها الوبيل ونيرانها القتّالة. اخترعها الاميركي الطبيعي (فرانكلين) الشهير سنة ١٧٥٢ وشاع استعمالها سنة ١٧٦٠ (٣) عصابة تزيّن بالجواهر. ومنزل للقمر يؤلّف من اربعة كواكب والبيت يتناول المعنيين توريةً

كلّلتِ بالماس النقيّ كأنّما شمس النهار يزينها قنديلُ
يافتنة القمرين حسنكِ ماله والله بين الخافقين (١) مثيلُ
كوّنتِ من ذرّ الأثير وضوئهِ ام قد حباكِ بنورهِ جبريلُ (٢)
وغناكِ ذا ام عرش ربّكِ حفّهُ بملائك التسبيح ميكائيلُ (٣)
ورنين عودكِ ما يخامر مسمعي ام قام يحيي القوم اسرافيلُ (٤)
وكلامك الدريّ ذا ام مصحفٌ يُتلى ام التوراة والانجيلُ
حنّي عليّ فان حبي مالهُ وابيك في رتب الغرام (٥) عديلُ

(١) الشرق والغرب (٢) ملَك أرسل بشيرا لمريم ولكثير من الانبياء ويعرف بالروح الامين . والروح القدس . ويلقّب بذي مرّة (٣) من زعماء الملئكة (٤) ملَك ينفخ بالصور موكّل باحياء الموتى يوم القيامة
(٥) ان الحبّ يُقسم الى رتب ودرجات ادناها الاستحسان وهو ينشأ عن تردّد النظر فاذا زاد كان ميلاً فاذا تمادى كان ودًّا فاذا تعظم كان علاقة فاذا طالت كانت هوىً وغرامًا فاذا نما كان كلفًا وعشقًا فاذا شبّ كان وجدًا وخلةً فاذا لجّ كان شغفًا ولوعةً فاذا رافقهُ الصدّ كان لاعجًا وتيمًا فاذا ثارت بهِ رياح البُعد كان تبلاً وولهًا فاذا خامره اليأس كان هيامًا وتدلّهًا وهو اعلى الرتب يكاد يكون جنونًا وكثيرًا ما يعقبهُ الموت وقد جمعها المؤلّف بقولهِ

اوائل الحب استحسان ذي نظرٍ يتلوهُ ميلٌ ودودٌ شاغل الفكرِ
فان تأصّل في احشاهُ اصبح ذا علاقة وهوىً يفضي الى السهرِ
فان تطاول كان الحب ذا كلف يتلوهُ عشقٌ وكم للعشق من سمرِ
فان تزايد عشقًا كان ذا شغف ولوعة تقذف الاكباد بالشررِ
فان تعاظم كان الوجد صاحبهُ ناهيك بالوجد من جان على البشرِ
ولاعج عاجل قد راح يعقبهُ تيمٌ يترك المفتون في خطرِ

قد صرتُ يعقوبًا بغربة يوسفٍ من بعد هذا الهجر يا راحيلُ (١)

(الاستعارة والتشبيه)

حللتُ في غرفٍ من تحت جنتها الانهار تجري على صوت النواعيرِ
يُطاف فيها باكوابٍ وآنيةٍ من فضةٍ شبهوها بالقواريرِ
كأنَّ ياقوت ما نسقى باكؤسنا ذوبٌ من النار في جامٍ من النورِ
في سندسٍ خضر او رفرف وُضعت فيه الارائك للولدان والحورِ
قرأتُ اذ ذاك احكام الهوى سوَرًا فان روبتُ يقول الناس عن حورِ (عنحوري)

فان تنبل عمٌّ الويل مهجتهُ ومسهُ وله يغنيهِ عن سقرِ
وان قضى الله يومًا بالهيام له قضى سريعًا وهذي زبدة الخبرِ

والمؤلف يقول ان حبهُ فوق هذه المراتب لانهُ لم يجد له بينها عديلاً وهو الاغراق بعينهِ (١) هي ابنة لابان الصغرى ومحبوبة يعقوب ابي الاسباط وثانية زوجاتهِ وابنة خالهِ وقصتها معهُ واردةٌ في سفر التكوين فليراجعها هنالك من شاء . وراحيل ايضًا اسم ممثلة روايات ولدت عام ١٨٢٠ في سويسرا وماتت بداء السلّ في (كنت) من فرنسا سنة ١٨٥٨ كانت جميلة فتانة ومغنيةً مجيدة ومشخصة بارعةٍ ذاع صيتها في اقطار اوروبا حتى ضربتْ بها الامثال . كان ابوها دلالاً يهوديا فلما بلغت مبلغ النساء جعلت ترافقهُ ضاربةً بالقيثار فغنّت سنة ١٨٣١ في بعض ملاهي باريس فاعجبت مدير ملعب كان هناك اسمهُ (اشيل ريكور) فذهب بها الى ملعبهِ ووسد الى (كوروون) الموسيقيّ الشهير تعليمها فبرعت وبعدَ صيتها ولما ثارت الفتنة عام ١٨٤٨ اخذت تغنّي الاغنية التي تسمّى (مرسليز) فكان غناؤها يهيج الجماد ويؤثر في القلوب اشدّ تأثير فزادها ذلك

﴿العيادة﴾

جاءت مليكة مهجتي لتعود(١) مضناها الصديع(٢)
فرأت اسير جمالها فوق الوسادة كالصريعْ
تذري العيون مدامعاً مُزجَتْ بمنهلّ النجيعْ(٣)
والوجه اصفر كالبها ريشوبهُ سقمٌ مُريعْ
والجسم يقذف بالنخا ر تراهُ كالجمر اللذيعْ
نبضٌ هابطةٌ قوا هُ بفعل ذا النبض السريع
ومعالجي يبدي لهُ التشخيص انذاراً(٤) شنيعْ
فيقول قد عزَّ الدوا الاَّ اذا شاءَ السميعْ(٥)
هيهات ما فانديكَ ما بقراط ما حار الجميعْ(٦)

شهرة دخلها حتى بلغ ريعها السنويّ من الغناء ثمانين الف دينار (ليرا) قيل انها لم تتزوّج ولكنها تركت عند وفاتها ولدين غير شرعيين تربيا تربية مسيحية

(١) من العيادة وهي زيارة المريض (٢) الذي يشكو الصداع وهو ألم الراس (٣) دم الجوف (٤) يراد بالانذار عند الاطبّاء اعراض العلة الدالة على مستقبل الداء من شفاء او موت (٥) من الاسماء الحسنى (٦) اراد المؤلف ان يعدّد هنا باقي مشاهير الاطبّاء من مثل جالينوس وابن سينا وبحيشوع فاعترضته القافية فاكتفى وقد اراد (بفانديك) ذلك الطبيب النطاسيّ الشهير والعلاّمة الفلكيّ الكبير (كرنيليوس فانديك) نزيل بيروت صاحب التآليف المشهورة والتصانيف المذكورة يُعدُّ من حسنات القرن التاسع عشر بما ادّخر من ضروب العلوم وجمع من شتيت الفنون واللغات فانهُ متقنٌ علم

فبكتْ فدجتْ العقيـــق بلؤلوءٍ زاهٍ بديعْ
دمعٌ غدا بعد التكتـــم سرَّ بلوانا يذيعْ
وتأوَّهتْ جزعًا وقا لت يالهُ ويلاً فظيعْ
ياقوم قـــد تلفتْ حيا ةسليميَ البرّ المطيعْ
من بعد كوثر حبّهِ جُرّعتُ من هذا الضريعْ
ويلي لها من ساعةٍ من هولها شاب الرضيعْ
اسرعتَ في تشتيتنا يااَيها الدهر الكتيعْ
هلاَّ قبلتَ شفاعةً فبعثتُ بالخال الشفيعْ

الطبّ وما يتفرّع عنهُ كالصيدلية والاقرباذين والكيمياء والتشريح والحيوان والنبات والفيسيولوجيا حقّ الاتقان ومتضلّع بعلم الفلك والهندسة والجبر والجغرافية والتاريخ والانساب وحساب المثلّثات والمساحة والهيئة وعلم الاديان وقد الّف في جلّ هذه العلوم تآليف من غرر النفائس صيّرت المكاتب العربية معمورةً بعد اذ كانت دوارس ولهُ اليد الطولى في علم الاخلاق وعلم الكلام ومشاركة كبرى بكثير من الفنون العصرية وهو ملمٌّ بثمان عشرة لغة ويحسن العربية كواحدٍ من فحول علمائها ولهُ في العروض رسالة جمعت فاوعت فكان فيها الغنى والكفاية عن مطوّلات هذا الفنّ اماموٌ لُغةٌ في الامراض وتشخيصها المعروف (بالباتولوجيا) فهو الغاية التي يقصر عن ادراكها المتبحرون واليقيمة التي يعجز عن ايجاد اختها الغوّاصون وهو مع ذلك لسنٌ بليغٌ يكاد لا يخلو كلامهُ من نكتةٍ او نادرة سلس الطبع دمث الاخلاق رقيق الحاشية خفيف الروح سمح البنان طلق المحيّا كارهٌ للمال ينزع منازع العرب ويحذو حذوهم ويجري على سننهم في كثير من اطوارهِ ومشاربهِ

ويحي عليكَ قُصفتَ يا غصن الصبا زمنَ الربيعْ
لو كان امركَ في يدي لبذلتُ جهد المستطيعْ
او كنت تُشرى بالحيا ة شريتُ لكن من يبيعْ

غوّاث للفقراء محب لاهل العلم والادباء كلف باسعاد السوريين والاخذ باسباب ترقيهم ووسائل نجحهم لا يوفّر جهدًا ولا يوثر راحةً

وليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالم في واحدِ

ولدَ هذا الرجل العظيم في قرية (كندرهوك) من اعمال (نيويورك) في الولايات المتحدة الشمالية نهار ١٤ آب سنة ١٨١٨ من (هنري فانديك) الطبيب وكاترينا (فان الن) الهولانديين وهو ثامن اخوته وآخرهم قربي في حجر ابويه ولما بلغ لازم في قريته المدارس المرشحة والعالية فدرس اللاتينية ونبغ في العلوم الطبيعيّة وكان شديد الارتياح لها فحفظ في زمن يسير اسماء جميع نباتات اقليمهِ على نظام (لينيوس) شهير النباتيين والّف منها مجموعًا بديعًا يشتمل على مفردات فصائلها وعائلاتها وقبل ان يناهز العشرين كان يلقي في مدرستهِ خطبًا في الكيمياء يشدُ لها الراسخون في العلم وخدم في صباه صيدلية ابيهِ فأخذ عنها (الاقراباذين) علمًا ومزاولةً وتكشف على الطبّ فاخذهُ بجذافيره وشهدت لهُ بهِ مدرسة (جفرسن) القائمة في مدينة (فيلادلفيا) وكان قد حصّل ما حصّل وليس لهُ الاّ بقايا كتبٍ لا تشفي لفؤاد غلة ولا تزيح عن قلب علة لان اباهُ كان قد بدّد ثروتهُ بنفاق اليف كان كفلهُ مروّةً فغدر بهِ والجأهُ الى بيع عقارهِ وعروضهِ حتى اصبح صفر اليدين. وفي عام ١٨٤٠ بعثتهُ اللجنة الاميركية بشيرًا دينيًا الى سورية فبلغ بيروت في ٢ نيسان من السنة المذكورة وبعد اذ لبث فيها اشهرًا ذهب الى القدس لتطبيب بعض المرسلين فمكث تسعة اشهر ثم حلّ بيروت حتى خريف سنة ١٨٤٢ ثم تحوّل

فبدت امارات العبو س بوجه آسينا النزيعْ
ومضى يدمدم فاغرًا لسبابنا شدْقًا وسيعْ
زعمًا بأنّ حديثها سيجيء بالنزْع السريعْ

الى قرية (عينات) من لبنان وفي اواخر السنة المذكورة تزوّج بالسيدة جوليا سليلة (بطرس ابت) فتصل الانكليز في بيروت وبعد قليل انتقل الى قرية (عية) وشاد هناك مدرسة عالية ساعده بالتعليم فيها العلّامة المغفور له بطرس البستاني ولكنه في سنة ١٨٥١ عهد بادارة المدرسة الى آخر وبُعث هو مع الدكتور (طمسن) الى صيدا وما يجاورها بشيرًا و واعظًا فلبث هنالك حينًا من الدهر امتلك في خلالها قلوب الاهلين وفاز بثقتهم واحترامهم ثمّ عاود بيروت في اوائل عام ١٨٥٧ مندوبًا لاكمال ترجمة العهدَين العربية وكان باشرها الفاضل (عالي سميث) الذي توفي ولم ينجز منها سوى جزء من اسفار موسى فاشتغل بتلك الترجمة حتى سنة ١٨٦٤ ولما تمّت قصد اميركا لاصطناع صفائح نحاسية لطبع ترجمتهِ المذكورة فاقام هنالك عامين كان يدرّس في خلالها العبرانية واليونانية في مدرسة (يونيون) اللاهوتية ولما تمّ عمل الصفائح عُرض عليهِ الاندماج في سلك اساتذة تلك المدرسة فأبى وعاد الى سورية سنه ١٨٦٧ مشتغلاً بادارة مطبعة الاميركان وبالتأليف وكان مرسلو سورية قد اجمعوا على وجوب انشاء مدرسة كلية في بيروت للعلوم والطب وأُرسل الدكتور (بلس) ليستمدّ دراهم لهذه الغاية ولدى عود (فانديك) عين استاذًا فيها فأنشأ بمساعدة الدكتور (يوحنا ورتبات) القسم الطبيّ ولم يكن الدكتور (بوست) حتى ذاك الآن اتى بيروت فأخذ يعلّم (فانديك) الكيمياء والبانولوجيا والهيئة ولفقدان ادوات الكيمياء احتاج الى بذل مائتي دينار في سبيل ابتياع اهمّ ما يلزم للتعليم والمزاولة على ان ادارة المدرسة لم تعضهُ عنها باكثر من مئة

لكنّني قبل الصبا ح نصلتُ من دآئي المريعْ
وذهبتُ اعتبهُ على هذيانهِ الفظّ الشنيعْ
فصغا وحملق حائرًا واجاب من قلبٍ صديعْ

ذهب ولما انشئت بنايات المدرسة في رأس بيروت ابتنى بجوارها المرصد الفلكيّ و (الميتورولوجي) واستحضر له ادوات جمة بذل قيمتها من مالهِ الخاص وكان راتبهُ في المدرسة ١٨٠ دينارًا حالة كون راتب كل من رصفائهِ ٣٠٠ دينار ولقد طالما خدم المرضى في مستشفى (ماري يوحنا) خدمة الاب الرؤوف لابنهِ المطيع حسبةً لله وما برح يبذل للسوريين هذه الخدمات الخطيرة حتى استقال مذ عهد قريب ولزم بيتهُ عاكفًا على التأليف والتصنيف وذلك لاسباب اهمها تحامل عمدة الادارة على الدكتور لويس استاذ الكيمياء والجيولوجيا اعتمادًا على تقارير سرية بعث بها بعض الاساتذة الغاوين من شأنها اتهامهُ ببثّ الآراء الداروينية بين الطلبة فكان اعتزالهُ كسوف عرى شمس التعليم في المدرسة فذهب بأشعتها وتركها في ظلمات بعضها فوق بعض على اننا لم نحرم منهُ كل يوم محمدة جديدة واثرًا نافعًا فسبحان من جعل في عباده واحدًا بمقام الف والفًا بمقام واحد انهُ الحكيم الوهّاب * واما بقراط فهو ابن الطب وابوهُ وعمهُ واخوهُ بل هو منبت اصولهِ ومدوّن موضوعهِ ومحمولهِ كان من الدهاة الاساطين والثقاة المدققين ولد في جزيرة (كوس) عام ٤٦٠ قبل المسيح ومات في لاريسا المعروفة الان (بكي شهر) من تساليا بين عام (٣٥٧ و ٣٥١) اخذ الطب عن ابيهِ (هراكليدس) ثم سار الى آثينا فتلقّاهُ من (هيرودبلوس) والحكيم (جورجياس) و (ذيمو قراطس) ثمّ رقّى الطب من دركتهِ الخرافية الى درجتهِ العلمية وجعل لفروع العلل اصلين وهما الهواء والغذاء وقرّر ان الامزجة اربعة وهي الدموية والبلغمية والسوداوية

ياسرُ باتولوجيا العشّاق ما هذا الصنيعُ (١)

(الثبات)

ياجوزفين (٢) اللطف اني ثابتٌ هيهات اغدر مثل نابليون

والصفراوية (المادّيون المعاصرون يقولون هي الدموية والعصبية والليمفاوية والعضلية) وقال ان الامراض تحدث من نقصان احداها وزيادتها ومع ان التشريح كان محظورًا في عصره استطاع ان يدرك امورًا جمة من تركيب الدماغ والاحشاء ولكنه لم يقوَ على التمييز بين الاوردة والشرايين والاربطة والاعصاب . سئل عن جالينوس فقال (جالينوس ادّبهُ الدرس وبقراط ادّبتهُ الطبيعة) واتى قومٌ بتمثالهِ الى ﴿ فليمون ﴾ الفيلسوف وكان يدّعي علم الفراسة فقال انهُ مولعٌ بالزنى فسألوا بقراط فقال صدق فليمون فان نفسي تنهاك عليهِ ولكنني شكمتها بالعقل فقطعتها . قتلهُ قضاة آتينا على القول بالتناسخ وقيل انهُ لم يكن مذهبهُ ولكن بعض تلامذتهِ شهدوا عليهِ بهِ زورًا فأُميت مسمومًا

(١) قد حدانا طول الترجمة الى تفسير الالفاظ الغريبة الواردة في باقي القصيدة مرّة واحدة كما ترى ﴿ الضريع ﴾ شيءٌ في جهنم امرُّ من الصبر وانتن من الجيفة واحرُّ من النار ﴿ الكتيع ﴾ اللئيم ﴿ آتينا ﴾ طبيبنا ﴿ النزيع ﴾ الغريب ﴿ بدمدم ﴾ يتكلم بغضب ﴿ فاغرًا ﴾ يقال فغر فاه اي فتحهُ ﴿ النزع ﴾ خروج الروح واقتلاعها بالموت والعامة تقول نزاع ﴿ نصلتُ ﴾ يقال نصلت اللحية نصولاً اذا خرجت من الخضاب والمراد هنا الخروج من الداء ﴿ نصغا ﴾ مال باحد شقيهِ ﴿ حملق ﴾ فتح عينيهِ ونظر شديدًا ﴿ باتولوجيا ﴾ علم الامراض وتشخيصها

(٢) هي زوجة ﴿ بونابرت ﴾ سلطان فرنسيس الآتي ذكرهُ كانت معتدلة القامة بديعة التكوين ذات عينين زرقاوين تجذبان القلوب كالمغنطيس وشعر

قد جدَّ بي وجدي وعزَّ تصبُّري حقًّا فكوني في المحبة عوني

(الاستخدام)

كلفتُ بتلمودية غنج لحظها يقصُّ على ألبابنا سبيَ بابلِ
توهمتهُ موسى ولما سطتْ بهِ علمتُ يقيناً انهُ سيف قاتل

مسترسل فتَّان وهيئة لطيفة ساحرة تشفُّ عما أُودعتْ من خفة الروح وسلاسة الطبع. ولدتْ في (تروا ايلت) سنة ١٧٦٣ وتزوَّجت (بالفيكونت بوهرني) سنة ١٧٧٩ وكان عمرهُ ١٨ سنة فمات عنها قتيلاً سنة ١٧٩٤ وباتفاق اضربنا عن ايضاحهِ اختصاراً تزوَّجها نابوليون في ٩ آذار سنة ١٧٩٦ وتتوَّجت معهُ مليكة (امبراطورة) على فرنسا في ١٨ ايار سنة ١٨٠٤ ثمَّ طلقها في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٠٩ مستبدلاً اياها (بماري لويزا) ابنة قيصر النمسا وبين بهجة كونها لم تأتِ لهُ بأولاد فغادرت البلاط حزينةً وذهبتْ الى قصر (ملميزون) حيثما صرفت غابر حياتها باكيةً نادبة سوء طالعها وتعاسة بختها. توفيتْ في مرض البلعوم سنة ١٨١٤ وعمرها ٥١ عامًا فدُفنت في الكنيسة الملوكية ضمن ضريح رخاميّ. وقد كتب سيرتها كثيرون ورماها بعضهم بمطاعن هي براءٌ منها فانها عاشت عفيفةً وماتت شريفة ولسان حالها يقول (ألا لعنة الله على الكاذبين) واما نابوليون (بونابرت) زوجها فهو بطل القرن الثامن عشر المشهور وعلَمهُ المذكور يعدُّ من طبقة اسكندر المكدوني شجاعةً ونزوعًا الى المعالي وآتلا المغولي وصلاح الدين الايوبي اقدامًا وجنوحًا للمغازي والسلطان سليمان العثماني والقيصر شارلمان دهاءً وخبرةً في السياسات وجنكيز وتيمور كلفًا بالفتك وطموحًا للملاحم. ولد هذا الرجل في مدينة (اجاكسيو) قاعدة جزيرة (كورسيكا) التابعة ولاية جينوى الايتالية في ١٥ آب سنة ١٧٦٩ من (شارل بونابرت) احد اشراف

(التغاير)

ان لاح لي وجهك الوضّاح جنح دجى عاينتُ شمسًا تردّت حلة الغسقِ
وان بدا وعمود الصبح منفلقًا شاهدت بدرًا غدا يسمو على الفلقِ

(كورسيكا) وذلك قبل استيلاء الفرنسويين على الجزيرة بنحو شهرين . دخل في سنّ العشر سنوات مدرسة (بريني) الحربية وبعد اربع سنين تمكن بعناية (الكونت ماريوف) من ولوج مدرسة باريس فبرع هناك وبرّز على اقرانهِ وكان ولوعًا بفنّ الهندسة كثير الاشتغال بوفائقهُ باحكام ونال الشهادة العلمية في اوّل ايلول سنة ١٧٨٥ واعطي رتبة نائب قائمقام في الجندية وبعد امد يسير ارسل الى (فالانس) فرقي الى رتبة قائمقام المدفعيين ولما شبّت نيران ثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ كان (بونابرت) في عداد الذين نفيوا بلا محاكمة فقطع في (نيس) ثمّ في (مرسيليا) وقتًا طويلاً في عيش ضيّق آخذ باطراف الفقر والخمول ولكنهُ عاد بعدُ الى الخدمة وعُهد اليهِ مهمة في مرسيليا فكانت قرينة النجاح فرقّاهُ (الكونفنسيون) الى رتبة فريق بيدَ ان العصيان الباريسي الذي ثار ضدّ الاتحاد الدولي في ٥ تشرين اوّل سنة ١٧٩٥ قد نقل حبوة (بونابرت) الى برج آخر فأُتيح لهُ ان يكون زعيم عصابة وطنية وفي السنة التالية عقد على (جوزفين) وقبل ان يستوفي ايام الهناء المعدودة التي يحلم بها العروسان عادةً عيّن قائدًا عامًّا للجيش المقهور في (ايتاليا) فقطع جبال (الالب) وتولى زمام القيادة باقدام واحكام كان من نتيجتها افناء تسعة جيوش منها اربعة نمسوية فطار صيتهُ في الآفاق وعلا في عالم الحرب منارهُ فسمّي جنرالاً واتجهت اليهِ عواطف الامة وامالها وجعلتهُ مركز دائرة رجائها بما جعل الحكومة تتوجّس منهُ خيفةً فرأت ان تقصيهِ عن (اوروبا) فأمرتهُ بالذهاب الى مصر فتخص اليها في ١٩ ايار سنة ١٧٩٨ واستلبها من ايدي المماليك عنوةً

(الجناس المطلق)

توهم حبةً في وجه حبي فؤادي اذ رأى خالاً بخدِّ
فاوماً نحوهُ ان تلكَ ماتت تعالي فاسكني ان شئتِ عندي

بغية ان يتخذها مفتاحاً لحربٍ هندية ثم ذهب الى مالطة ففتحها ومع ان الاميرال (نيلسون) الانكليزي كان قد غدر بهِ وذهب بعمارتهِ في (ابي قير) ادراج الرياح والحكومة الفرنسوية قطعت عنهُ المدَد حسداً ولؤماً لم تلوِ تلك العوائق عنانهُ بل سار الى سورية وفتح بقائم سيفهِ العريش فغزَّة فحيفا فيافا وبعد ان شدَّد الحصار على عكا وكاد يستولي عليها فشا الطاعون في معسكرهِ وفتك بهِ فتكاً ذريعاً فالجيء الى رفع الحصار فعاد متقهقراً الى مصر بعد ان قاتل عشرين الف تركماني بألفي فرنساوي في جبل (طابور) ولما احاط علماً بويلات فرنسا الاخيرة وتفرُّق امرها غادر جيشهُ الى (كليبر) ورحل الى فرنسا وكانت نجاتهُ في الطريق من ايدي الانكليز تعدُّ من المعجزات فدخل باريس في اواخر سنة ١٧٩٩ ولما رأى ان شمس حكومة (الديركتوار) قد آذنت بالافول والاحزاب العاصية في حاجةٍ الى دهقانٍ يسوسها قدح زناد همتهِ حتى فاز بمساعدة اخيهِ (لوسيين) من هدم الحكومة في ٩ تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ فسمي قنصلاً اولاً الى عشر سنوات فعباً جيشاً وسار الى (ايتاليا) فقام فيها بانتصارات لامعة عقد على اثرها صلحاً شريفاً عاد على (بونابرت) بالنفع اذ مكَّنهُ من سدّ الاختلال الداخليّ والدأب لاصلاح القوانين والادارة فاتى في شؤون الادارة بتحسينات ادهشت اوروبا ثم نودي بهِ قيصراً على فرنسا ولما توَّج ملكاً على (ايتاليا) عادت (انكلترا) الى مناوأتهِ ثمَّ اقتفت آثارها النمسا وبروسيا وروسيا فعبأ الجيوش وامتشق مرهف عزيمتهِ فغادر البلاد الاوروباوية حيناً من الدهر هوَّة تلتهم ملايين من نوع

(جناس البَدَل)

يرى الناس ايام الشباب مضيئةً وانظرها سُودًا بدت في حِدادها

وكيف ترى عيني سنا الصبح ابيضًا وقد ذاب من طول السهاد سوادها

الانسان وانهرًا تموّج بسيول الدماء النازفة من اوردة الابطال وكان النصر حليفهُ اينما سار الاّ في مكيدة (موسكو) الروسية ولها في التاريخ نبأ يرجع اليهِ من رام لهذا الاجمال تفصيلاً . وفي سنة ١٨٠٩ طلّق (جوزفين) كما علمت وبنى (بماريا تريزيا) ابنة قيصر النمسا فاولدها ابنهُ (نابليون الثاني) فكان ذلك مع اسباب اُخر باعثًا لشجب البابا (بيوس) السابع لهُ وحرمهِ اياهُ على رؤوس الاشهاد وقد مرّ على هذا البطل زمنٌ كان فيهِ عدوًّا لاوروبا على بكرة ابيها وتهيّأ لهُ وحدهُ ان يقاوم الكلّ بجدٍّ وثبات يكاد يكون من الخوارق وقد حدث في جغرافية القارّة تغييرًا مهمًّا وسمّى اخوتهُ ملوكًا على قسم كبير منها ولم يكفهِ هذا حتى تعاهد سرًّا مع اسكندر قيصر الروس على اقتسام الدنيا بينهما ولما فشل في (موسكو) ملّهُ الاهلون وخذلوهُ فنادوا بلويس الثامن عشر البوربوني ملكًا على فرنسا في ١٢ آذار سنة ١٨١٤ فاستقال بونابرت في ٤ نيسان سنة ١٨١٤ واستقلّ بجزيرة الالب فاقام فيها عشرة اشهر ثم عاد الى (فرنسا) في اوّل آذار سنة ١٨١٥ فدخل باريس دون ممانع وفرّ الملك لويس عائدًا الى (انكلترا) فعادت الدوَل المتحدة الى الهرج ونهضت كرجل واحد الى مناصبتهِ فأخذ بزمام الجيش وخرج اليهم مقاتلاً فانتصر في (ليبني) على البروسيويين ولكنهُ قهر آخيرًا في (واترلو) من (ولينتون) الانكليزي فخذل وعاد ادراجهُ حتى اذا بلغ باريس في ٢٢ حزيران سنة ١٨١٥ تخلّى عن العرش الى ابنهِ ولما ابى المتحدون ان يتولى فرنسا احدٌ من سلالتهِ مضى الى (روشفورت) ورغب الى الانكليز ان يحلّ بلادهم ضيفًا يظلّلهُ لواء شريعتها

(الجناس المحرّف)

ياطرّةً في غـــرّةٍ سيناتها سلّت (١) نعاسي
وسوالفًا في وجنةٍ لاماتها سلبت حواسي
كجنان (٢) ذات الحسن اذ سلبت جنان ابي نواس

فلبوه وركب ثمت البارجة (بللرفون) فمخرت به حتى بلغ (بليموث) الانكليزية وهنالك حظر عليه النزول الى البرّ وابلغته الحكومة انه اسير حرب فقاومر هذا الغدر بجدّة وثبات ولكنه كان كالنافخ في رماد وشيّع اخيرًا الى جزيرة القديسة هيلانة الواقعة في جنوب (الاوقيانوس الاتلنتيكي) حيثما عاش ذليلاً كظيمًا الى ان حانت منيته في ٥ ايار سنة ١٨٢١ فحنّط ودُفن في الجزيرة ثم نُقلت بقاياه باحتفال نادر النظير الى فرنسا سنة ١٨٤٠ ودُفنت بالاجلال في دار (الانفاليد) اما اقدامه على قتل الاسرى في يافا واسرافه بالحيف والجور على البابا فقد رقمًا في صفحة تاريخه المجيد بخطّ صريح قول القائل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعدّ معائبه

(١) انتزعته واخرجته برفق كسلّ السيف من الغمد والشعرة من العجين (٢) هي جارية عبد الوهاب الثقفي وبعضهم يسميها (عنان) كانت حسناء زهراء ذات عقل رزين وادب مكين وخبرة في امور الدنيا والدين طيّبة النكتة راوية للاخبار حافظة للآثار منشدة للاشعار احبها ابو نواس الآتي ذكره وشبّب بها في كثير من اشعاره ومنها

اما يفنى حديثك عن جنانٍ ولا تبقى على هذا اللسانِ
اكلّ الدهر قلتَ لها وقالت فكم هذا اما هذا بفانِ

ورآها يومًا في مأتم سيّدها تندبه باكية وهي مخضّبة فقال مرتجلاً

ياقمرًا ابرزه مأتمٌ يندب شجوًا بين اتراب

ومعاصمًا كالياسمين توشحت بعروق آسِ
ومباسمًا قد أنبتت ياقوتتاها نجمَ ماسِ
ولواحظًا ريميّةً قد اقصدت قلبي الكناسي

يبكي فيذري الدمع من نرجسٍ ويلطم الوردَ بعنابِ
لا تبكِ ميتًا حلّ في حفرةٍ وابكِ قتيلاً قام بالبابِ
ابرزهُ المأتم لي كارهًا برغم دايات وحجّابِ
لا زال دأبًا موت اصحابهِ ودأب ان ابصرهُ دأبي

ولهُ معها وقائع ونوادر لا يحتملها المقام. قيل ان ابا نواس لم يصدق بحبهِ امرأة غيرها. اما ابونواس فهو الحسن بن هاني الحكمي الخليع الماجن والشاعر المتهتك المشهور. قال عنهُ المؤلف في حاشية كتابهِ كنز الناظم ما نصهُ * هو نديم الرشيد العباسي. كان بين سكيريّ ذلك الزمان صاحب البند والعلَم. وبحبهِ بنت الدنان اشهر من نار على علَم. ولهُ في الصهباء اشعارٌ رائقة. ذات معان شائقة. سارت بها الركبان مسيرَ الشمس والقمر. وتناشدتها الانس والجان في كل سفَر وحضر *وابدع معاني خمريّاتهِ ما يأتي

زقّ الزجاج وراقت الخمرُ فتشابها فتشاكل الامرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدح وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

قيل سئل العبّاس عن شعر ابي نواس فقال *هو ارقّ من الوهم. وانفذ من الفهم. وامضى من السهم *ومن غريب معانيهِ قولهُ في نعت الدنيا

ألا كلُّ حيٍّ هالكٌ وابن هالكِ وذو نسب في الهالكين عريقِ
اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت لهُ عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

وقولهُ وهو غاية في الحسن والطلاوة وآية في الانسجام والرقة

ولو اني استزدتك فوق ما بي من البلوى لأعجزك المزيدُ

ومعاطفًا تُثنى على كفلٍ يعدُّ من الرواسي
ذاب الفؤادُ صبابةً حتَّام ذاك القلب قاسِ (١)

(الاشارة)

حذارِ ياقوم من اعطاف فاتنةٍ اذا أُثنت تخجل السمر الردينيَّة
سبت فوادي بلحظيها وقامتها كما سبت ابن عبّاد رُميكيَّة (٢)

ولو عُرضت على الموتى حياتي بعيش مثل عيشي لم يريدوا

ولد في البصرة عام ١٤١ للهجرة وادركتهُ الوفاة في بغداد سنة ١٩٦

(١) تفسير الالفاظ الغريبة الواردة في هذه الابيات ﴿ جنان ﴾ قلب او روح ﴿ بعروق ﴾ جمع عرْق وهو من الشجر اصلهُ ومن البدَن وريدهُ الذي يجري فيهِ الدم . والبيت يتناول المعنيين توريةً ﴿ نجم ﴾ واحد النجوم وهي الكواكب ومن النبات خلاف الشجر اي ما لا يقوم على ساق . والمقام يحتمل المعنيين توريةً ﴿ ريمية ﴾ نسبة الى الريم وهو الغزال الابيض ﴿ اقصدت ﴾ يقال اقصد السهم اي اصاب فقتل مكانهُ ﴿ الكناسيُّ ﴾ المنسوب الى الكناس وهو بيت الغزال ﴿ الرواسي ﴾ الجبال (٢) هي امرأة المعتمد بن عبّاد الملك الاندلسي ومعشوقتهُ التي مرَّ ذكرها في ترجمة ابنتها بُثينة كانت اكثر نساء الاندلس حسنًا واطيبهنَّ حديثًا واسرعهنَّ خاطرًا واصفاهنَّ ذهنًا وسبب زواجها بالمعتمد انهُ ركب يومًا فُلكًا وطاف في النهر ومعهُ وزيرهُ ابن عمّار فرأى النسيم يتلاعب على وجه الماء فيجعّدهُ فراقه ذلك وكان شاعرًا مطبوعًا فقال لابن عمّار أجز قولي (نسج الريح على الماء زرَدْ) فأرتج على ابن عمّار فاطال الفكر دون ان يفتح عليهِ بشيء وكانت هنالك الرميكية تغسل ثوابها

(العرب العرباء)

روحي فداءُ خريدة (١) تركيةٍ الحاظها عربيةٌ عرباءُ (٢)
تختال في حبر الحرير كأنها شمس النهار ازارها الظلماءُ
حاكت بصفحة خدها اذ زانهُ عرقٌ يصيغ بهِ الحبابَ حياءُ
صحناً من الماس النقيّ يحيطهُ درٌّ بهِ ياقوتةٌ حمراءُ
غازلتها فازورَّ حاجب عينها ولوت بوجهٍ بان منهُ جفاءُ

فقالت لابن عمار ليتك تقول (يالهُ درعاً منيعاً لو وجد) فاعجب ابن عباد بحسن بداهتها ولطف معناها فنوسها فاذا هي آية للناظرين فخطبها الى نفسها فلبّت وما عنّم ان بنى بها ونادى بحبها تهتكاً وخلاعة حتى آل امرهُ الى ترك صلوة الجمعة فشكاهُ الناس الى (يوسف بن تاشفين) سلطان المغرب فاحتال عليهِ حتى نكبهُ واسرهُ . وماتت الرميكية في الاسر قبلهُ فجزع عليها اشدّ الجزع وما زال يرثيها برقائق الاشعار . ويبكيها بالدمع المدرار . اناء الليل واطراف النهار . حتى حلّ بهِ البوار . فضمّ الى لحدها ولسان دافنهِ يقول محرّفاً

لم يخلق الرحمن انعس منظراً من عاشقين بترب لحد واحدِ

قيل ان المعتمد قتل ابن عمار بسبب الرُميكية ذلك انهُ سخر بهِ يوماً في بعض نظمهِ فاغتاظ ابن عمار وقال يهجوهُ وإياها

تخيّرتها من بنات اللجان رُميكية لا تساوي عقالا
فجاءت بكلّ قصير العذار لئيم التجار بن عمّاً وخالا
سأهتك عرضك شيئاً فشيئاً واكشف سترك حالاً فحالا

فاغرت بهِ المعتمد حتى قتلهُ (١) لؤلؤة لم تثقب والخريدة ايضاً البكر التي لم تمسس او العذراء الخفرة المستترة (٢) صريحة العروبة خالصتها

فكأنني الوضّاح (١) من كلفي بها وكأنها من بغضها الزبّاء (٢)

(١) هو جذيمة الابرش ملك الحيرة سمي بذلك لوضح اي (برص) فيه. كان ملكًا مهيبًا مقدامًا كثير المغازي والفتوحات وهو صاحب النديمين اللذين قيل فيهما

وكنا كندماني جذيمةَ حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفارقنا كأني ومالكًا لطول اجتماع لم نبتْ ليلةً معا

قتلته الزبّاء الآتي ذكرها (٢) هي ناثلة بنت عمرو بن الظرب ملكة جزيرة العرب سميت الزبّاء لكثرة شعرها * كانت جميلة فتّانة * وداهية دهقانة * غزا الوضّاح اباها وحاصرهُ فقتلهُ فتولّت المُلك بعدهُ فسوّل لها الشيطان ان يخطبها لنفسهِ طمعًا بمُلكها ففعل خلافًا لرأي وزيره ﴿ قصير بن سعد ﴾ فلبّتهُ ووراءهُ الاكمة ما وراؤها ثم دعتهُ اليها فلما جاءها اكرمت وفادتهُ واحسنت ملتقاهُ ثم ادخلتهُ الى مقصورة اجلستهُ فيها بين قصيرات الطرف اتراب * ودعت بفاكهة كثيرة وشراب * ثم امرت بهِ فنُصد وقالت لوصائفها احرصن ويلكنّ على دم سيدكنّ فانهُ عزيزٌ لديّ فقال لها الوضاح هان دمٌ بذلهُ اهلهُ وما زالت بهِ حتى مات وفي ذلك يقول ابن اختهِ عمرو بن عديّ من ابيات

فحكّمت الحديد براهشيهِ فالفى قولها كذبًا ومينا

ثم جدع قصير انفهُ مكرًا وحيلةً واتاها متنزلفًا فاطمأنت لهُ وعوّلت عليهِ في شؤونها ولما عرف مداخلها ومخارجها ذهب الى عمرو بحجة انهُ يبتاع لها قماشًا من نفائس صنعاء فلما عاد وقد عبأ جوالق الجمال بكماةٍ وابطال اطلّت الزباء من شراريف صرحها فرأت الابل تمشي الهوينا فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا اجندلاً يحملن ام حديدا
ام صرفانًا باردًا شديدا ام الرجال جثّمًا قعودا

﴿ لسانُ الصبابة ﴾

ديدَون (١) ياسيّدتي ومن لديها مهجتي

ومن هواها سنّتي والفرض ردّي سنتي

ولكن كان قد جرى القلم * بما حكم * فما احست الاّ والويل عمّ * والبلاء طمّ فعمدت الى سرداب خفيّ قصدَ الفرار منهُ واذا بعمرو يرصدها فيهِ وسيفهُ مشهرٌ في يدهِ فلجأت الى خاتم كانت اودعتهُ لحين الحاجة سمًّا قتّالاً فامتصتهُ قائلة ﴿ يدي لا يد عمرو ﴾ فماتت شهيدة ثارها * وغريقة تيّارها (١) وتسمى (اليزا) ايضًا هي ملكة صور بنت الملك (بعلوس) وزوجة (سيشه) كاهن (هراكليس) الذي كان اغنى الفينيقيين على بكرة ابيهم واجملهم خلقًا وخُلقًا ثار اخوها (بكماليون) بزوجها فقتلهُ طمعًا باستلاب كنوزه فجزعت عليهِ (ديدون) جزعًا عظيمًا ولم تطق بعدهُ المكث في صور ففرّت مع اخيها (برقا) وقوم ممن تغيّروا على اخيها زاعمة ان زوجها المقتول قد آمرها بالرؤيا ان تبارح صورًا وكانت قد نقلت خفيةً الى محلّ اسمهُ (كرنا) واقع بين صور وصيدا قسمًا جليلاً من امتعتها وثروتها فركبت من هناك سائرة الى شمالي (فينيقية) فعاجت بسيرها بجزيرة قبرص وكان يوم عيد فرأت على الشاطئ ربربًا من اجمل بنات الجزيرة مجتمعات هناك للهو والمرح فاختطفنهنّ رجالها واقلعوا حتى اذا بلغوا سواحل (زوجيانا) تجاه جزيرة صقلية استأذنت (ديدون) ملكها (بريماس) او (اياريماس) في بناء قلعة فاذن لها على شريطة ان تبذل لهُ خراجًا فرضيت وبنت هنالك قلعة دعتها (بصرة) ومعناهُ حصنٌ باللغة الفينيقية فحرّفهُ اليونان في لغتهم فسمّوها (بُرسا) اي (جلد الثور) ثم اشترت من ملك (موريطانا) ارضًا انشأت فيها مدينة (قرطاجنة) الافريقية وذلك سنة ٨٦٠ قبل المسيح . وكان (اياريماس) قد شغف بها حبًّا فخطبها الى

غادرتني كثيرًا (١) من فرط هذي العزّة
ياقرّة العينين يا معدن كلّ الرقّة
اهوالك في عالم عصر الذرّ قبل الفطرة

نفسها ولما لم يسعها مخالفته حرصًا على حيوة قومها وكانت مرتبطة مع زوجها المقتول بقسم الا تستبدله بآخر طلبت مهلة ثلاثة اشهر لكي تستعدّ للزفاف عليه فلبّاها ولكنها في نهاية المدّة المذكورة علت رابية هناك وطعنت نفسها بخنجر فماتت فكانت سيرتها موضوعًا جميلاً لكتبة الافرنج يبنون عليه رواياتهم المنجمعة وقد عثر المتأخرون على تمثال لديدون منحوت بيد (كيربن) الشهير قيل انه محفوظ الان بدار الآثار في (لندن)

(١) هو صاحب عزة بنت جميل المشهورة علقها كاعبًا قد نهد ثديها بدليل قوله

نظرتُ اليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين ان شبّت وبان نهودها
نظرتُ اليها نظرةً ما يسرّني بها حمر انعام البلاد وسودها

وكان كثير الكَلَف بها شديد الصبوّ اليها يروى عنهما وقائع تكاد تكون غلوًا منها انها وقفت عليه وهو يبري سهامًا فجعل يبري ساعده ومنها انه صبّ لها في نحي (ظرف) سمنًا فابرح يصبّ حتى غرقت رجلاها في السمن وهو لا يعي على شيء وقيل انها حجت ذات العوم مع حليلها فبلغ ذلك كثيرًا فنوى الحج طمعًا بان يراها فلم يمكّنها زوجها من فرصة تؤذن لها بالذهاب اليه فما كان منها الا ان رأت جملهُ يومًا فمسحت وجهه وحنّته فلما علم كثيرٌ بما كان وقف على الجمل فحلّهُ من عقالهِ وانشد

حنّتك عزّة بعد الحجّ وانصرفت فحيّ ويحك من حيّاك ياجملُ
لو كنت حيينها ما زلت ذا مقةٍ عندي ولا مسك الا دلاج والعملُ
ليت التحية كانت لي فارددها مكان ياجملٌ حيّيت يارجلُ

بالبيت والركن وما بين الصفا والمروةِ
وبالحطيم ومنًى وسترتلك الكعبةِ
جودي على مغرمكِ العاني ولو باللفتةِ
نكّرت تعريفي وقد انكرتِ تلك الصحبةِ
ما بين امسٍ وغدٍ ضيّعتِ ثلثي صبوتي
شيّبتني في لمّتي كفرتني في ملّتي

ومانت عزّة قبلهُ فوقف على قبرها فانشد

وقفتِ على ربعِ لعزّة ناقتي وفي البرّ رشّاشٌ من الدمع بسفحُ
فياعزُّ انتِ البدر قدحال دونهُ رجيع تراب والصفيح المضرّحُ
وقد كنتِ ابكي من فراقك خيفة فهذا لعمري اليوم انأى وانزحُ
فهلاً فداك الموت من ان ترينهُ بمن هو اسوا منكِ حالاً واقبحُ
اربّ بعينيّ البكا كلّ ليلةٍ فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرّحُ
اذا لم يكن ما تسفح العين لي دمًا وشرُّ البكاءِ المستعار المسيحُ

وما زال بعدها الف حسرات . وحليف عبراتٍ وزفرات . حتى ادركتهُ الوفاة سنة ١٠٥ للهجرة . ومن بديع شعره فيها قولهُ

لا تغدرنّ بوصل عزّة بعدما اخذت عليك مواثقًا وعهودا
انّ المحبّ اذا احبّ حبيبهُ صدق الصفاءَ وانجز الموعودا
الله يعلم لو اردت زيادةً في حبّ عزّة ماوجدت مزيدا
رهبان مدينَ والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خرّوا لعزّة خاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامهُ مسًّا ويخلدُ ان اراد خلودا

حتى متى الى متى هذا الجفا يافتنتي
كفى كفى جبًا وفا اين الوفا يادُميتي
حبُّك قُوتي وعجيبٌ كيف افنى قوَّتي
منيتي حانت وما واصلتني يامنيتي
قولي بحقِّ الحبِّ يا سلطانة البريَّةِ
احمرةٌ ام خمرةٌ ام جمرةٌ في الوجنةِ
واحرقتي من مارجٍ في صحنها واقرحتي
وجهك شمسٌ انما يرنو بعيني ظبيةِ
ما طيرت عقلي سوى سينات تلك الطرَّةِ
عن غرَّةٍ اوقعتني ووات تلك الغرَّةِ
ابرقعٌ ام عقربٌ يلسع اهل الخلَّةِ
هذا الذي انظرهُ يخفق فوق الجبهةِ
كبيرقٍ يعلو على رمح بأعلى قبَّة
جسمكِ ماءٌ انما قلبكِ مثل الصخرةِ
من اجل هذا الصدِّ كا نت رغبتي في غربتي
نعم والاَّ لم يكن لي بغيةٌ من غيبتي
لا تنظر العين ولا تسمع اذنٌ صمَّتِ
ياعِبرة العشَّاق في نعمان تلك العبرة

لولا اللمى الباهي لما ذقتُ الدما من دمعتي
لا طبَّ يشفي علَّتي لا ماءَ يشفي غلَّتي
احيي الظلام طاويًا اذ لقمتي من مقلتي
وجنتي من طلعةٍ بالحقّ تدعى جنّتي
ياقبلةً لا اشتفي منهـا بالفي قُبلةِ
ان كان قد اباح اعـدامي قاضي الامةِ
او كان هذا اللحـاظ قدسيَ سيف النقمةِ
لبّيك لكن بيّني منطوق تلك الحجةِ
وبعد ذالك نفذي القرار لكن بالتي
ها ربقتي في رقبتي والنطع تحت الركبةِ
ياويح اهل العشق قد ذاقوا عذاب الصيحةِ
قد ضُرِبَتْ عليهمُ الذلة بالمسكنةِ
فلذّتي في ذاتي وذلتي في لذّتي (١)

(١) تفسير الالفاظ الغريبة الواردة في هذه القصيدة ﴿ سنتي ﴾ نعاس ﴿ الذرّ ﴾ جمع ذرّة وهي الجزء من اجزآء الهوآء قيل كل مائة منها توازن حبة الشعير ﴿ البيت ﴾ الكعبة ﴿ الركن ﴾ الحجر الاسود الموضوع في الكعبة للفم والتبرّك ﴿ الصفا والمروة ﴾ مشعرا الحجّ في مكة ﴿ الحطيم ﴾ ما بين الركن وزمزم والمقام حيث تحطم الناس للدعآء ﴿ منى ﴾ موضع بمكة سمي

(الافتنان)

لولا التي غزلت الحاظها ولهي ماحاك شعري نسيباً فاخراً وغزل (١)

يا قرة العين ان كان العلي قضى فملت عني فاني اليوم صبح أزل (٢)

به لما يبنى فيه من الدماء ﴿ العاني ﴾ الاسير ﴿ لمتي ﴾ شعري المجاوز شحمة الاذن ﴿ منيتي ﴾ موتتي ﴿ منيتي ﴾ غايتي وطلبتي ﴿ مارج ﴾ نار بلا دخان ومنه في سورة الرحمن خلق الجانّ من مارج من نار ﴿ برنو ﴾ ينظر ﴿ ياعبرة ﴾ ياعظة ﴿ نعمان ﴾ دم ﴿ العبرة ﴾ الدمعة ﴿ اللمى ﴾ حلاوة الشفة وسمرتها المستحسنة ﴿ يشفي ﴾ يروي ﴿ غلتي ﴾ عطشي ﴿ طاويًا ﴾ جائعًا ﴿ جنتي ﴾ جنوني ﴿ جنتي ﴾ فردوسي ﴿ قبلة ﴾ لثمة ﴿ بالتي ﴾ اكتفاءً من قوله في القرآن ﴿ ولا تجادلوا اهل الكتاب الاّ بالتي هي احسن ﴾ ﴿ ربقتي ﴾ الربقة عروة من حبل توضع في رقبة الجدي ﴿ النطع ﴾ بساط من الادم وقد غلب على ما يفرشهُ الجلاّد تحت ركبتي المجرم ساعة قتلهِ (١) ﴿ غزلت ﴾ فعل ماض من الغزل ملحقـــةٌ بهِ تاءُ التأنيث و﴿ حاك ﴾ فعل ماض من الحوك والحياكة و﴿ النسيب ﴾ وصف النساء شعرًا ومثلهُ الغزل وهو ايضًا فعل ماض من الغزل وعلى هذا يكون البيت جامعًا من انواع البديع الجناس المشتقّ والمطلق ومراعاة النظير والتوريـــة والتوليد وهو الافتنان بعينهِ (٢) يحتمل ان يراد بقولهِ ﴿ قرة العين ﴾ سلمى البابيّة وستذكر او المعنى الظاهريّ وهو ما تقرّ بهِ العين اي تبرد سرورًا وينقطع دمعها فرحًا فتكون والحالة هذه صفةً و﴿ العليّ ﴾ من الاسماء الحسنى ويحتمل ان يراد بهِ السيد عليّ صاحب مذهب البابيين الآتي ذكرهُ و﴿ قضى ﴾ يأتي بمعنى حكم وهو المراد عندما يتناول لفظ العليّ اسم الجلالة ويأتي بمعنى مات وهو المقصود عندما يراد بالعليّ صاحب المذهب

(القسم)

وحقك ما شفى الحساد الاَّ بكايَ بجب ذا الثغر الضحوكِ

المذكور و ﴿ صبح ازل ﴾ هو خليفة السيد علي بحسب وصيته واخو بهاء الله ابي العباس الموجود الان منفيًا في عكاء فكأنه يقول لها بالمعنى الاوَّل اذا كان اعراضكِ عني ناشئًا عن حكم العليّ لاني غير تابع لمذهبكِ فها اني اصبحت اليوم كصبح ازل معتقدًا بهِ مغاليًا بالتشيع اليهِ ويخاطبها بالمعنى الثاني بما مؤداه اذا كان ميلكِ عني حزنًا على موت الامام وخشيةَ اندراس مذهبكِ بعدهُ فها قد نصبتُ اليوم خليفةً لهُ فلم يبقَ محلٌّ لهذا الاحجام والصدود * اما قرَّة العين المذكورة فهي فيما علمناهُ ابنة احد المجتهدين في بلاد فارس وكانت زوجًا لمجتهد آخر فلما فشا في بلاد العجم مذهب السيد علي الباب وذلك بين سنة ١٨٤٦ وسنة ١٨٥١ طلَّقت نفسها من زوجها خلافًا للشرع ومالأت السيد علي على بدعتهِ فصارا يتكاتبان واعتادا ان يفتتح خطابهُ لها بقولهِ (قرَّة العين) فذهب علَمًا لها بعد ان كان اسمها سلمى وكانت فتية ذات جمال بارع باهر * وادب رائع زاهر * ولها قدمٌ في العلم راسخة * ومنزلة في الفضل باذخة * ولقد طالما ناظرت العلماء وساجلتهم * وحاورت الفضلاء وجادلتهم * وهي سافرة عن وجه بزري بالقمرين * ويضحك على الفرقدين * فغادرتهم مفتونين بطلعتها * مخجلين ببلاغتها * مغلوبين بحجتها * ولما حميت وقود الحرب بين رجال شيعتها وعساكر الشاه في (مازندان) عبأت كتيبةً من ابطال البابيين وتولَّت قيادتها وفيما كانت في الطريق قامت فيهم خطيبةً فقالت ياقوم ان الشريعة الاولى قد نسخت واما الشريعة الجديدة فلم تبلغنا بعدُ فها نحن في زمن فترةٍ لا تكليف فيهِ فافعلوا ما طاب لكم لا جناح عليكم ولا تثريب فوقع الهرج بين القوم وارتفعت الضوضاء

فما أنا مدَّعٍ في الحبِّ بدعًا علامَ الجور ياستُ الملوكِ (١)

(البلاغة واللسن)

لم ألقَ مثل حبيبتي بكرًا اذا خاضت بموضوعٍ تدفَّق سيلا

وانبعث كلٌّ ينغمس في الشهوات ما شاء ويرتكب الكبائر كما يشاء حتى اصبحت بلاد فارس ميدان الملاذ ومبعث الاواصر بيد انهُ قُبض عليها بعد قليل وأُرغمت على ارسال النقاب ثمَّ حكم عليها بالاحراق حية ولكن الجلَّاد خنقها رحمةً لها قبل ان تأجج النار المعدَّة لتعذيبها * واما السيد علي فقد امسك ايضًا وقُتل واجليت اشياعهُ باتفاق مع الدولة العثمانية الى ادرنة ثم الى عكاء * واما صبح ازل فمات منفيًّا في قبرص ولا يزال من شيعتهِ فريق في عكاء وهم اعداء الدَّاء لاشياع اخيهِ البهاء (١) هي اخت الحاكم بأمر الله احد خلفاء الدولة الفاطمية بمصر تولى الخلافة سنة ٩٩٦ وكان في اوَّل مدتهِ فاضلاً عادلاً غيورًا عاقلاً ثم ساءت اطوارهُ وبغى فاخذ يكلِّف الناس ما لا يطيقون من مثل اللباس كل طائفة زيًّا خاصًّا بها وارغام اليهود على الدخول في الاسلام ثم ارغامهم على الارتداد وقتل الكلاب وحرق الكروم وتحريم اكل الملوخية والفرع وقتل النساء والاطفال في الحمام صبرًا ثم تمادى في الغيّ حتى امر بقتل العلماء والادباء وادَّعى انهُ اله فسام الرعية ان يخاطبوهُ بقولهم ﴿ بسم الحاكم الرحمن الرحيم ﴾ فكان اذا لقيهُ احدٌ سجد امامهُ ثم قال لهُ ياواحد ياواحد يامحيي يامميت ثم ادعى الكشف وعلم اسرار الغيب فصار يبعث بالعجائز والقهارمة الى بيوت الكبراء يستطلعن الاخبار ثم ينبئنهُ كل صبح حيثما يجتمع بهنَّ في سفح المقطَّم ﴿ جبلٌ في مصر ﴾ بما ينظرنهُ ويسمعنهُ فيلقيهِ نهارًا على الناس زاعمًا انهُ قد تلقنهُ من عالم الغيب ولما سئم منهُ الخلق واشتدَّت وطأتهُ عليهم شكوهُ الى اختهِ المذكورة وكانت من عقلاء زمانها

تلقي المعاني كالصباح مضيئةً لو شاهها الكنديُّ (١) شمَّر ذيلا

واجمل نساء عصرها فتواطأت مع الامير سيف الدين بن دوّاس ﴿ وكانت متهمة بحبهِ ﴾ على قتل اخيها وبعثت الى المقطم بعشرة عبيد كمنوا لهُ حتى اذا رأوهُ مقبلاً على عادتهِ هجموا عليهِ وقتلوهُ غيلة وذلك يوم الثلثاء الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ٤١١ الموافقة سنة ١٠٢١ مسيحية وكان عمرهُ ست وثلاثين سنة وسبعة اشهر ثم احتالت على ابن دوّاس فقتلتهُ واستبدَّت بالخلافة ٤ سنين نائبة عن ابن اخيها ﴿ الظاهر ﴾ وهي اوّل امرأة حكمت في الاسلام ومن العجيب انهُ ما برح حتى زماننا هذا قوم يؤمنون بالوهيَّة الحاكم بأمر ويعتقدون بانهُ حيٌّ ويحلفون بغيبوبتهِ زعماً منهم انهُ سيظهر ثانيةً ويحكم العالم اجمع

(١) من قولهم شام البرق اذا نظر اليهِ . والكنديُّ هو امرؤ القيس بن حجر المعروف بالملك الضليل والملقب بذي القروح قال عنهُ النبيُّ انهُ اشعر الشعراء وقائدهم الى النار وذلك لقولهِ

جاءت الساعة وانشقَّ القمرْ لغزال صاد قلبي ونفرْ

فان الشطر الاوّل من كلام القرآن فقد ورد في اوّل سورة القمر ﴿ اقتربت الساعة وانشقَّ القمر وان يروا آية يعرضوا او يقولوا سحرٌ مستمرٌّ ﴾ فاستحقَّ الهلاك لنطقهِ بهِ قبل نزولهِ وهو اوّل من ذكر في شعره الرسوم والاطلال وشبَّه النساء بالظباء والها بل اوّل من وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر واستذكر واجاد الاستعارات والتشبيهات واتى بترتيب النسيب في القصائد المطوّلات وخاطب الطير السانح والنوق اليعملات وجاء برقائق المعاني ملتفتاً ومفتناً وحسبك معلقتهُ المشهورة ومطلعها

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

ومنها في وصف الجواد وهو معنىً غريب

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معًا كجلمود صخرٍ حطهُ السيل من علِ

اوكان اسحق الاديب (١) جليسها وهو البليغ دعنهُ يصرخ وَيلا

وهي من غرَر قصائد الجاهلية وما برح العرب يسجدون لها حتى ظهر الاسلام وكان يشبّب بأمرأة ابيهِ امّ الحويرث فقلاهُ واقصاهُ ثم نما لأبنو اسد على ابيهِ وكان ملكًا عليهم فقتلوهُ لشدة عسفهِ فقام امرء القيس يطلب ثارهُ ولما عجز عنهُ قصد قيصر ملك الروم مستنصرًا فرأى هنالك ابنة قيصر وكانت جميلة فعلقها وعلقتهُ فتواصلا بدليل قولهِ

فقلت يمين الله ابرح قاعدًا ولوقطعوا رأسي لديكِ واوصالي

فوشي بهِ الى قيصر من الطماح الاسديّ وكان قد تبعهُ ليحبط اعمالهُ فالبسهُ حلة مسمومة وصرفهُ فلما بلغ جبل عسيب قرب (انقره) سرى السمُّ في بدنهِ فعرّس بجانب قبر هناك لابنة بعض الملوك وقال

اجارتنا ان الخطوب تنوبُ وانّي مقيمٌ ما اقام عسيبُ
فان تصلمني تسعدي بمودّتي وان تقطعيني فالغريب غريبُ
اجارتنا انّا غريبان ههنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

ثم مات وهو يقول ﴿ ربَّ طعنة مثعنجرة وخطبة مسحنفرة وجفنة مدعثرة وقصيدة محبّرة تبقى غدًا بانقره ﴾

(١) هو اديب بن عبد الله اسحق كان رصيف المؤلّف وصديقهُ * واليف صباه ورفيقهُ * نبغ ولوعًا بالادب * كلفًا بالدرس والطلب * جامعًا بين مزية اللسَن وسليقة الانشاء * مضيفًا الى حسن البداهة توقُّد الذكاء * اذا خطَبَ يتساقط الدرُّ من كلمهِ * واذا كتبَ ينظم الدراريَّ باسلاك قلمهِ * ولد في دمشق في ٢١ كانون الثاني سنة ١٨٥٦ وربّي في مكاتبها فأخذ عنها التركية والفرنسوية * وبعض الفنون العربية * ثم تحوّل مع ابيهِ الى بيروت فتقلّب فيها رداحًا على حالتي عسرٍ ويسر * يكرع تارةً الخلَّ وآونةً الخمر * وقد تراءس في خلال ذلك على مجمع زهرة الآداب

لطفٌ وآدابٌ وحسن بلاغةٍ وقريحةٌ كالنيل يمنح نيلا

ونظم لصاحب انيس الجليس شيئًا من رقيق الاشعار * واستخدم معينا للسليمين (خوري وشحاذة) بتأليف كتابهما آثار الادهار * ثم ادّت به المتربة الى الارتحال * فقصد مصرًا وهنالك لزم الافغانيّ المعروف بالجمال * فتخرّج عليه وتأدّب * وتدرّب في العلم وتهذّب * حتى اتقن فنّ الانشاء علمًا ومزاولةً ونشم في علم السياسات ترسّلاً ومخاطبةً * ثم انخرط في عداد الاخباريين فنال شهرةً بما بدا من نزعته الى الحرّية المطلقة * وميله الى الحكومة الشوروية الموثقة * فقامت له احزابٌ وانصار يعزّزون كلمته * ويشدّدون وطأته * بما احفظ عليه قلوب بعض الوزراء * والمال عنه انظار فريق من الامراء * نخصُّ منهم بالذكر رياض باشا الشهير بالفضل والجدير بالشكر * فانه جاهر بمناواته * وجاوز الطور بتعظيمه طغائف مساوئه وزلاّته * حتى قال في صحيفته التجارة * على اثر عزله من الوزارة

تولاّها وليس له عدوٌ وخلاّها وليس له صديقُ

وهو خطأ سبق اليه على غير روية * من اصحاب المبادئ الشوروية * فشدّدوا عليه النكير * واذاقوه من مرارة التحامل عذاب السعير * فأُلجئ بهما لأة راغب باشا الى قصد باريس * عاصمة الفرنسيس * فحلّها كاسرًا على رياض ارعاظ النبل * فرمى عن قوس صحيفةٍ نشرها هناك كلّ جارحةٍ من اعدائه بألف نصل * ولكنه لم يقوَ على المكث زمنًا حتى ابتلاه البرد القارس بذات الرئة فاسرع الكرّة الى بيروت عليلاً * وتولى فيها تحرير صحيفة التقدّم فتجرّت براعته في تدحيها عينًا تسمى سلسبيلاً * فاضت على الافئدة فشفت منها غليلاً * وقد اودع صفحاتها كلامًا عن الحقوق والواجبات يكاد يكون السحر لولا انه حلال * وشذرات في الاخلاق والعادات تحسبها الخمر لولا انها زُلال * ثم دارت

وملاحةٌ لو قابلت شمسَ الضحى يوماً بدت شمساً وتلك سهيلا

على مصر الادوار * واستبدلت اولئك النظّار * فاستقدمهُ ﴿ شريف باشا ﴾ كبير الوزراء اليهِ * وادرّ شآبيب نعمائهِ وافاويق آلائهِ عليهِ * فبوّأهُ من دار الندوة المصرية مكاناً علياً * واستلفت اليهِ انظار العزيز ﴿ توفيق ﴾ فمنحهُ رتبةً جليلةً ولقباً سرياً * وما برح هنالك يكرع كوب الصفاء دهاقاً * وكواكب سعوده تزداد تلألاء واشراقاً * حتى عصفت رياح الثورة العرابية * فأُجلي لاسباب يطول شرحها عن الديار المصرية * وأُلجئ الى معاودة بيروت فنزل بها نزول وَدْق الغادية * بالارض الصادية * واستأنف في صحيفة التقدّم التحرير * بقلم يريك الجوهر الفرد مرقوماً على حبَر الحرير * وطبع ثمّت ترجمتهُ الغرّاء * لنباء الباريزية الحسناء * ولكن العلة كانت قد الفت من جسمهِ اللطيف منجعاً طيباً فخيّمت * واجرث سمومها في دورة دمهِ حتى استحكمت * وما زالت جراثيمها تنتشر نامية في اعضائهِ * وهو بين املٍ من قرب شفائهِ * ووجلٍ من استعضال دائهِ * حتى اهتصرتهُ المنون من روض صبائهِ غصناً نضيراً * واستهواهُ التُرب من فَلَك غلوائهِ بدراً منيراً (قال المؤلف)

خير الورى رجلٌ آثارهُ رسخت في الارض تحبو الورى من بعدهِ غُرَرا
لا تأسفنّ على ميتٍ لهُ اثرٌ ما مات والله من ابقى لهُ اثرا

وكانت وفاتهُ في ١٢ حزيران سنة (١٨٨٤) رحمهُ الله رحمةً واسعة * وبوّأهُ جنّات عيونها نابعة * وافنانها يانعة * ولهُ شعرٌ قليل لفظهُ درر * وحشوهُ غرر * منهُ قولهُ في وصف محور العالم * وفاتنة ابينا آدم

حسبَ المرأة قومٌ آفة من يدانيها من الناس هلَكْ
ورآها غيرهم انسية فاز بالنعمة فيها من ملَكْ
فتمنّى معشرٌ لو نُبذت وظلام الليل مشتدُّ الحلَكْ

ودماثةٌ راقت ولين عريكة وعفاف نفس كالرباب وليلى

وتمنى غيرهم لو جعلت في جبين الليث او قلب الفلكْ
وصواب القول لا يجهلهُ حاكمٌ في مسلك الحق سلكْ
انما المرأة مرآةٌ بها كلما تنظرهُ منكَ ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملكْ

اما اسحق بن ابراهيم الموصلي المعروف بالنديم (مرَّ ذكرهُ بالقصيدة الموسومة بالهوى العذريّ واغفلنا ايراد شيء عنهُ) فهو اديب العصر الرشيديّ المشهور ومغنّيهِ المذكور. كان شاعرًا ظريفًا. ونديمًا لطيفًا. غزير المادَّة طليّ الكلام قديرًا على اجتذاب القلوب حاذقًا باصطياد الدينار اذا غنّى صوتًا سحرَ وحيَّر. وان انشد بيتًا اسرَ واسكَر. هام يومًا بخرعوب حسناءَ فقال

هل الى ان تنام عيني سبيلُ ان عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عني من لا أسمي فعيني كلَّ يومٍ وجدًا عليهِ تسيلُ

ثمَّ تملكها فشغف بها حبًّا. واصبح شجيًّا. معنًى صبًّا. وما فتئ كلفًا بهواها. حريصًا على الاستضواءِ بمشكاة محيَّاها. حتى اعتلَّت عيناهُ. ووهن عظمهُ وقواه. فكان يكرّر البيتين المذكورين غناءً وتطريبًا. ثمَّ يبكي بمرارة بكاءً غريبًا. ذاكرًا زمنَ كان برد العيش قشيبًا. وغصن الشباب رطيبًا. وما زال ذلك دأبهُ حتى مات سنة ٢٢٥ للهجرة

رحمة الزلفى والدنان عليهِ وصلوة المزمار والعيدان

اما اسحق (نيوتون) فهو اشهر فيلسوف قام في الزمن الاخير ولد في (ولسثرب) من انكلترا في ٢٥ كانون الاوَّل سنة ١٦٤٢ ورُبي في حجر امهِ ورابّهِ وحيدًا يتيمًا ولما راهق لازم المدارس المرشحة فبدا منهُ عجزٌ وتوانٍ يعنّا الطلبة على تعييرهِ بكلام اثار فيهِ حميةً اتتهُ بردّ الفعل فسما على اقرانهِ ثمَّ مال الى الآليات

وجمال خطٍّ كالنجوم تنسّقت عقدًا بجيد الطرس يشرق ليلا

فزاولها حتى تهيأ له عمل مزولة لمدينتو ثم اصطنع مطحنًا هوائيًا له تمثال فارة يدير محورهُ ثم ولج سنة ١٦٦١ مدرسة (كمبريج) فانسع نطاق معارفهِ وبرع في الهندسة بمؤلفات (اقليدس) وفي سنة ١٦٦٤ ابتدع اوجز طريق لترقية الكميّات الثنائية في الجبر وبحث عن التربيع الفلكيّ وطفاوات القمر وهالاتهِ فمنح عام ١٦٦٥ لقب (بكوريوس) وفي خلال ذلك وضعَ علم السوائل ثم اصطنع منظارًا (تلسكوب) عاكسًا ثم قال ان الجاذبية هي القوة التي تُركز الاجرام السابحة في افلاكها وان النور يؤلف كقوس قزح من سبعة الوان وفي سنة ١٦٦٨ سمي استاذ فنون وفي خلالها اصلح تلسكوبهُ واتقنهُ وكان يعظّم المنظورات اربعين ضعفًا ثم عكف على الكيمياء فاتقنها ممارسةً ثم ثار جدال بينهُ وبين معاصريهِ من العلماء وفي طليعتهم (هوك) على طبيعة النور الذي كان يعتقد تألفهُ من ذرّاتٍ ماديّة خلافًا لمناظريهِ الذين ذهبوا الى كونهِ ينشأ عن تموّج وسيطٍ مرنٍ يتخلّل جميع الاجسام ولكنهُ ندم اخيرًا على قتل اوقاتهِ بهذه المماحكات وفي اوائل سنة ١٦٧٢ انتخب عضوًا للمجمع الملكيّ وكان الحبيّ في صباهُ للتفكّر بالجاذبيّة العامة بسبب سقوط تفّاحة امامهُ من شجرة سقوطًا منحرفًا فاشكل عليهِ الامر فتركهُ حينًا من الدهر ثم عاود التأمل فيهِ من سنة ١٦٦٩ الى سنة ١٦٨٠ فادرك اخيرًا ان الارض كرةٌ مسطحة القطبين وحدّد مقادير التسطيح وعلّل عليهِ بدورانها على المحوَر الوهميّ وتجاذُب دقائق حجمها الصوريّ واوضح مبادرة الاعتدالين بمجرّد ملاحظتهِ ساعة ضاربة في باريس تقصر يوميًا دقيقتين و ٢٨ ثانية عن اخرى مثلها في الدرجة الخامسة من خطّ الاستواء وتكلّم تمّت عن المدّ والجزر بالاستناد الى ما قالهُ متقدّموهُ من جذب القمر لمياه الارض وذهب الى امكان تحديد حجم السيّارات بملاحظة مؤثرات تجاذبها وحكى عن تقدّم نقطة الرأس وانتقال

فكأنّ فردينانـد (١) هذّب خلقها وسخت لها بالفضل ايزابيلا

العقدتين كلاماً اتمّ نقصهُ رياضيو القرن التالي وفي سنة ١٦٨٥ عرض اكتشافهُ ناموس الجاذبية العامة فنازعهُ فيهِ (هوك) وقاضاهُ وفي سنة ١٦٨٦ نشر كتابهُ الموسوم بالمبادي وهو منطوعلى جلّ فلسفتهِ وفي سنة ١٦٨٩ انتخب عضوًا للمجلس العالي وفي سنة ١٦٩٢ احترق لهُ بعض وريقات كانت عندهُ ذات قيمة وشأن فاختلّ رشدهُ ولكنهُ شفي بعد قليل وفي سنة ١٧٠٤ طبع مؤلفهُ الشهير بالبصريات وفي العام التالي نازعهُ (لبنتس) على اكتشاف السرد غير المتناهي ودام نزاعهما حتى موت (لبنتس) سنة ١٧١٦ ثم قام الخلاف بينهُ وبين (فلمستيد) ولم يحسم الاّ بوفاتهِ سنة ١٧١٩ وفي عام ١٧٠٧ نشر كتابهُ (فنّ الحساب العام) ورسائلهُ الاربعة الدائرة على اثبات وجود الله حكيم وقد تقلّب منذ سنة ١٦٩٥ حتى سنة ١٧١٣ في مناصب خطيرة ذات رواتب جليلة واكرمتهُ الملكة حنة بلقب (كافلير) وما زال يبذل سنيهِ بالتأليف والجدال وهو يتدرّج في معارج المجد والجلال حتى اخترمهُ الموت في ٣٠ آذار سنة ١٧٢٧ فماج الانكليز لموتهِ واحتفل نبلاؤهم بمأتمهِ ومشهدهِ وحمل نعشهُ ستة من الامراء الى مدفن الاشراف حيثما واروهُ في ضريح رخاميّ قيمتهُ ٥٠٠ دينار ومن المقرّر الثابت انهُ كان آريوسيّ المذهب ويضادّ القول بالتثليث مضادّةً صريحة ولهُ رسائل دينية هي كسائر مؤلفاتهِ بمعزل عن العذوبة والطلاوة شأن الفيلسوف السامي النصوّر وقد اختار العزوبة مخافة ان تصرفهُ العلائق الزوجية عن العلم ومع انّ عيشهُ كان عريضًا جامعًا بين مظاهر الابهة والسرف خلّف ٤٢ الف دينار فالظاهر ان قول شاعرنا

ما فيهِ حوٌ ولا لوٌ فتنقصهُ وانما ادركتهُ حرفة الادب

لا محلّ لهُ من الإعراب الاّ في بلاد الأعراب اصلح الله اعمالنا وانجح آمالنا وافلح ما كنا واصارنا ممن يهتدون فيقتدون انهُ سميع وهّاب

(١) هو ملك

﴿دقّ الناقوس﴾

او

(المرقّص)

ياسيف نواظرها المشهرْ ورسول محاسنها الاكبرْ

اسبانيا وزوج (ايزابيلا) الآتي ذكرها كان من عقلاء الملوك وافاضلهم ولمدّة ملكهِ في تاريخ الاسبان شهرة مجيدة تولى (عرش اراغون) سنة ١٤٧٩م وتوفي سنة ١٥١٦ اما ايزابيلا فهي ابنة يوحنا الثاني ملك (قسطيلة) و(لاون) وحليلة (فرديناند) ملك اراغون المقدّم ذكره ولدت سنة ١٤٥١ وتوفيت سنة ١٥٠٤ كانت جامعة بين محاسن ابدع النساء وعقل احذق الرجال . ومزدانة بمزايا عديمة المثال . تقية ورعة . عفيفة طاهرة . اديبة كاملة . غيورة عادلة . جسورة شفوقة مستقيمة لطيفة . لينة العريكة . سهلة الاخلاق . محبّبة لجميع الناس وكانت صافية اللون . ناصعة البشرة . بهية الطلعة . رشيقة القوام . ذات شعر مسترسل كسلاسل تقيّد بها القلوب وعينين زرقاوين هما مظهر الجمال والجلال . ومرآة العقل والكمال رام شقيقها (هنري) ان يكرهها على الزواج بالدون (بدروجيرون) الفاسق فقالت له ان ارغمتني على الاقتران بهِ طعنت صدره بمخنجري هذا ودرأت الريبة عن نفسي وكان قد خطبها كثير من ملوك اوروبا فأبت الاّ (فرديناند) المذكور فانها عقدت قرانها عليهِ بعد شقّ الانفس رغمًا عن مناصبة اخيها وعناده وبقرانها هذا توحدت مملكة الاسبان بعد اذ كانت مشطورة فازهرت العلوم في ارجائها وتقدمت الصنائع ونمت الزراعة وراجت سوق التجارة وتوفّرت اسباب العمارة وضرب الامن اطنابهُ في اطراف البلاد حتى صارت اسبانيا في عصرها مهند المدنية ومعدن الثروة وقطب دائرة العلوم ولما انتشبت الحرب مع المغاربة افرغت على جسمها البلوريّ درعًا من الزرد

اشرفتَ على ثغرٍ يتلو انّا اعطيناك الكوثرَ (١)

وامتطت جواداً مطهماً وخاضت في طليعة الجيش قسطل القتال محترقة صفوف الابطال ومن زندها ولحظها للاعداء مرهفانِ باترانِ يوردانهم حياض المنايا فيحسبونها شراباً طهوراً وبالجملة فان لها من مدهشات الاعمال وجلائل الآثار ما تترنح له اعطاف الاسبانيين حتى اليوم وحسبك ان اكتشاف بلاد اميركا كان مأثرة من مآثرها وصنيعة من صنائعها فانها هي التي قامت بناصر (كريستيفوروس كولومبوس) واخذت بيدهِ بعد ان عرض رأيهُ على كثيرين من ملوك الارض فخذلوهُ ولما لم يمالها زوجها على امداده من بيت المال باعت جواهرها وحليّها بابخس قيمة وامدّته باسطول يقوى معهُ على ذلك الاكتشاف المعجز ولما استتبَّ له الاكتشاف والفتح قاومت بجدٍّ استرقاق الهنود سكّان البلاد ولقد سنّت بحذقها وخبرتها قانوناً عادلاً لم يغادر من موجبات اسعاد الامة كبيرة ولا صغيرة الاّ احصاها واصلحت حال الرهابين ووضعت لهم شرائع ثابتة مبنية على اسّ راسخ ولم يكُ المال والجاه ليشفعان عندها بذي وصمةٍ بل كان سيف العدل مشهراً في زمانها على رقاب الائمة سوقةً وامراءً اغنياءً وفقراءً بلامازّة ولا تفضيل وكانت مفتونة بحبّ زوجها كثيرة الكلف بهِ ومع انهُ كثيراً ما كان يتجنى عليها لم تخمد محبتها لهُ وقتاً من الاوقات ولم تفتر عن بذل كل سعي وجدّ مقرونًا بالصدق والاخلاص في سبيل اسعاده حتى كأنها خُلقت لتكون دعامة راحتهِ وركن سعادتهِ فسبحان من جعلها في الفضائل قدوة . وفي الجمال آية . انهُ لوهّاب بغير حساب (١) قد اتى هذا الشطر على الآية الاولى من سورة الكوثر وباقيها (فصلِّ لربّك وانحر ان شانئك هو الابتر) وهي برمّتها مقتبسة في الابيات الواردة في المتن كما ترى . قيل ان العلاّمة بطرس كرامة الشاعر الحمصيّ المشهور كان في

قم صلِّ لربّكَ وانحرْ من بجودك عاند واستكبرْ

بدأة امره ضعيفًا خاملاً فكلف بحب غادة حسناء فنظم فيها وصفها قصيدة خبيبة منها قوله

كتب الرحمن على فمها أنّا اعطيناك الكوثرْ

وكان الجهل اوائذ سائدًا بين القوم فكبر ذلك على رعاع حمص وشغبوا عليهِ طالبين قتله ففرّ رهبة منهم واتى لبنان وهنالك اتصل بحاكمهِ الامير بشير الكبير وكان ممن جمعوا مزيتي اللسن والانشاء. واوتوا نصيبًا من الحصافة والذكاء. فحظي لديهِ واتخذهُ كاتبًا لاعمالهِ. واميناً على المهمّ من اشغالهِ. فظهرت مذ ذلك اليوم آثارهُ. وعلا في باحة الشعر منارهُ. فتهيأت لهُ اسباب السعادة والهناء. من حيث يتوقّع الويل واللاوآء. وقد شطّر هذا البيت سليلهُ ابراهيم بك فقال

كتب الرحمن على فمها في جامع وجنتها الازهرْ
سطرًا قد جاء ملخّصهُ أنّا اعطيناك الكوثرْ

وقد اتى المؤلّف في المتن بالعجز الاوّل من التشطير تلميحًا الى هذه النادرة وتنويهًا بها. ومن لطيف شعر المعلّم بطرس قولهُ في فتاة حسناء عليها حلة حمراء

وردية الخدّ بالورديّ مذ خطرَتْ تميس تيهًا وتثني القدّ اعجابا
لم يكفِ قامتها الهيفاء ما فعلت حتى اكتست من دم العشّاق اثوابا

ولهُ الخالية المشهورة واوّلها

امن خدّها الورديّ افتنك الخالُ فسح من الاجفان مدمعك الخالُ (السحاب)
واومض برقٌ من محيّا جمالها لعينيك ام من ثغرها اومض الخالُ (البرق)

وهي ذات معانٍ حسان. يحسدهُ عليها حسّان. فعارضها عبد الباقي العمريّ الفاروقي بقصيدة مطلعها

جاهدْ في دين الحسن بلا ملل شانيك هو الابترْ

الى الروم اصبو كلما اومض الخالُ فاسكب دمعًا دون تسكابه الخالُ (السحاب)

وخصها بقوله

وذي معجزاتي ما ارى ابن كرامة يعارضها حتى يعارضهُ الخالُ (الكفن)

وبعث الشيخ صالح التميمي البغداديّ الى الوزير داود باشا (وكان قد طلب اليه معارضتها) بقصيدة مطلعها

عهدناك تعفو عن مسيء تعذّرا ألا فاعفنا عن ردّ شعر تنصّرا

وهل من مسيحيّ فصيح نعدّهُ اذا اينع الشعر البديع واثمرا

(ومنها)

وهل يطرب الناقوس من كفّ ضارب كما يطرب الخلخال في ساق اعفرا

فكبر ذلك على ابن كرامة فاجاب الاوّل بقوله

ما بالها تبدي عليّ دلالها ولقد جمعتُ بخالها خلخالها

(يريد بذلك خالية العمري) ومنه خطابًا لعبد الباقي

ان تدّعي بكرامة فانا ابنها او فضل معجزة فخلّ مقالها

يريد بذلك التلميح الى ما ورد من قوله (لا نبيّ بعدي) وردّ على الآخر بقصيدة اوّلها

لكلّ امرء شأنٌ تبارك من برى وخصّ بما قد شاء كلاًّ من الورى

ولو شاء كان الناس امة واحد ولم تلقَ يومًا بينهم قطّ منكرا

(ومنها)

اذا انحطّ قدْر الدرّ من اجل بائع فذلك جهل باللآلي بلا امترا

كما عاب شعري قائلٌ في قريضهِ ألا فاعفنا عن ردّ شعر تنصّرا

عجبتُ لهُ مع انهُ نعْم فاضل فكيف تغاضى عن اخي الفضل وازدرى

نعم انني من امة عيسوية واهل كتاب لن يشان ويحقرا

قد جاء النصر له فتح فاصدع ياصاح بما تؤمر (١)

واقرب من كل الانام مودة اليه كما قد جاءه الذكر مخبرا
ولست انا الثاني ولكن انا الذى عن الذمة البيضاء لن يتغيرا
ولو انه يتلو وسل لا تجادلوا لكان اتى بالحق حكما وما انبرى
لعمرك ما داعي الفصاحة ملة ولا نسب حتى ألام وأهجرا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشا ولن ينتهي فضل الاله وبحصرا
فقس مسيحي والسموأل موسوي وغيرهما ممن تقدم اعصرا
كذاك ابن سهل والاخيطل والذي ببغداد اهدته المنية للثرى
كذا الصبأي المشهور من شاع ذكره ومن فضله املى ابن خاقان دفترا

(ومنها)

ولم يسلب الحسناء قول ضرائر صباح جمال عنه يحمد السرى
تناديه ذات الخال وهي ابية ألا اطرق كرى ان النعامة في القرى

(ومنها)

فذا العجب الحاوي العجاب لانني فطرت مسيحيا وفضلي قد سرى
ففي حلب والشام رنت قصائدي وشعري في روض الكنانة ازهرا
فاطرب ذا علم ورنح ضيغما وهز اخا عشق وارقص جؤذرا

وهي على طولها دامغة الحجة قوية البرهان . حسنة الاسلوب بديعة البيان . توفي رحمة الله سنة ١٨٥١ ورثاه اليازجي اللغوي الشهير بقوله

مضى من كان ازكى من اياس بحكمته واشعر من زهير
فقل يا ابن الكرامة قر عينا لبطرس ارخوه ختام خير

وله ديوان شعر كله حسنات . وجله سبق غايات . ولكنه ما برح محجوبا في خزانة ابنه عن العيان . لحكمة لا يدركها انسان (١) اقتباس من قوله في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين)

وبلالٌ (١) جاور معتكفًا في جامع خدَّيها الازهرْ
يتلو قد جاءكمُ ياقو مُ الحقَّ اطيعوا من بشرْ
كفرت فئةٌ عذلت كلفًا في مذبح هيكلها كفرْ
سرُّ الاملاك سنى الافـلاك مثال عطاردها الانورْ
جلستْ في الروشن تحسبها روشنك (٢) بعرش الاسكندر (٣)

(١) هو ابن رباح الحبشي مؤذن الرسول . كان فيمن عذَّبهم الجاهلية لاسلامهم فاشتراهُ الصدّيق واعتقهُ فآخى النبيُّ بينهُ وبين ابي عُبيدة واتخذهُ اوّل مؤذّن للاسلام شهد الغزوات الاولى في بدر واحُد والخندق وجاهد في الشام وبعد فتح دمشق توفي بها عام ٢١ للهجرة وكثيرًا ما يسمي الشعراء الخال بلالاً لاشتراكهما في السواد والتعذيب قال العمريُّ

لقد شمتُ خالاً فوق عرنين اغيدٍ وقد حفَّ بالنور الانيق وبالنُورِ
فخلتُ بلالاً طاب مثواهُ جانيًا بجنّات عدنٍ فوق ربوة كافورِ

(٢) هي ابنة دارا ملك الفُرس من زوجتهِ ستاتيرا التي اشتهرت بكونها اجمل نساء عصرها في آسيا اسرها اسكندر المكدونيّ الملقَّب بذي القرنين بعد ان حارب اباها وقهرهُ وذلك عام ٣٣٣ قبل المسيح ثم تزوَّجها في (بلخ) سنة ٣٢٧ وكانت ذات جمال فتّان فلبثت عندهُ الى ان مات سنة ٣٢٣ فوقفت عند رأسهِ وقالت ما كنت احسب ان غالب دارا يُغلب وبعد وفاتهِ ولدت منهُ ولدًا دعتهُ (اسكندر ايغوس) فرشح للاستيلاء على مملكة ابيهِ ولكن قبل ان يبلغ اشدَّهُ قتلها واياه (كاسندر) وكان عمرها ٣٧ عامًا وعمر ولدها ١٢ عامًا (٣) هو اسكندر الكبير ابن فيليب المكدونيّ المعروف بذي القرنين لامتلاكهِ قرني الشمس اي مشرقيها او لضفيرتين كانتا في رأسهِ ولد سنة ٣٥٦

(الندآء)

روحي فدا ألبكر التي بحديثها الراح القديم نفتْ عن القلب العنا
نادت ازاهرُ خدّها في روضهِ اليوم يااهل الهوى طاب الجنى

قبل المسيح في (بلاّ) وعهد امر تربيتهِ الى (ليسياخوس) اليوناني فكان اوّل شيء علّمهُ اياهُ (ايلياذة اوميروس) شاعر اليونان ثم قرأ على (ارسطو) زمنًا وولع بهِ فلزمهُ وكان يدعوهُ تعظيمًا لشأنهِ بابي واستاذي والى ذلك يشير المؤلّف في قصيدتهِ المسمّاة (حقيقة العلم) الواردة في كتابهِ (الجوهر الفرد) اذ يقول لولاهُ ما باس ذو القرنين من ملك الـــدنيا اكفّ ارسطو البائس الزمنِ (اي لولا العلم) وقال ايضًا

لا تزعمنْ ان المراتب خصّصت بذوي القرائح والفؤاد النيّرِ
او كان قدْر العلم يعطى منصبٌ لغدا ارسطو سيّد الاسكندرِ

ولما شبّ شارك اباهُ في سياستهِ ومغازيهِ وكان شرسًا غضوبًا. وصلبًا عنيدًا وجسورًا باسلاً فابدى في معركة (خيرونيا) التي انتشبت سنة ٣٣٨ شجاعة محت استقلال اليونان ووطّأت لابيهِ عرش السيادة على بلادهم ولما قُتل فيليب عام ٣٣٦ خلفهُ على العرش فاثّر في رجال ابيهِ اشأم اثر وقتل اخاهُ ورهطًا من متغشمري البلاط حتى لم يبقِ ولم يذر ثم سار بجيشهِ الى بلاد اليونان فأتمّ اكتساحها وعندها سمّاهُ المؤتمر القرنثي قائدًا عامًا وزعيمًا متصرفًا فبدأ بحروبهِ الهائلة فقاتل الثراقيين فالمكدونين ثمّ اجتاز نهر الطونة سابحًا فبلغهُ ان اهل (طيوة) شغبوا وعصوا فعاد اليها وهاجمها فافتتحها عنوةً ولم يسلم من حد حسامهِ فيها الاّ (يتذاروس) الشاعر واسرتهُ ثمّ شنّ الغارة على بلاد فارس وهاجم جيوشها عند مخاضة (غرانيكوس) فاستلحمها وهنالك كاد يُقتل لولا قائدهُ (كليتوس) الذي قتلهُ فيما سيذكر. ثمّ حارب (دارا) قرب (ايسس)

(النحول)

اذا كنت يا مولاي بالذل راضيا فزدني بحق الحب ذلاً على ذلي

لقد صرت بعد البعد والله عالم بصدق الذي ابديه اوهى من الظل

وذلك سنة ٤٢٢ وكان جيشه زهاء السبعمائة الف فهزمه واسر اهله وفي جملتهم (ستاتيرا) حليلته التي كانت آية الجمال في آسيا ثم زحف على سورية فنينيقية فعنت له منقادة الا (صور) فانها قاومته سبعة اشهر حتى لم يبق في قوسها منزع فافتتحها عنوة واذهبها فريسة كبريائه وعجبه ومذ ذلك اليوم لم يقم لها قائمة ثم اغار على فلسطين فانزلته مدنها على الرحب والسعة الا (غزة) فانها اقتدت بصور فكال لها بالصاع الذي اكتالت به تلك وزاد عليه ان ثقب اطراف قائدها (باطيس) الخصي وشده الى مركبة ساقها بنفسه في الاسواق فمزق لحمه كل ممزق وذلك سنة ٤٣٢ ثم قصد مصر فعنت له جانحة الى السلم فبادأ اهلها بالمعروف ونهى عسكره فيها عن المنكر ثم سار سنة ٤٣١ الى صحراء (لبيبا) زائراً هيكل المشتري (امون) فلقبه الكاهن بابن المشتري فراقه ذلك وساء في اعين جنوده ولدى عوده اختار قرية (رقودة) مركزاً لبناء مدينة (الاسكندرية) فابتناها هنالك على البرزخ الفاصل بين بحيرة (مربوط) والبحر المنحه الى غربي النيل بعد ان رسم صورتها بيده وخططها بالدقيق ولما شيدت وفق مبتغاه حباها حرية التجارة والدين وخصها بامتيازات جمة فتقاطر اليها الناس من كل فج عميق حتى اصبحت عروس بحر الروم ومنارة موانئ المشرق ثم غادر مصراً وغلغل في آسيا منقباً عن (دارا) الذي كان احتجب خيفة منه وهلعاً فاجتاز الرافدين (دجلة والفرات) وما زال سائراً حتى التقى بالجيش الفارسي في صحراء (غوغاميلا) في (آشور) وكان الجيش زهاء المليون وفيه من الفيلة والمركبات الضخمة ما لا تقوى معه اربعمائة الف مكدونية على

(الورد والنمام)

ياحسن خالٍ بخدٍّ رحتُ أثمُهُ والبيت خالٍ واهل الحي نوَّامُ
اتاني الثغرُ مخمورًا يعاتبني فصحَّ عنديَ ان الورد نمَّامُ

على الثبات فقامت الحرب على قدم وساق وما برح الاسكندر يحسن التدبير وينصب لعدوّه حبائل المكايد حتى اسفرت المعركة الاخيرة (وكانت في تشرين الاوّل سنة ٣٣١) عن هلاك ثلثمائة الف اعجمي والف ومائتين من جيشهِ فقط فاستتبَّ لهُ النصر واستسلمت لهُ عاصمتا فارس (بابل) و (شوشن) وفرَّ (دارا) لا يلوي على شيء ثمَّ توغَّل الاسكندر في ايران وقاتل غزاتها ومرازبتها وبربر جبالها واوديتها وفتح (برسبوليس) و (بسا) واستباح اموالها بعد ان ذبح في الاولى رجالها واستحيى للاستعباد نساءها ثمَّ تتبَّع دارا الى مادي فهرقانيا فبرثيا فرآهُ مقتولاً في (دامغان) وذلك سنة ٣٣٠ فاسف عليهِ وامر بدفن شلوهِ باحتفال ملكيّ ثمَّ سار الى (آريا) فهرات فدرنجيانا فسجستان وهناك قتل (فيلوثاس) كبير قادتهِ واباهُ (برمينيو) لانهما غاويا بعض الجند على قتلهِ ومذ ذلك الحين زاد خلقهُ شراسة وصار يظمأ الى الدم ظمأ الابائل في الهجير الى ورود الماء النمير وما زال في غزوتهِ مكتسحًا ومدمّرًا حتى افتتح (اراخوسيا) و (افغانستان) التي بنى فيها مدنًا ورسانيق واسكنها لفيفًا مقرونًا من المكدونيين واليونان ثمَّ طاف بقرطابة سنة ٣٢٩ واجتاز (لاكسوس) وسار الى سمرقند وهناك قتل بيدهِ صديقهُ ومنقذهُ من مخلب الموت القائد (كليتوس) لداعية توبيخهِ اياهُ على خيلائهِ ولما صحا ندم وبات طاويًا ثلاث ليال جزعًا عليهِ ثمَّ بنى على ضفة نهر (سرداريا) مدينة دعاها الاسكندرية ولما اتى (بلخ) سنة ٣٢٧ تزوَّج باسيرتهِ (روكسنا) او (روشنك) كما علمت في ترجمتها وكانت ولائم عرسهِ مقرونة بابهة شرقية ومواسم بهيجة دعا في خلالها الناس الى السجود لهُ

(الحقيقة والمجاز)

ياحسنها ظبيةً كافور وجنتها قد حلَّهُ مسك خالَيها بتنزيلِ
حقَّقتُ فيها مجازًا مرسلًا فجلى كنايتي حسنُ استعاراتي وتمثيلي

فاجاب سؤلهُ الفلاسفة الا (كلستينس) صفيّ (ارسطو) فانهُ ابى واستكبر فعذّب شديدًا ثمّ عُدّ في الغابرين وعقيب ذلك زحف الاسكندر على القوقاسوس الشرقي وذهب الى كابل ثم سار منها على ضفة نهر السند اليمنى فاخضع لحكومتهِ من عرضَ لهُ من القبائل الجبلية ثم اجتاز النهر ودخل (تكسيلا) فعنا لهُ اميرها والتقى في عبر (جيلوم) ببنجاب بالامير (بوروس) الهندي فحاربهُ وكان ذا جيش جرّار فقهرهُ واسرهُ ثم اعاد اليهِ ملكهُ وصافاه ثم اجتاز نهر (شناب) وما برح يتقدم في (بنجاب) حتى بلغ نهر (رافي) فتداعت لسيفهِ اسوار (سنغالا) بعد ان اهلك من اهلها ١٧ الفًا واسر ٧٠ الفًا من رحّالة الهنود ولما رام اجتياز نهر (بستلج) قاومهُ المكدونيين ملالاً وكللاً وكادوا يثورون بهِ فامر بالعود بعد ان شاد ١٢ مذبحًا لتكون حدًّا ابديًّا لتقدمهِ في جهة الشرق وفي خريف سنة ٣٢٧ ركب مع فصيلةٍ من جيشهِ فلكًا طاف بها نهر السند حتى بلغ مصبهُ وكان كثيرًا ما يقاتل على ضفافهِ رحّالة القبائل ويقهرهم وفي صيف سنة ٣٢٦ بلغ (الاوقيانوس) الهنديّ ثمّ تقدّم غربًا الى ساحل خليج العجم واجتاز صحراء (جدروسيا) من (بلوخستان) فانتهى الى مدينة (بورا) وفي خلال سيره هذا عزّ القوت والماء على الجيش فعانى من جرى الجوع والظمأ العذاب الاكبر فرام ان يصرف الجند عن ذكرى مصابهِ فعكف معهم وهو سائرٌ الى (كرمان) على المدامة فاجتلوها سبعة ايام متوالية باقداحٍ ضخام وما فتيء يتجوّل من مدينة الى رستاق ومن معقل الى ثغر وهو يطوي الغور والنجد وينهب السهل والجبل حتى بلغ (شوشن) في اوائل سنة ٣٢٥

(الاعتراف)

جنيتِ كبائر الآثام ضدّي بصدّي كيف كان الاعترافُ
ايكفي حلُّ قسّكِ كلَّ سبتٍ ولومها جرى ياجنفياف (١)

وهنالك اتخذ (باغواس) الخصي نديمًا له وتزوّج بامرأتين جاريًا في بعض عاداتهِ على سنن الفرس ثم سار في نهر (قارون) الى خليج العجم واستصنع في (فينيقية) اسطولاً بغية القيام بسياحة بحريـة يطوف بها حول جزيرة العرب غازيًا وركب ثمّت فُلكًا واتى بابل وهنالك قابل وفود الامم من رومان وغلية ويونان ثم انبعث في الشهوات وعكف على الملاهي والملاذّ وارخى لنفسهِ العنان في مضاجعة النساء ومعاقرة الصهباء والتفنّن في المطاعم من كل بيضاء وسوداء وكان يركب متجوّلاً في ضواحي بابل بين آجامها ومستنقعاتها فعرتهُ من جراء ذلك حمّى نافضة ما كانت لتثنيهِ عن ملذّاتهِ فواظب معها على اجتلاء الراح ومغازلة الخود الرداح حتى ذهبت بهِ الى عالم الارواح وذلك سنة ٢٢٤ فكانت مدّة مُلكهِ ١٢ سنة و٨ اشهر وسني حياتهِ ٣٢ وثمانية اشهر وكان لما قطع الرجاء من الشفاء دفع خاتمهُ الى (برديكاس) قائلاً اذا متُّ فاذهبوا بي الى واحات (سيوة) وادفنوني في هيكل المشتري بين الاصنام فقال ومن خليفتك على الناس اجابهُ اصلحكم بحفظ ناموس المُلك واقواكم على احقاق حقّ قال ومتى نعدُّك معبودًا محترمًا والهًا مكرّمًا قال متى سعد حالكم وانتظم شملكم وما اخالكم بعدي الا خرافًا لا راعيَ لها . هذا ما روى عنهُ التاريخ الصحيح اوردناهُ بتمحيص وتلخيص ولـهُ في ميثولوجيا العرب نبأ نطوي عنهُ كشحًا لشهرتهِ وخروجهِ عن حدّ الممكن

شخوصٌ واشباحٌ تمرُّ وتنقضي وتفنى جميعًا والمحرّك باقِ

(١) هي ابنة دوق (برابنت) ولدت في فرنسا سنة ٦٨٠ وكانت من ابدع نساء

(التوليد)

لم انسَ اذ قلتُ زوري يا رباب فتىً يهواكِ قالت أجل لكن بطيف كرى

فقلت ها انا ذا كالطيف من سقم فلا جناح اذا ما زرتُ مستترا

عصرها جمالاً ورقةً . واكثرهنَّ لطفاً ورزانةً . وابدعهنَّ حديثاً ومعاشرةً . احبها (سغفريد) كونت (بالاتيني) واحبَّتهُ فاقترنا سنة ٧٠٠ وقبل ان يمضي على قرانهما عامٌ انتدب (شارل مارتل) زوجها لقيادة كتيبة من جيشهِ المعدِّ لمهاجمة العرب في المغرب فاجاب سؤلهُ وغادر (جنفياف) الى عناية الكافليير (غولو) وكيل املاكهِ الذي لما خلا لهُ الجوُّ زيَّن لهُ الخنَّاس (الشيطان) مراودة سيِّدتهِ ومطارحتها الوجد فألفى من عفافها سوراً من حديد لا تخرقهُ هجمات الحبِّ ولا تفعل بهِ مجانيق الاحتيال ولما قنط واعيتهُ الحيلة عمدَ لوماً وخبث طينةٍ الى اتهامها بالفحش زاعماً انها حملت بعد ترحال زوجها دعارةً ولما كان بعلها ساذج القلب نزيه الضمير انطلت عليهِ وشاية امينهِ الخائن وحدت بهِ الحمية والانفة الى توقيع امر باتلافها مع وليدها النغل ﴿ على زعمهِ ﴾ بيد ان (غولو) خديع ممن عهد اليهم قتلها فتركت مع طفلها في غاب لرحمة الوحش والطبيعة فحنت عليها غزالةٌ لصلة الشبه بينهما بالكحل ﴿ الكحل خلقةً ﴾ والجيد ﴿ طول العنق وحسنها ﴾ واخذت ترضع وليدها وتدأب لاعالتهِ حتى ترعرع ولما عاد زوجها من غزوتهِ علم انها برآء من الوصمة والعار . فندم على فعلتهِ ندم الفرزدق على طلاق نوار . فخرج ذات يوم متجوِّلاً في ذلك الغاب للقنص ترويحاً لكربهِ . وافراجاً عن قلبهِ . فلقي (جنفياف) عرضاً فخيل لهُ ان روحها مثلت لديهِ . لتشدِّد النكير عليهِ . ولم يبدُ لهُ انها حيةٌ حتى ناجتهُ بما يعهد من رقتها . وازاحت لهُ الستر عما يعلم من مسئلة قتلها ودخيلتها . فتجلَّت لهُ الدنيا اذ ذاك بثوب بهيج وغمز الفرح اعصاب آماقهِ فاسبلت

(الجناس المطلق)

سألتْ عني فتىً لما مرَرْ ت بها قلتُ لها هيْ بن بيْ (١)
قالت أصبر عن فؤادٍ غلتهُ قلتُ صبراً (٢) ما انا غيلان مي (٣)

الدموع . وضمّ محبوبتهُ وابنتها الى صدره ضمة كادت تستنزفها النوّاد لو لم تحل دونهُ حنايا الضلوع . ثم ذهب بهما الى قصره الجميل . القائم بين مرج افيح وماء سلسبيل . وقال لهما كلامنهما رغداً حيث شئتما . لا جناح بعد اليوم عليكما فبنت (جنفياف) حيث كانت في الغاب معبداً حمداً لله على نجاتها وشكراً لا يزال حتى اليوم عبرةً للمارّين وذكرى . وقد شيد فيهِ اخيراً مذبحٌ نُقش عليهِ خلاصة ما كان . وضريحٌ دفن بهِ بعد ذلك العروسان . وقد نظم بلغاء الافرنج المهمّ من حوادث (جنفياف) المجيدة شعراً . والّف كتبهم بانبائها روايات تترى . عُرّبت احداها وطُبعت في بيروت وهي على علاّتها تثير الاشجان . وتهيج الاحزان . وتتلو على قارئيها آية ﴿ كلُّ من عليها فان ﴾ (١) قال في القاموس . هيّ بن بيّ من ولد آدم ذهب في الارض لما تفرّق سائر ولده ففقد ولم يُحسّ منهُ اثرٌ فأطلق بعده على من لا يدرى من ايّ الناس هو (٢) وان شئت قل بدل ﴿ صبراً ﴾ مهلاً او عفواً او كلاّ يريد انني لست كغيلان المشهور بصبره فاستطيع الصبر على استلابك قلبي (٣) هي ابنة طلابة بن قيس بن عاصم الغساني . كان جدها قيس من اجلاء ملوك العرب وافاضلهم حتى ضُربت بهِ الامثال بجلالهِ وسماحتهِ * وحسن جوارهِ ودماثتهِ * وكانت ميّ قصيرة بدينة عذبة الكلام بليغتهُ * غرّاء العينين * بلجاء الحاجبين * جثلة الفرع دجوجيتهُ مرّ بحيّها يوماً غيلان بن معدي الكناني المعروف بذي الرمة وكان غسانياً مليحاً * وشاعراً فصيحاً * فادركهُ الظمأ فمال الى سرادق علا عروضهُ واطنابهُ * وامتدّت اوتادهُ واسبابهُ * واذا بميّ تنسرّح وهي مسبلةٌ شعراً مسكياً * يجلّل عنقاً

(المضعف)

ياظبيةً اضحى فؤادٌ محبها من جورها تيك العيون على شفا
من قال لحظكِ مضعفٌ كذّبتهُ او لم يراهُ للخلائق مُضعفا

كافوريا * ووجهًا ورديا يريك من خدّه خالاً عنبريا * فقال غيلان هل من اداوة تشفي الاوام * وتشفي من السقام * فاسرعت الى ماءٍ شيب باللبن وسقته ثم مرحبت بهِ وانزلته * فجلس يأكل مما هيأت * وعيونها تروي لهُ عن الايام ما خبأت * فما انصرف آخر النهار * الاّ وفي قلبهِ لاعجٌ واوار * كأنهما مارجٌ من نار فعلق يعاودها الزيارة مع طول الشقة * وفرط المشقة * وينشد

وكنت اذا ما جئت ميًّا ازورها اری الارض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودَّ جليسها اذا ما انقضت احدوثةٌ لو تعيدها

حدّث يومًا عقبة الغزاريّ فقال ما مودّاهُ اتاني يومًا ذو الرمة فقال ان حيّ مية لخلوف فهل لك ان تسعدني في الزيارة فقلت لبيك وسعديك ثمّ سرنا حتى اذا اتينا الربع رنا النساء الى غيلان فعرفنهُ فجئن ينهادين ويبنهنّ ميٌّ حتى جلسنَ لديهِ فقالت عجباء منهنّ اسمعنا ياذا الرمة ما قلت فالتفت اليّ وقال انشدها ما رويت عني فاندفعت اقول قصيدتهُ التي مطلعها

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عندهُ واخاطبهُ

ولما بلغت قولهُ

نظرت الى اظعان ميٍّ كأنها ذری النخل او اثلٌ تميل ذوائبهُ
فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق ثمّت عليهِ سواكبهُ
بكى وامقٌ حال الفراق ولم تحل حوائلها اسرارهُ ومعاتبهُ
هو الإلف قد حان الفراق ولم تحل محاولها اسرارهُ ومقانبهُ

قالت المحسناء لكن اليوم فلتحل ثم مضيتُ في الانشاد فلما انتهيت الى قولهِ

(الكوثر والغسلين)

لحى الله ايامًا اصارت سعودنا نحوسًا ونعمانا رزايا وابؤسا
امن بعد نهل الكوثر العذب صافيًا تجرّعنا الغسلين يا دهر اكؤسا

وقد حلفت بالله ميّة ما الذي احدثها الا الذي انا كاذبهْ
اذا فرماني الله من حيث لا ارى ولا زال في ارضي عدوٌ احاربهْ

قالت ميٌّ ويحك ياذا الرمة خف عواقب الله ثمّ ما زلتُ في الانشاد حتى بلغت قولهُ

اذا سرحت من حبّ ميٍّ سوارحٌ على القلب امّنهُ جميعًا غوارِبهْ

فقالت الحسناء قتلتهِ يا ميُّ قتلكِ الله فقالت ميٌّ ما اصحّهُ وهنيئًا لهُ فاصعد ذو الرمّة زفرة كاد حرّها يحرق عارضيهِ اما انا فداومتُ انشادي حتى انتهيت الى قولهِ

اذا راجعتك القول ميّة او بدا لكِ الوجه منها او نضى الدرع سالبهْ
فبالك من خدٍّ اسيل ومنطقٍ رخيم ومرحوق تعلّل شاربهْ

فقالت الحسناء باسمة قد روجع الان القول وبدا الوجه فمن لنا بان ينضي الدرع سالبهْ فضحكت ميٌّ ثمّ قالت لي الحسناء ان لهذين شأنًا فغرّج عنهما فقمتُ معهن قام وجلستُ بحيث اراهما فتعاتبا طويلاً ولم يبرح غيلان من مكانهِ ولم اسمع من حديثهما سوى قولها كذبتُ والله ولا ادري بمَ كذّبتهُ ثم جاءتني ومعهنّ نافجة طيب انحنتهُ بها فقال شأنك وهذه ثم قال وهذي قلائد اعطتنيها فوالله لا قلّدتها بعيرًا ثم عقدها في سيفهِ كالحمائل وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءتني فقال امضِ بنا نودّع الآثار فجئنا حتى وقفنا على اطلال ميٍّ فانشد

ألا فاسلمي يا دار ميٍّ على البلا ولا زال منهلاً بجرعائكِ القطرُ
وان لم تكوني غير شام بقفرة تجرُّ بها الاذيال صيفية كدرُ

(القانون)

ضمّت الى حجرها القانون[1] هازجةً كأن داود يتلو في المزامير
ولامست عسجد الخدّين عابثةً تحكي دنانير[2] تلهو بالدنانير

وانفضحت عيناهُ بالعبرة فقلت مه فقال انى جلدٌ صبور وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا وكان آخر العهد به فوالله ما رأيت اشدّ صبابة ولا احسن صبرًا منهُ * ومن لطائف اشعاره قوله

اذا هبّت الارياح من نحو جانبٍ بهِ آل ميٍّ زاد قلبي همومها
هوىً تذرف العينان منهُ وانما هوى كل نفس اين حلّ حبيبها

﴿وقولهُ﴾

ولما تلاقينا جرت من عيوننا دموعٌ كففنا غربها بالاصابعِ
ونلنا سقاطًا من حديث كأنهُ جنى النحل ممزوجًا بماء الوقائعِ

(١) هو آلة طرب اخترعها كبير فلاسفة الاسلام ابو النصر الفارابي وقدم بها على سيف الدولة الحمداني في حلب فتداولا حديثًا افضى الى ان ضرب بآلتهِ هذه فاضحك الحضور كافة ثم ضرب فابكاهم ثم ضرب فانامهم وغادرهم كذلك وانصرف * كان هذا الرجل من اساطنة العلماء المحققين * واراخنة الفلاسفة المدققين * حتى ان الرئيس ابن سينا كان يقتبس من مشكاتهِ * ويجني من ثمار دوحاتهِ * توفي بدمشق عام ٣٣٩ للهجرة عن شيخوخة جليلة * واسفار جزيلة

(٢) هي مولّدةٌ مدنية نشأت في بيت وزير الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكانت من اجمل الجواري ادبًا واسلسهنّ محاضرة * واحسنهنّ وجهًا واكثرهنّ للشعر رواية * وللغناء اجادة * حتى قيل انها الّفت في الاغاني كتابًا جلّ وقعهُ عند معاصريها * واقرّ لها بالسبق مجيدو مناظريها * من مثل اسحق النديم * وابيهِ ابراهيم * وابن جامع * وفليح ابي البدائع * وكان الرشيد يسكن اليها

(التنسك)

يامن قضيتِ على العباد تنسكا بالقتل اعراضاً شهدتُ مصارعَهْ
ماضرَّ وجهكِ ثالث القمرَين يا اخت المهى الاّ تكوني رابعَهْ (١)

لبهائها وذكائها * ويرتاح الى الاستماع بنشوة غنائها * ويكثر من مناغاتها ومهاداتها بنفائس الحلى وغوالي الجواهر حتى انهُ حباها ليلةً عقداً قوّم بثلاثين الف دينار ولقد طالما ثارت غيرة زبيدة فتاكفت الرشيد لجنوحهِ الى مغازلتها وطموحهِ الى مناغمتها ومباغمتها * فلم يفدها ذلك الاّ انبعاثهُ في الميل * وتماديهِ في الكلف اناءَ النهار واطراف الليل * ولما نكب البرامكة اقامت دنانير في بيوتهم لا تخرق لهم حرمة * ولا تكفر نعمة * بل حفظت ولاءهم * ووقفت غابر عمرها على ذكر محسناتهم * والحنين الى سالف ايامهم * وممن هام بها فلقي العناء * وذاق ضروب الويل واشكال البرحاء * عقيل مولى ابن الرشيد فخطبها فردّتهُ مقيمة على الوفاء * فكتب اليها

يادنانير قد تنكّر عقلي وتحيرت بين وعدٍ ومطلِ
شفعي شافعي اليكِ والاّ فاقتليني ان كنت تهوين قتلي
ما احبَّ الحياة يا اخت ان لم يجمع الله عاجلاً بك شملي

فكان كالكاتب على صفحات الماء * ومات ولم يجد لعلة حبهِ دواء * قيل ان الرشيد دعا بها بعد نكبة مواليها * فانثنت والدموع مل * مآقيها * فاقترح عليها صوتاً فقالت عذراً يا امير المؤمنين فاني آليت الاّ أُغنّي بعد اسيادي ابداً ولو وردتُ ماء الردى * فاغتاظ الرشيد وامر بها فصفعت * وأُعطيت العود وهي واقفةٌ فخضعت * وبدأت تغني ارقّ غناء * وتبكي احرّ بكاء * حتى اذابت الجلمود حزناً ولوعة * وابكت القعود وجداً وحسرة * فرقّ لها الرشيد واطلق سراحها رحمةً

(١) يريد بالمعنى البعيد من التورية رابعة بنت

(الخيانة)

ماطلتِ حبكِ وازدريتِ بحقّ من سبقتْ بحفظ ولائهِ الايمانُ
ضيّعتِ مأمون العهود كأنهُ سهلٌ لديكِ الغدر يا بورانُ (١)

اسمعيل العدوية * مولاة آل عتيك المعروفة بام الخير البصرية * كانت في بدأة امرها فاجرة خليعة كريم المصرية * فبينا هي في سفينة بين قوم يناغونها على نغمات الالحان * ويناغمونها وهم نشاوى بنت الحان * عرض لها زاهدٌ فاقترحت عليهِ ان يغنّيها صوتاً فتنهد * ثم انشد

اطرب من قينة ومزمار في غسق الليل نغمة القاري
ياحسنة والتقيُّ يسمعها بطيب صوت ودمعة جارِ
وخدُّهُ في التراب منعفرٌ وقلبهُ في محبة الباري
يقول ياسيّدي وياسندي اشغلني عنك ثقل اوزاري

فارعوت من ساعتها وتابت توبة نصوحاً اعقبتها بهجود متواصل * وصوم متطاول * وزهد بالغ حدّ الاحتمال * وعبادة آخذة باطراف الدعاء والابتهال في الغدوّ والآصال * كل ذلك واكفانها في محل ركوعها * المغمور برقارق دموعها * ولقد طالما قامت الليل طولهُ * حتى اذا هتك الفجر سدولهُ * هجعت بعين الغراب * ثم هبّت فاقدة الصواب * وهي تناجي الامّارة بالسوء قائلة ويحكِ يانفس كم تنامين * والى كم تنامين * يوشك ان تنامي فلا تقومين * وما زال هذا دأبها حتى ماتت سنة ١٨٥ للهجرة وعمرها زهاء الثمانين * ومن كلامها الجامع * المنسجم كماء الوقائع (اكتموا ياقوم حسناتكم * كما تكتمون سيئاتكم) انزلها الله مقاصير الجنان * وجعلها من صويحبات رضوان

(١) هي بوران بنت سهل زوجة المأمون الخليفة السابع العباسي كانت بارعة في الجمال زُفّت عليهِ سنة ٢١٠ للهجرة وعمرها تسعة عشر عاماً وتوفي عنها

(المشدّ)

ادارت على الصدغين اكليل جوهر فحاكت مسيحاً قام في قبة القدس
وشدّت على الكتفين كرسيّ نهدها فقام عليه تالياً آية الكرسي

سنة ٢١٨ وعمرها ٢٧ عاماً وماتت هي سنة ٢٧١ عن ثمانين سنة ولم ينفق على زفاف في عصر من الاعصار قدر ما أُنفق على زفاف بوران قيل ان المأمون اوقد ليلة بنى بها شمعة عنبر وزنها اربعون منّاً ونثرت عليه جدتها امّ الفضل الف لؤلؤة يتيمة فاهداها الى بوران ثم حكّمها فاحتكمت عليه الرضى عن ابراهيم بن المهدي والاذن لخالتها زبيدة بالحج ففعل ولبثت وليمة الزفاف ١٩ يوماً انفق فيها ابوها الحسن خمسين الف الف درهم ونثر على الامرآء الهاشميين وكبار القادة واعيان الكتّاب والشعرآء بنادق مسك طيّبها رقاع باسماء ضياع وجوار وجياد فكانت اذا وقعت البندقة في يد مرجل ففتحها فيقرأ ما في الرقعة فاذا علم ما فيها دفعها الى معتمد الحسن وتسلّم ما رُسم بها ثمّ نثر على رؤس الحضور نوافج المسك والعنبر والوفا من الدراهم والدنانير وبالجملة فان الشعرآء والمؤرخين اطنبوا في وصف هذا الزفاف وملأوا بتعديد احواله الصحف الى حدّ يتوهمه العقل إغراقاً ومن اظرف ما قيل يومئذٍ قول محمد الباهلي موهماً

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا امام الهدى ظفر ت ولكن ببئست مَن

وبوران ايضاً بنت ابرويز بن هرمز ملكة الفرس كانت ملكة عادلة حسنة السيرة تولّت العرش ستة عشر شهراً ثم تنازلت عنه الى رستم بن فرخزاد * وهو ايضاً اسم حظية كانت لخمارويه بن احمد بن طولون كلف بها مولاها وهام حتى كاد ينهتك ولاجلها بنى في مصر القصر المعروف ببهت الذهب ورسم

(الانتقام)

اني احبك يا زليخة (١) والذي خلق الجمال محبة لا توصف
عوضتني عنها بهجر دائم عدلا اطال اذن جفاك يوسف

فيه صورته وصورتها ولما مات جزع عليها جزعا شديدا ولم ينم له بعدها قائمة

(١) اسم امرأة العزيز التي راودت يوسف الصديق عن نفسه وقد جاء تفصيل ذلك في سورة يوسف على ما ترى * ومراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم * يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين * فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين * قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم

(الروشن)

وقفتُ بروشن صرحها ترنو الى من رام مرآها بأعين رِيم
فمررتُ ملتفتاً فصاب مقاتلي سهمٌ ابى الاّ فؤاد سليم
فذهبتُ اندب مهجتي تلك التي ذهبتْ ضياعاً اندب امّ حكيم (١)

(١) هي امّ حكيم بنت قارظ حليلة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب كان لها صبيّان اسم احدهما عبد الرحمن والآخر قثم فلما فاز معاوية بعد تحكيم الحكمين بعث بالضحّاك بن قيس وبسر بن ارطاة بجيشين وامرهما ان يقتلا كلّ من كان من شيعة عليّ بن ابي طالب حتى الاطفال والحرَم فذهب بسر الى اليمن وكان عبيد الله بن العباس عامل عليّ هناك فلما لم يجده اغار على بيته فعثر بولديه المذكورين فذبحهما كالحملان الوديعة بشفرة كانت معهُ فجزعت امهما عليهما جزعاً شديداً وخالط عقلها بعض اللمم فصارت لا تعقل وتعي ولا تصغي الى قول ناعٍ ولا تُقبل على نصح معزٍّ بل علقت تطوف الاحياء وتقصد المتديات في المواسم وحيثما رأت مجتمعاً رفعت صوتاً يقطّع البكاء وانشدت

يامن احسّ بابنيّ اللذين هما كالدرّتين تشظّى عنهما الصدفُ
يامن احسّ بابنيّ اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهفُ
يامن احسّ بابنيّ الذين هما مخّ العظام فمخّي اليوم مختطفُ
نبئتُ بسراً وما صدّقتُ ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيّ مرهفةً مشحوذة وكذاك الافك يقترفُ
حتى لقيت رجالاً من ارومتهِ ثمّ الانوف لهم في قومهم شرفُ
فالان العن بسراً حقّ لعنتهِ هذا العمر ابي بسر هو السرفُ
من دلّ والهةً حرّى مولّهةً على صبيّين ضلاّ اذ غدا السلفُ

فكان كلّ من يسمعها تتفجّر منابع عينيهِ حزناً عليها * وتنفطر صفاة قلبهِ رثاءً اليها *

(هدنة الحرب)

ياويل قلبٍ صار نصب عيونها هدفًا تمزّقهُ النصال الفاتكة
لم يبقَ انسٌ لا ولا جنٌّ بلا جرحٍ يميت ولم تظلّ ملائكة
ردّي بربّكِ ياعيون حبيبتي لجفونها هذي السيوف السافكة
كادت تسيل حشاشتي ألمًا أما من هدنة في ذي الوغى ياعاتكة (١)

فسمعها يومًا يمانٍ ذو نفس ابية * ونخوة جاهلية * فذهب الى يسر وتلطف بالتزلف اليهِ حتى وثق بهِ فخرج يومًا بولديهِ الى وادي اوطاس وقتلهما ثم فرّ فانشد

يايسر يسر بني ارطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناسِ
خيرٌ من الهاشميين الذين هُمُ عين الهدى وسنام الاسوق القاسي
ماذا اردت الى طفلَي مولّهة تبكي وتنشد من انكلت في الناسِ
اما قتلتهما ظلمًا فقد شرقت من صاحبَيك قناتي يوم اوطاسِ
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت ام الصبيَّين او ذاق ابن عباسِ

(١) هي ابنة معاوية اوّل الخلفاء الامويين كانت في الحسن العجوبة زمانها * وفي الادب دهشة اقرانها * فلما حجت نزلت من مكة بذي طوى فمرّ بها وهب الجمحي المعروف بابي دهبل وكان شاعرًا اجليلاً * وغيسانيًا جميلاً * فجعل يسارقها النظر * وجمرات الوجد تلفح بفؤاده قاذفةً بالشرر * وكان الوقت هجيرًا * والجواري رافعات عنها الاستار * ففطنت له فذعرت وشتمتهُ كثيرًا * ثم امرت بالسجوف فحجبت بظلامها شمس النهار * فقال

اني دعاني الحين فاقتادني حتى رأيت الظبي بالبابِ
ياحسنهُ اذ سبّني مدبرًا مستترًا عني بجلبابِ
سبحان من اوقفها حسرةً صبّت على القلب باوصابِ

(المروحة)

يا حسن مروحةٍ في كفّ غانية تريد منها لحرّ الوجه تبريدا

يذود عنها ان تطلبنها ابٌ لها ليس بوهّاب

احلّها قصرًا منيع الذرى يحمى بابواب وحجّاب

فشاعت ابياته في مكة واشتهرت وغنّي بها حتى سمعتها عاتكة انشادًا وغناءً فطربت لها وسرّت وبعثت اليه بهدية فتراسلا وتحابّا ولما صدرت عن مكة خرج في ركبها الى الشام فكانت تتعاهده باللطف والاحسان حتى اذا وردت دمشق ورد معها فانقطعت عن لقائه فمرض حتى عزّ شفاءه دائه فقال

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ومللتُ الثواءَ في جيرونِ

واطلت المقام بالشام حتى ظنّ اهلي مرجمات الظنونِ

فبكت خشية التفرّق جملٌ كبكاءِ الغريبِ اثرَ القرينِ

وهي زهراءُ مثل لؤلؤة الغوّ اص ميزت من جوهر مكنونِ

واذا ما نسبتها لم تجدها في صباءٍ من المكارم دونِ

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراءِ تمشي في مرمر مسنونِ

قبّةٌ من مراجل خرّبوها بعد برد الشتاءِ في قيطونِ

ولقد قلت اذ تطاول سقمي وتقلبت ليلتي بفنونِ

ليت شعري امن هوىً طار نومي ام براني الباري قصير الجفونِ

فنشا هذا الشعر حتى بلغ معاوية فصبر حتى اذا كان الجمعة دخل عليه الناس يسلمون وينصرفون وكان فيهم وهب فلما ازمع الرجوع ناداه معاوية فعاد حتى اذا خلا لهما الجوّ قال ما كنت احسب ان في قريش اشعر منك حيث تقول

ليت شعري امن هوى طار نومي ام براني الباري قصير الجفونِ

غير انك قلت

لم تدر ان لظى الخدّين يكسبها ... الترويح بالريح ايقاداً وتوريدا

واذا ما نسبتها لم تجدها ... في سناء من المكارم دون

والله ان فتاة ابوها معاوية وجدّها ابو سفيان وجدّتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وايّ شيء زدت في قدرها ولقد اسأت بقولك (ثم خاصرتها) فقال والله لم اقل هذا وانما قيل عن لساني فقال معاوية اما مني فليهدأ روعك لاني عليم بعفاف فتاتي وانه مغتفر لفتيان الشعراء التشبيب بمن ارادوا ولكني اكره لك جوار اخيها يزيد فان له سورة الشباب وانفة الملوك فحذر وهب ورحل الى مكة فبينا معاوية في مجلسه يوماً اذا بخصيّ يقول له لقد سقط يا امير المؤمنين الى عاتكة اليوم كتاب ابكتها تلاوته بما اصارها حتى الساعة حرينة فقال عليّ به ولكن بلطف حيلة فلما اوتيه قرأه

اعاتكَ هلاّ اذ بخلتِ فلا ترى ... لذي صبوة زلفى لديكِ ولا برقى

رددتِ فؤاداً قد تولى به الهوى ... وسكّنت عيناً لا تملّ ولا ترقا

ولكن خلعتِ القلب بالوعد والمنى ... ولم ارَ يوماً منكِ جوداً ولا صدقا

اتنسين ايامي بربعكِ مدنفاً ... صريعاً بارض الشام ذا سقم ملقى

وليس صديق يرتضى لوصية ... وادعو لدآئي بالشراب فما اسقى

واكبر همي ان ارى لك مرسلاً ... فطول نهاري جالسٌ ارقب الطرقا

فواكبدي اذ ليس لي منكِ مجلسٌ ... فاشكو الذي بي من هواكِ وما القى

رأيتكِ تزدادين للصبّ غلظةً ... ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

فبعث الى يزيد فلما جاءه راءه مطرقاً كئيباً فاستجلاه الامر فقال هو نباء يقلق فيمرض فيحبّر ان هذا الفاسق القرشيّ كتب الى اختك بهذه الابيات فلم تزل باكية حتى الساعة قال يزيد الخطب دون ما تنوهم * عبدٌ لنا برصدٌ و يغتاله فقال معاوية ويحك يا يزيد والله ان تقتل قرشياً هذا حاله * صدّق الناس مقاله * قال يا امير المؤمنين انه نظم ابياتاً غير هذه وتناشدها المكيون فسارت

(البلاء)

سألت اياموليَّ عن حال مُبعدٍ شريدٍ غدا في جانب اليمّ مطروحا
ترى كيف يغدو حال جسم موسّد على جمرةٍ في حفرة فارق الروحا

(القسوة)

لانت لنار الحبّ كلّ صليبةٍ الاَّ فؤادكِ لم يلن ياقاسيه

حتى بلغتني فاوجعتني وحملتني على ما اشرت به فقال ما هي فانشد

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهلُ وما كان من يلحى محبًّا له عقلُ
حمى الملك الجبّار عني لقاءها فمن دونها تخشى المتالف والقتلُ
فلا خير في حبٍّ بخاف وبالهِ ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ
فواكبدي اني اشتهرتُ بحبّها ولم يكُ فيما بيننا ساعةً بذلُ
وياعجبًا اني أُكاتم حبّها وقد شاع حتى قُطّعت دونهُ السبلُ

فقال معاوية قد والله رفهت عني لانى اراهُ يشكو الحرمان فالخطب فيهِ يسير ثمّ حجّ عامئذٍ للسبب عينهِ ولما انقضت المناسك دعا باشراف قُريش وشعرائهم واجزل لهم الصلات فلما ازمع وهب الانصراف قال ابهِ ياوهب مالي ارى يزيد ساخطًا عليك في قواريض تأتيهِ عنك وشعر تنطق بهِ فبدأ ابو دهبل يطيل الاعتذار ويحلف انهُ مكذوبٌ عليهِ فقال معاوية لا بأس عليك وما يضرّك ذلك عندنا فاي بنات عمك احبُّ اليك قال فلانة فقال قد زوّجتكها وامهرتها بالفي دينار ووهبتك الف دينار فلما استوفاها قال ان رأى امير المومنين ان يعفو عما مضى فان نطقت ببيتٍ في معنى ما سبق فقد ابحت بهِ دمي واما ابنة عمّي فهي طالقٌ بتاتًا فسرّ معاوية واوعدهُ باداراة الصلة كل عام * وكان وهب قبل ذلك يهوى عمرة المجحية وكانت من اللواتي يرنى اليهنّ للطفها وجمالها * وحسن دلّها وعذوبة مقالها * وكانت

اصبحت في نيل المدامع والذي فلقَ النوى موسى فكوني آسيهْ (١)

(البغض)

ترنو اليَّ بمقلةٍ غضبى اذا بصرت بطودٍ سال كالوديانِ
فكانني بكونسفيلد (٢) زمانهِ وكانها من بغضها الافغاني

مبذولة الحجاب * مهتوكة النقاب * مع عفافٍ ودين * وغرام عذريّ مكين * فصبت الى وهب زمنًا نعنها فيهِ بكل قصيدة غرّاء * ومقطوعة زهراء * ثمَّ انصرفت عنهُ لاسباب * فقال على سبيل الاستعطاف والعتاب

اليس عظيمًا ان نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلمُ

توفي سنة ٦٣ للهجرة في خلافة يزيد ودُفن في ضريح ابن الازرق (١) هي فيما ذكرهُ بعض مؤرخي العرب زوجة فرعون التي انتشلت موسى وهو طفل من نهر النيل الذي فيهِ لداعية إقدام فرعون على قتل كل ذكر يلد للعبرانيين وان آسية المذكورة آمنت بنبوَّتهِ عندما جاء فرعون رسولاً فعاقبها زوجها والذي نصَّتهُ التوراة في الاصحاح الثاني من الخروج واجمع عليهِ بنو اسرائيل ان التي انتشلت موسى هي بنت فرعون لا زوجتهُ (٢) هو لورد (بيكونسفيلد) المعروف ببنيامين دزرايلي . ولد في لندن في ٢١ كانون الاوَّل سنة ١٨٠٥ من ابيهِ اسحق (وكان يهوديًّا فيما قبل) وامهِ (باسيفي) فنشأ مليح الصورة بهيَّ الشارة . كريم الاخلاق . جامعًا بين الاقدام والثبات . وبُعد الهمم ونزاهة النيَّات فرُشِّح لفنِّ المحاماة عن الحقوق في بيت محامٍ شهير كان لابيهِ خليلاً وفيًّا وبهِ برًّا وحفيًّا ولما احسَّ بان اقتدارهُ الذاتيَّ جدير بمقام اكثر علاءً . وابهى رواءً غادرها لاجئًا الى العلم فنشم فيهِ ثمَّ ذهب سنة ١٨٢٤ الى جرمانيا ولما عاد نشر رواية تدعى (فيفان غراي) ضمَّنها باسلوب معجب وصف نفسهِ وكثيرين ممن اشتهروا في عالم الانكليز اوانئذ فدُهش بها قومهُ وحُسن وقعها في اوروبا

﴿ المفاجاة ﴾

ابدورٌ في الهوادجْ ام شموسٌ بدمالجْ
ام نجومٌ في سماءٍ ام لآلٍ في زبارجْ

فترجمت الى اكثر لغاتها . ثمّ نشر عام ١٨٢٨ كتابًا اودعهُ رحلة القبطان (بابانيلا) فكان اقلّ رواجًا من الاوّل . ثم ذهب الى ايناليا فاليونان فالبانيا فسورية فمصر فالحبشة ولدى عودهِ سنة ١٨٣١ نشر روايتين اسم احداها (الدوق الفتيّ) فازتا برضى اهل الذوق ووطّأتا لهُ عرنين الشهرة بما ضمّنهما من اخبار بلاد زارها واودعها من وصف اخلاق اهليها وعاداتهم فازهر بين الناس سراجهُ . ووضح فيهم منهاجهُ . ونزعت نفسهُ الى الاستئثار باريكة في دار الندوة فتعلق باهدابها . واعتصم باسبابها . ولما خاب عكف على تأليف الروايات ثم تنافر مع معاصره (اوكونل) فتهاجيا حتى وصف الاوّل الثاني بالايرلاندي الخائن السفاح والثاني الاوّل باحد اللصّين المكابر (بريد المصلوبين مع المسيح) ثم الف روايتهُ (ألروي) وهي شرقية النبأ مجبولة بماء البلاغة والانسجام مضمّنة رحلة امير من بيت داود الى بلاد فارس في القرن الثاني عشر وادعاءهُ انهُ المسيح . ثم قفاها بثانية سمّاها (ثورة اسكندر) يريد بهِ اسكندر بك الذي عصى الدولة العلية في القرن الخامس عشر . وبدأ يهادي صحيفة (التيمس) بشذرات في السياسات اخذت برقاب الاصابة والبيان . فدخلت قلوب الانكليز بلا استئذان . وسنة ١٨٤٧ اتيح لهُ ما كان يطير اليهِ باجنحة الامانيّ والمطامع وهو دخول دار الندوة فاستنابتهُ عمالة (ميدستن) ولما رقي منبر الخطابة قابلهُ النوّاب بصفير الاستهجان وباغتهُ جمهورهم بصوت جهير يخرق صماخهُ برنة قولهم (فليتزل) فاجابهم غير مرتبك ورجلاهُ تتخطف درجات المنبر بهدء وسكون . هوذا تروني نازلاً الان . ولكن سيأتي زمن

أم غزالات نقا قد نشأت في رمل عالج
أم عذارى آنسات صدن قلبي برواميج

تنساء لون متى يخطب بنيامين لنكون كلنا آذان . وفي عام ١٨٤٩ رأى الناس مصداق نبوّته فانهُ اقتضب خطابًا انيقًا . أُدميت لهُ الاكفُّ تصفيقًا . وفي العام عينهِ عقد على ارملة (وندهام لويس) الشهيرة بالبهاء والثراء قرانًا سعيدًا فتح لنجم سعوده في فلك العمر برجًا جديدًا . وانبعث يتدرّج في معارج المجد والفخر . وتواصل بنات افكاره الفتانة طيَّ التأليف بالنشر حتى صار عام ١٨٤٩ زعيم حزب المحافظة ثم وزير المالية . ودارت عليهِ الادوار حتى رقي منتهى المراتب البشرية . نعني بهارئاسة الحلقة الوزارية وذلك في شباط سنة ١٨٦٨ ثم عرض ما الجأهُ الى الاستقالة فاناها في ٣ كانون الاوَّل من السنة عينها وخلفهُ (غلادستون) زعيم الحرّية وسنة ١٨٧٠ نشر روايتهُ (لوثير) وهي ذات مغاز سياسية دينية تلمحُ برهبنة (الجزويت) اقبح الملم فراجت في البلاد السائد فيها مذهب الاصلاح اتم رواج ثم سنة ١٨٧٤ فاز حزب المحافظة فتولى ثانيةً زعامة الوزارة ممثل حتى سنة ١٨٨٠ في مشاهد السياسة فصولاً اذاعت صيتهُ حتى طبَّق الفضاء . وزادت شهرتهُ حتى بلغت حدَّ الانتهاء . فاعتزل منصبهُ ثم اعتلَّ ومات في ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ فاكرم بها من بلاد اذا قدح زناد تربتها من الذكاء شررةً اصارها نسيم القبول بركانًا . وان رشحت صفاتها من القابلية نقطةً اصارتها سيول الاقبال بحرًا مهرقانًا . فتبارك من خلق وسوّى بتقدير . وجعل من الاذكياء فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير . انهُ احسن الخالقين * واما الافغانيُّ فهو السيِّد جمال الدين العالم الفيلسوف الشهير . نبغ في بلاد الافغان فتعلم فيها اللغة الفارسية والعلوم الدينية والمنطق وشيئًا من علم الاخلاق وكان ممن انتظموا في سلك الجندية فلما قام الخلاف عام ١٨٦٤ على امارة الافغان بين شير علي خان واخوتهِ واولاد

ورمين اللبّ لمّا ملن من دلّ بلا عجْ
ثمّ غادرن فؤادي من لظى الحبّ بمارجْ

اخوته التحاز جمال الدين الى افضل خان (او الى محمد اكبر خان) وعدّ من مشاهير انصاره بيد ان الانكليز اخذوا اخيرًا بناصر شير علي واعترفوا له بمعاهدة عقدت في اوائل سنة ١٨٧١ بانه ولي البلاد الشرعي فاخذ سعي جمال الدين وفرّ ثمت الى الهند وهنالك اخذ عن علماء البراهمة والاسلام اجلّ العلوم الشرقية والتاريخ ونبغ في لغة (السانسكريت) امّ لغات الشرق وبرّز في علم الاديان حتى افضى به ذلك الى الالحاد والقول بقدمية العالم زاعمًا ان الجراثيم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكوّنة بترقّ وتحوير طبيعيين ما نراه من الاجرام التي تشغل الفلك ويتجاذبها الجوّ وان القول بوجود محرّك اولي حكيم وهم نشأ عن ترقي الانسان في تعظيم المعبود على حسب ترقّيه في المعقولات بمعنى انه عندما كان همجيًا صرفًا وساذجًا بحتًا كان يعبد خسائس الموجودات من مثل الخشب والحجر ولما ترقّى في معراجي المدينة والعلم رقى بالنسبة عينها معبوداته فصار يحترم النار فالسحاب فالافلاك فاجرامها وما برح يتدرّج بمراقي الخبرة ويستضيء بمشكاة العلم وهو آخذٌ في سير طبيعي برفع مكانة معبوده وترقّيه في مراتب السموّ حتى قال هو منزّهٌ عن الكيف والكمّ معصوم من البداية والنهاية بعيدٌ عن الحصر والاحاطة مالىء الكل وفي الكل يرى الكل ولا يراه احد غير ان مدارك الانسان ترقت بعد ذلك الى حدّ اوصلها الى العلم بان كلّ هذا ضروب اوهام واضغاث واحلام نشأت في الاصل عن خوف الانسان من الموت وميله الى الخلود ذلك ما جعله يبني في الهواء صروحًا من الاماني وابراجًا من النعلات مما رسخ في مخيلته الى حدّ كاد يكون اعتقادًا فعلق يقول انه سيتحوّل بعد هذا الموت الى حياة خالدة

سُودا جفانٍ مراض دُعج احداقٍ نواعجْ
لُعس افواه بها الشهد الى الراح يمازجْ

ونعيم مقيم وان الخشب او الحجر هو الذى ينتهي به الى هذا المقام الاسنى اذا ادّاه احتراماً . واوسعه اكراماً . فانبعث في عبادته تخلصاً من مرارة التفكر بممات لا تعقبه حياة . ثم عنّ له ان النار اكثر اقتداراً . واجلّ نفعاً واضراراً فمال عنه اليها ثم رأى ان السحاب خيرٌ من النار واقدر فانضوى اليه . وعوّل عليه وما برحت تزداد حلقات تلك السلسلة المصوغة باداتي وهم وميل مرافقين لغريزة الانسان وفطرته حتى انتهى الى تلك الرتبة المتناهية علوّاً فصار من موجبات نواميس الاشياء ردُّ الفعل المؤدي الى الجزم بان كل ذلك خزعبلات منشأها الاماني لا حقيقة لها ولا رسم

وليس اعتقاد المرء ما خطّ كفه كما ان حاكي الكفر ليس بكافرِ

(عودٌ على بدء) وبعد ان اقام في الهند ردحاً جاءه فروق عاصمة الدولة العلية فاتصل بصدرها ﴿ امين عالي باشا ﴾ وحظي لديه وما لبث هنالك ان اتقن اللغة التركية ولما رغب اليه الصدر ان يخطب في دار الشورى ارتجل خطبة في الصناعات غالى فيها الى حدّ ان ادمج النبوّة في عداد الصنائع المعنوية فشغب عليه طلبة العلم وشدّدت صحيفة الوقت عليه النكير بما الجأ الصدر الى ابعاده فقصد مكة وجاور هناك عاماً وبعض عام اخذ في خلالها مبادئ اللسان العربي . ثم جاء مصر وكان قد سبق فعرف في الاستانة رياضها المشهور ﴿ وزير المعارف اوانئذ ﴾ فاكرم مثواه اجلالاً لعلمه وانزله حجرة في الجامع الازهر وعيّن له راتباً رابياً مع وظيفة التدريس بعد ان محضه النصح بان يلزم خطّة الشرع الانور والدين الحنيف فلبث في الجامع حيناً من الدهر يفي فروض الصلاة ويواصل الانفال والاوراد ويواظب على قشف الصوم

فلج اسنانٍ دعيني من هواهنَّ بفالجْ
لُدْن اعطاف تثنَّت فوق ارداف بوارجْ

مستمسكًا بشعائر اهل السنة وكان قد انس من بعض الطلبة فكرًا نيرًا وذهنًا وقّادًا فجعل معوّلهم عليهِ . ومصدرهم عنهُ ومواردهم اليهِ . ثم لاح لهُ ان يغادر الازهر فاتخذ لهُ في حارة اليهود بيتًا ما لبث ان صار منتدى العلماء والادباء ومحطّ رحال الطلبة الاذكياء . وكان من ديدنهِ ان يقطع بياض نهاره في داره حتى اذا جنَّ الظلام خرج متوكئًا على عصاهُ الى ملهى قرب الازبكية يدعى (قهوة البوسطة) وجلس في صدر فئة تتألف حولهُ على هيئة نصف دائرة ينتظم في سمطها اللغويُّ والشاعر والمنطيقيُّ والطبيب والكيماويُّ والتاريخيُّ والجغرافيُّ والمهندس والطبيعيُّ فيتسابقون الى القاء ادق المسائل عليهِ . وبسط اعوص الاحاجي لديهِ . فيحل عقد اشكالها فردًا فردًا ويفتح اغلاق طلاسمها ورموزها واحدًا واحدًا بلسان عربيٍّ مبين لا يتلعثم ولا يتردّد بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلال فيُدهش السامعين . ويفحم السائلين . ويبكم المعترضين . ولا يبرح هذا الشأن شأنهُ حتى يشتعل رأس الليل شيبًا وترعى غزالة الصبح نرجس الظلم فيقفل الى داره بعد ان ينقد صاحب الملهى كلما يترتب لهُ في ذمة الداخلين في عداد ذلك الجمع الانيق . وبعد ان ذهب المنشئ الكاتب اديب اسحق الى الاسكندرية قصد تمثيل الروايات تحت رئاسة الفاضل المغفور لهُ سليم نقّاش سنحت عوارض فضت بالغاء التمثيل فاصبح اديب خالي الوفاض . بادي الانقباض . فبعث بهِ المرحوم حنين الخوري الى القاهرة مصحوبًا بكتاب وصاهُ الى جمال الدين فاحسن هذا لفيفهُ لما توسّمهُ فيهِ من امارات الذكاء ومخايل النجابة ولزمهُ ثمت ملازمة اللاّم للالف * واقبل عليهِ اقبال الهائم العاني الكلِف * فحصّل لهُ امتياز صحيفة

بشعور نشرت طيب شذاها من نوافج
وخدود ونهود ضمنت قتل الخوارج

اسمها (مصر) واتخذ له دكانًا بباب الشعرية هيأ له فيها من ادوات الطبع بالحرف البولاقي المشهور ما قوي معهُ على اصدار تلك الصحيفة فكانت ترد مودعة نصولاً وامالي منسوجة ببراع جمال الدين ومنشورة باسم المزهر ابن وضّاح اصارت لتلك الصحيفة شأنًا مذكورًا ثم رأى ان ثغر الاسكندرية اقرب لاصطياد الاخبار فوفّق بين اديب وسليم واوعز اليهما بنقل الادارة اليها بعد ان مكّنهما من نوال امتياز آخر لصحيفة يومية دعياها (التجارة) ثمّ اومأ الى كاتبهِ الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني ان يخدما تينك الصحيفتين قلمًا وسعيًا ما استطاعا الى ذلك سبيلاً وجعل يواصلها بشذرات من قلمهِ البديع، وخطرات من فكره المزري بالألآء الرقيع. حتى كان سبب شهرتهما كما كانا بتعظيمهما لهُ في النعوت والالقاب من مثل (مهبط اسرار الحكمة واسطرلاب فلك العلوم واسطقس هيولى الفلسفة) الى غير ذلك مما اعتادا ان يصفاهُ بهِ سبب نمآء شهرتهِ وانتشار صيتهِ ولهُ في صحيفة مصر مقالتان احداهما في الحكومات الشرقية وانواعها والثانية سمّاها (روح البيان في الانكليز والافغان) ترنّحت لها اعطاف اولي العلم طربًا * ومالت اليها اعناق الحكّام السياسيين عجبًا حتى ان (غلادستون) زعيم الحرّية في انكلترا اثبت في بعض الصحف رسالة تشهد لهُ انهُ من اعلام الشرق واعيان العلمآء حالة كون الانكليز من اعدائهِ الالدّآء ولما شخص المؤلّف الى القاهرة عام ١٨٧٨ تعرّف بهِ وانتفع بصحبتهِ ولازمهُ حينًا من الدهر في اوقات اجتماعهِ وخلوتهِ وكان ممن ساعدوهُ على الوصول الى الخديو ﴿ اسمعيل ﴾ والتمكن منهُ وشوّقوهُ الى الاندماج في سلك الاخبار بين فنال امتياز صحيفة دعاها (مرآة الشرق) ومطبعة سمّاها (الاتحاد)

وبنان ناعم سبط لبرد السقم ناسخ
يا قومي من مجيبي من ظبي تلك الغوانج

وكان قد امر زعيم تلامذته الشيخ محمد عبده ان يقرّظ كتابهُ (كنز الناظم) فوصفهُ برسالة ضافية الذيل نسج اكثرها بقلم جمال الدين ونُشرت في العدد ١٢٦ من صحيفة الاهرام فانهُ كان من خُلقهِ الاخذ بناصر كل منتمٍ الى العلم وشدُّ ازر كل ذي ميل للادب ومع انهُ كان كثير الانفة شديد الوطأة على الحكام يعاملهم بالعجب والخيلاء ويرنو اليهم بعين المقت والازدراء تراهُ بالعكس كثير التعظيم والتكريم لاولياء العلم وانصاره مهما كانوا خاملين قاصرين يبذل لهم الانس والدعة ويخفض جانب الرقة والدماثة ويوامي محتاجهم ومحتاجهم بكلما يقدر عليهِ . وتصل يده اليهِ . وفي خلال عام ١٨٧٨ زاد مركزهُ خطراً في البلاد وسما مقامهُ لانهُ تداخل في السياسات وتولى رئاسة جمعية (الماسون) العربية وصار لهُ اصدقاء واولياء من اصحاب المناصب العالية من مثل محمود باشا البارودي (الذي نفي اخيراً مع عرابي الى جزيرة سيلان) وعبد السلام بك المويلحي النائب المصري في دار الندوة واخيهِ ابراهيم كاتب الضابطة وكثير سواد الذين يخدمون افكارهُ . ويعلون بين الناس منارهُ . من ارباب الاقلام من مثل الشيخ محمد عبده وابرهيم اللقاني وعلي بك مظهر والشاعر الزرقاني وابي الوفاء القوني في مصر . وسليم نقاش واديب اسحق وعبد الله نديم في الاسكندرية . فتغيرت ثم لهجتهُ في احاديثهِ واخذ يقرّب منهُ العوام ويقول لهم اثناء مكالماتهِ ما معناهُ * انكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرونٌ مذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وانتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين تسومكم حكوماتهم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذلّ وانتم صابرون بل راضون

قد اصرنَ الفم من وجـــد بهنَّ اليوم لاهجْ
نادبًا طَورًا وطَورًا شاديًا سكرًا وهازجْ

وتنتزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالمقرعة والسوط وانتم في غفلة معرضون . فلو كان في عروقكم دمٌ فيهِ كريات حيوة وفي روسكم اعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة ولما صبرتم على هذه الضعة والخمول ولما قعدتم على الرمضاء وانتم ضاحكون تناوبتكم ايدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والاكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم ببضع نهبهِ ويهيض عظامكم باداة عسفهِ وانتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حسَّ لكم ولا صوت انظروا اهرام مصر وهياكل منفيس وآثار ثيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط شاهدةً بمنعة آبائكم وعزة اجدادكم

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرشيد فلاحُ

هبّوا من غفلتكم اصحوا من سكرتكم انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول عيشوا كباقي الامم احرارًا سعداء . او موتوا مأجورين شهداء *الى غير ذلك مما من شأنهِ ان يحرك الماء فيجعلهُ نارًا ويثير نسيم الصبا فيغادرها اعصارًا فبدأت تنتشر حركة الخواطر في الديار المصرية واخذ القوم يشكون من حكومتهم متململين . ويتطاولون باعناقهم الى ما يقول مشرأبين . ومذ ذلك الحين طارت الشررة الاولى من شررات الثورة العرابية وكان المؤلف قد لمح الى هذا في بعض اعداد صحيفتهِ (مرآة الشرق) بقولهِ في جملتهِ الافتتاحية

ارى خلل الرماد وميض نار واخشى ان يكون لهُ ضرامُ

فثار بعض قادة الجند (بولسن) و (دبلنيير) الوزيرين الاجنبيين واوسعوهما ضربًا واهانةً واجتمع في بيت *الشيخ البكري* ثم في بيت *راغب باشا*

لستُ ادري قبل يومي هول هاتيك المعارجْ
ما الهوى ما الحبُّ ما العشق هواءٌ من مدارجْ

لفيف من اعيان البلاد وعمد الارياف واجمعوا على تغيير الوزارة النوبارية ثم التوفيقية ثم زاد انتشار الخواطر الثورية وكسبت صحف الاخبار اهميةً ما كان لها ان تكسبها في اسبى البلاد مدنيةً وحينئذ رأى المؤلف ان المسلك وعرٍ . والموقف خطرٍ . فمال الى الغاء التحرير بالتي هي احسن . والجنوح في هذا الامر العسير للتي هي اقوَم . فاعتزل الجريدة بعد ان احال امتيازها الى رجل اصارها طوع اشارة الافغانيّ . فوكل بها كاتبهُ ابرهيم اللقاني . فبدأ من العدد السادس عشر بايعازها مبادئ الثورة وامالي الشكوى والتعريض وبعد حين ناب الافغاني عن الامة بسفارة الى الخديو فذكرت ذلك (مرآة الشرق) بطنطنة عادت عليهِ بالوبال * وعليها بالتعطيل والنكال (السبب الظاهريّ لتعطيلها غير هذا واما المطّلعون على الحقائق فيعلمون ان الباعث عليهِ انما هو انتماؤها الى الافغاني) وكان قبل ذلك قطع في الاسكندرية بضعة ايام خطب في اثنائها بقاعة (زيزينيا) خطبة في النساء جمعت الوفًا من الفرنكات فوزّعت بايماء منهُ على الفقراء ولم يمضِ زمن حتى انقلب دست ﴿ اسمعيل ﴾ وعلا اريكة الخديوية صاحب السموّ الامير ﴿ توفيق ﴾ وكان من الواجدين على جمال الدين فاخذ يجوس مواميّ افعالهِ * وبرود مرامي اقوالهِ حتى علم انهُ ممن ينزعون الى ابدال الحكومة المقيدة بجمهورية شورويةٍ تحدّثهُ نفسهُ بتولي زعامتها فاغتالهُ بعض الشرطة وهو عائدٌ عند بزوغ الفجر من مقامهِ الليليّ المعلوم وكان قد ارفضّ عنهُ اصحابهُ فاستاقوهُ الى دار الضابطة وذهبوا بهِ ثمت الى محطة السكة حيثما أُرسل من طريق الاسمعيلية الى (بورت سعيد) ولما رأى قنصل العجم في ذلك الثغر (وكان ماسونيًا) انهم مزمعون

سآء زعمي اذ اراني في سبيل الموت ناهج
هل رايتم او سمعتم في الورى مثلي ساذج

على بعثتهِ بطريق جدة الى بلاد فارس عرض عليهِ مئة دينار برسم النفقة فابى مع كونهِ لم يملك ساعتئذٍ درهمًا واما مكتبتهُ فحجرت عليها الحكومة وضبطتها واما خادمهُ ﴿ ابو تراب ﴾ الذي صار بمعاشرتهِ اياهُ وملازمتهِ لهُ فيلسوفًا صغيرًا حالة كونهِ اميًّا كبيرًا فسجن زمنًا ثم أُطلق سراحهُ فاتى بيروت منذ عامين ولا علم لنا الان اين مرساهُ وكيف مسراهُ . وكان روح الثورة قد امتدَّ في القطر بحيث لم يكن اجلاء الافغاني الاَّ ليزيدهُ سريانًا وانتشارًا (من هنا فما بعد يعلم كلٌّ بما جريات الديار المصرية مما يخرج عن وظيفة كتابنا هذا الافاضة بتفصيلاتهِ) ومذ ذلك العهد احتجبت عن المؤلف اخبارهُ حتى ظهرت في باريز صحيفة العروة الوثقى موسومة باسمهِ وموشاة بقلم دهقان رجالهِ الشيخ محمد عبده فعلم من منزعها انهُ عاود الاستمساك بالدين الحنيف وحنح الى نهج خطة جديدة تكسبهُ ميل العالم الاسلامي ورضاءهُ عنهُ وهو بالجملة والتفصيل آيةٌ من آيات القرن التاسع عشر ومعجزة من بدائع معجزاتهِ ولو لم يكن طموحًا الى المعالي بافراط واعجال وعاجزًا عن كتمان مبدإهِ وغايتهِ لرحب بهِ التاريخ وافرز لهُ من اسفاره صفحات تترى * زينها برقم اعمال مجيدة تكون قدوة للآتين وذكرى * وهو الان دون الخمسين من عمره اسمر اللون الى صفرة * مفلفل الشعر اسودهُ * نحيف البنية * اهيف القامة * جذَّاب الملامح * خفيف العارضين * حادّ البصر يكاد يتطاير الشرر من حدقتيهِ . يلبس السواد ويتزيى بزيّ العلماء * طليّ الكلام ذرب اللسان * فصيح اللهجة * بليغ العبارة * مليح النكتة * سمح الكف * طلق المحيا * وقور السمت * يجتنب النساء ويفطم نفسهُ عن الشهوات * يكره الحلو ويحب المرّ وقلما خلت جيوبهُ من خشب

كيف ارجو لي نجاةً من طبيب ومعالجْ
علّتي طبي وطبي علّتي كيف أُعالجْ (١)

الكينا والراوند يتنقّل بهما تفكهًا * ياكل الوجبة (مرّة كلّ يوم) ولا ياكل الاّ منفردًا * يكثر من شرب الشاي والتبغ واذا تعاطى مسكرًا فقليلاً من (الكونياك) وليس له من التآليف المطبوعة سوى تاريخ الافغان * يكره الكتابة ويتثاقل منها فاذا رام انشاء مقالة القى على كاتب من مثل ابرهيم اللقاني القاء فلما يراجعهُ ويصلحهُ فيجيء من اوّل وهلة مسبوكًا مفرغ المعاني بقوالب لفظ لا تنقص عنها ولا تزيد * فسبحان من خلقهُ بهذه الاطوار * وجمّلهُ بهذه الآثار * انهُ فعّال لما يريد

(١) تفسير الالفاظ الغريبة الواردة في هذه القصيدة الجأنا المقام لوضعهِ وجملةً ﴿ زبارج ﴾ جمع زبرجد ﴿ عالج ﴾ موضع رملي تكثر فيهِ الغزلان ﴿ روائح ﴾ جمع رائح وهو الملواح يصطاد بهِ جوارح الطيور ﴿ لائح ﴾ وهج الحب وألمهُ ﴿ دُعج ﴾ من الدّعج وهو سواد العين وسعتها ﴿ نواعج ﴾ من النعج وهو البياض الشديد ﴿ لُعس ﴾ من اللعس وهو سوادٌ او سمرةٌ تستحسن في الشفف ﴿ فلج ﴾ تباعد الاسنان بانتظام بروق ﴿ لُدْن ﴾ جمع لَدْن وهو اللّين ﴿ بوارج ﴾ جمع بارجة وهي الباخرة الحربية وتشبيه الردف بها غير مسبوق ﴿ نوافج ﴾ جمع نافجة وهي وعاء المسك ﴿ الخوارج ﴾ العصاة على السلطان والمارقون من الدين وقولهُ

وخدود ونهود ضمنت قتل الخوارجْ

معنًى لم يسبق اليهِ ﴿ بنان ﴾ الاصابع او اطرافها ﴿ سَبْط ﴾ نقيض الجعد ﴿ بُرْد ﴾ ثوب مخطّط ﴿ ظبي ﴾ جمع ظبة وهي حدّ السيف ﴿ هانرج ﴾

(التوبة)

لا تزعمي اني تركتُ هدايتي ما غرَّني والله الاَّ غرَّتِكْ
ان كنتِ ليلى الاخيليَّة فاجعلي عن قتلكِ العشَّاق عندي توبتكْ(١)

مغنٍ بتطريب ﴿معارج﴾ جمع معراج ومعرج وهو السلَّم والمرقاة والمصعد ﴿مدارج﴾ مدارج الهوآء مسالكهُ (١) يريد بالمعنى البعيد من التورية توبة بن الحميِّر معشوق ليلى الاخيلية * وكان كما وصفتهُ ليلى لعاوية سبط البنان . حديد اللسان . شجًا للاقران . كريم المختبر . عفيف المئزر . جميل المنظر

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعرهُ الدُّ ملدٍّ يبلغ الحقَّ باطلهْ
اذا حلَّ ركبٌ في ذراهُ وظلهِ ليمنعهم ما تخاف نوازلهْ
حماهم بنصل السيف من كل فادح يخافونهُ حتى تموت مفاصلهْ

ولما قال لها معاوية انهُ كان عاهرًا قالت

معاذ الهي كان والله سيِّدًا جوادًا على العلات جمًّا نوافلهْ
اغرَّ خناجيًّا يرى البخل سبَّةً تحلَّب كفَّاهُ الندى وانامله
عفيفًا بعيد الهمِّ صلبًا قناتهُ جميلاً محيَّاهُ قليلاً غوائلهْ
يبيت قرير العين من بات جارهُ ويضحي بخير ضيفهُ ومُنازلهْ

ولما قال لها جاوز نعتكِ قدرهُ فاي رجل كان ارسلت تنهدًا من اقصى حشاشتها وقالت

انتهُ المنايا حين تمَّ تمامهُ واقصر عنهُ كل قرن يطاولهْ
وكان كليث الغاب يحمي عرينهُ وترضى بهِ اشباله وحلائلهْ
غصوبٌ حليمٌ حين يُطلب حلمهُ وسمٌ زعاقٌ لا تصاب مقاتلهْ

علق بها وكانت رعبوبةً بقدٍّ كأملود خيزور هيفًا ولينًا * وكنتمثال كافورًا رجًا ولونًا * فخطبها فردَّ وأقرنت على رغم منها برجل من بني الادلع كان غيورًا

(الاغاظة)

رام العذول اغاظتي بمقالهِ انّي اتّخذتُ من القباح خليلة
فاريتهُ يومًا ملاح حسنهـــا وسألتهُ عنها فقال جميلة (١)

عليها * يكثر من الإساءة اليها * فلما علم انهما يتزاوران على خلوة الاحياء * من الرقباء شكى توبة الى الحاكم فهدر دمهُ فهام وما برح يزجّي ركائب عيش شاصب ويعاني الم غرام رافع خافض ناصب * لا عزاء لهُ الا الذكرى * ولا غداء الا مدامع حرّى * نسبلها محاجر شكرى * حتى قتلهُ بنو عوف بن عقيل فرثتهُ بابيات تهيج الجماد * فتنفصّل منهُ افئدةٌ للاجساد * ومنها في الحكميات

لعمرك ما بالموت عار على الفتى اذا لم تصبهُ في الحياة المعايرُ
وما احدٌ حيٌّ وان عاش سالمًا باخلد ممن غيّبتهُ المقابرُ
فلا الحيُّ مما احدث الدهر معتبٌ ولا الميت ان لم يصبر الحيُّ ناشرُ
وكل شباب او جديد الى البلى وكل امرءٍ يومًا الى الموت صائرُ
قتيل بني عوف فيالهفتا لهُ وما كنت اياهم عليهِ احاذر

ومرّت بقبره في غابر ايامها فقالت عمتَ صباحًا وعليك سلامي يامن تقول

ولوان ليلى الاخيلية سلّمت عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة او زقى اليها صدى من جانب القبر صائحُ

اذا بصدى (البوم الذكر) طار من القبر فنفرت ناقة ليلى وما برحت مذعورة حتى سقطت من هودجها سقوطًا ارسلها الى توبة في عالم الارواح * على احجمة الرياح * فدُفنت الى جانبهِ في لحد يقول

مساكين اهل العشق حتى قبورهم عليها سمات الذلّ دون الخلائق

(١) يريد بالمعنى البعيد من التورية جميلة الخزرجية مولاة بني سليم التي قيل فيها

(الخمسية)

روضةٌ وجهك ذا ام فلكٌ وغزالٌ انت قُلْ لي ام ملكْ
زدت قلبي علّةً من بعد شكـــواي سقمي خاب عبدٌ املّكْ

ان الدلال وحسن الغنا ٭ وسط بيوت بني الخزرج
وتلك جميلة تزين النسآ ٭ اذا هي تزدان للمخرج

كانت جامعةً بين اجلّ طبقات الغناء والجمال * واسمى مراتب العفاف والكمال * وفورة السمت . رخيمة الصوت * بهية الشارة * فتّانة الملامح * رزينة الحصاة * عذبة الكلام * وجيزة العبارة * اجمع مجيد وعصرها من مثل الغريض وابن سريج ومسجح وابن محرز ومعبد وابن جامع وحبّابة وابن عائشة وسلامة وريحة وخُليدة وعقيلة العقيقية على كونها امام هذا الفنّ * ومجلّي مضمار السبق فيهِ شرقًا وغربًا وبين الانس والجنّ * وكان معبد يقول لو لم تكن جميلة لم تكن نحن مغنّين ولقد طالما تحاكم لديها اولي الفنّ المجيدين * من مكيين ومدنيين * فقضت بينهم قضاءً آخذًا بناصية الانصاف * مأمونًا بهِ جانب الحيف والاجحاف * قيل حجّت ذات سنة فخرج الى لقائها كبراء مكة وسادتها ومشاهير مغنّيها وقيناتها * فكثر الزحام * وازدحمت في ارجاء الحرم الاقدام والتفّت الساق على الساق * حتى كأنهُ يوم التلاق * ولما انقضى الحجّ والنجّ اقترح عليها الامراء * عقد مجلس للغناء * فقالت ما كنت ياذوي الفضل * لاخلط الجدّ بالهزل * ثم عادت الى يثرب (مدينة الرسول) إدراجها * فاستقبلها سراتها واشرافها * يتقدّمهم الاطفال والنساء * وكان قد صحبها قومٌ من غرر مكة واعيانها * فلما حلت دارها اناها الجميع مهنئين فقابلتهم باللطف والاناس ثم جلست للغناء * فغصّت الساحات والسطوح بخليط الناس * واصطفّ المغنّون طبقتين متناوحتين فكانت كلما دمدمت وشدّت علا من الخلق

(الخداع)

ما كنت اخال وحقّ الخا ل بانّي منكِ بها أُغدَرْ
ردّي عن قلبي سهم الختـــل كخداعكِ خداعًا يافيدَرْ(١)

ضجيج ينطح عنان السماء * ويعيد اذن السميع صمّاء * والكلّ يقول ما رأينا ولا سمعنا بمثل هذا ثم اقترحت على المغنين ان يهزجوا شنعًا ووترًا * ففعلوا فكانت نصلح لكلّ اغلاطه وتريه وجه الإصابة من اقرب طريق * حتى ابهتت الناس عجبًا وحيرة * وابكتهم طربًا وصبابة * فانصرفوا يقولون اللهمّ غفرًا * فسبحان من جعلها في كل معنًى غاية * انهُ وليّ التوفيق (١) هي على ما ورد في ميثولوجيا اليونان ابنة (مينوس) الكريتي وحليلة (ثيزي) ملك آثينا هامت اثناء تغيب زوجها بابنهِ (ايبوليت) المولود من زوجتهِ الاولى (انتيوبا) ملكة (الامازون) وكان جميلاً فتّانًا ولما تمادى بها الوجد والألم * وابتلاها الكتمان بالسقم * اباحت بما تجنّهُ من حرّ الجوى * وبرحاء الهوى * الى امينة سرّها (اونون) اما (ايبوليت) فكان مفتونًا بحب (اريسيا) سجينة ابيهِ ذات النسب الملكيّ التي كانت ايضًا كلفةً بهِ دون ان يعلم كلٌّ بما لهُ في قلب الآخر فكان الثلاثة يمثّلون سلسلة عشّاق ومعاشيق ولكن تحت طيّ الستر والخفاء * مخافة الافتضاح اذا قُدّر الجفاء

جننًا بليلى وهي جنّت بغيرنا واخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها

ولما أُرجف بموت (ثيزي) زيّنت اونون لفيدر مطارحة (ايبوليت) احاديث الوجد وإطماعهُ بتراث العرش بالنيابة عن ابنها الطفل الذي كانت الامّة تتردّد في الاختيار بينهُ وبين (اريسيا) تلك التي استبشرت بالفكاك من الاسر * حال ايقانها (ايبوليت) على دخيلة الامر * بعد اذ كانت يئست من

(الكلام الجامع)

قال لما رام منهُ لثمةً حيران صبٌ

الخلاص *وتلا عليها لسان الحال ذوقي عذاب ربك لات حين مناص *
فعالنتاهُ كتاها بحديث وجد مقيم مُقعد *بلسان اغنّ ينشد

ارى في فؤادي لوعة الحب لا تهدا اهذا الذي سماهُ اهل الهوى وجدا

فبادل (اريسيا) عقدي وداد وولاءً *ورمى (فيدر) بسهمي نفرة وجفاءً *
ولم يمضِ الاّ مثل حسوة طائر *او لهنة مسافر * حتى قيل عاد (ثيزي) حيًّا *
فسقط في ايدي (فيدر) وقالت ويلاه لقد جئت شيئًا فريًّا * ثم عضت
بنانها الخضيب بثنايا الندامة *وفوّقت الى قيّمتها (اونون) نبال التقريع والملامة
ولكن كان قد سبق السيف العذل *فلجأت الى الغدر والحتل *حتى اذا
حلّ زوجها الصرح قابلتهُ بوجه باسر *ودمع ماطر * وخرطوم كخطب كاسر *
وقالت بصوت يقصف كالهزيم *ما جزاءُ من اراد باهلك سوءًا الاّ ان
يسجن اوعذابٌ اليم *ان (ايبوليت) الشقيّ قد مالت بهِ الحوباءُ * الى
اتيان الفحشاءِ *فتلا عليّ من فرقان غرامهِ آيات بيّنات *ورماني لاقتناصي
عن قوس احتيالهِ بحربات نافذات *كادت تفري عرضًا وفرًا * وتثلم سدًّا
لم أرب قط ما ثُغر *وفي رواية ان ذلك كان بلسان اونون *ليتمّ الدست على
(ثيزي) المغبون * رمتني بدائها وانسلت * فانطلت عليهِ زخارفها *وجهر في
مجاهل مخارقها ومخارفها *فنشبت برجلهِ الحبالة *ولم يدرِ ان عرسهُ اروغ من
ثعالة *ففار على ابنهِ غيظًا كما يفور المرجل * ولعنهُ وهو يحرّق عليهِ الارم *
قائلاً امضِ الى حيث القت رحلها امّ قشعم *ثم توسّل الى معبود البحر
(نبتون) ان يهلك ابنهُ الخؤون *فمضى (ايبوليت) في رهط من حاشيتهِ اسيفًا
حزينًا *قاصدًا مدينة (مسينا) وكان اوعز الى (اريسيا) ان تلحق بهِ ليشهدا

لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون

المعبودات على اقترانها * وليقطعا غابر العمر في حجري بعضهما * فبينا هو سائرٌ على الشاطيء اذا بالامواج عات كالشواهق * ثم هوت منكسرة كأنما رُميت بجلاهق * فبان من تحتها تنينٌ اقشر * هائل المنظر * اجشّ الصوت * تنوب انيابهُ عن ملَك الموت * ففرّ القوم هلعًا متواربين عن الابصار * الاّ (ايوليت) فانهُ قابلهُ بقلب من فولاذ * وصدر كأنهُ نيّار * ورمى فؤادهُ بحربة هي للارواح احذق اخّاذ * وللاعمار اقطع بتّار * فانطرح عند أرجل الخيل كالنخلة السحوق مشحطًا بدمهِ * كادمًا الصخر بفمهِ * فنفرت الخيل واي نفار * وشردت بالمركبة متسكعة بين الصخور في القفار * حتى تكسرت العواجل وسقط (ايوليت) على الصمصمان * وكانت قد علقت رجلهُ بالعنان * فجعلت تجرّهُ الخيل مذعورةً * وتلاطم مدهوشةً * حتى تمزّقت لحمانهُ بنعل الاشواك والصخور * وتفجّرت ينابيع دمهِ منسابةً في تلك الشعاب والوعور * ولم يدركهُ اصحابهُ الاّ والجريض في ثغرهِ * والحشرجة في صدرهِ * فاوصاهم ان يبلغوا اباهُ ما كان * وانهُ برآهُ من افتراء دليلة المكر واليهتان * وان يتوسلوا اليهِ عنهُ * بان يتخذ حبيبتهُ (اريسيا) بدلاً منهُ * عزاءً لمصابهِ * وشهدًا يجلّي جامَ صابهِ * وبعد موتهِ بدقائق * اقبلت (اريسيا) بخطو دونهُ اهواج السوابق * وانقضاض الصواعق * فلما رأت محبوبها على الجدالة * في تلك الحالة * صعقت بصوت دوى لهُ الجوُّ * وانطرحت الى جانبهِ لا تفرق الحوّ من اللوّ * ولما ثاب حلمها عاد الجميع إدراجًا . واتخذوا توًّا الى صرح الملك منهاجًا * فقصّوا عليهِ ذلك النبأ الفاجع * وكان قبل ذلك ان (اونون) امّ البدائع * القت بنفسها الى البحر كمدًا لما جرى عن يدها من الفظائع * ولما كاد صبح الحقيقة يلوح * شربت (فيدر) سمًّا ناقعًا وقابلت (ثيزي) كاسرةً طرفًا دامعًا * وانبأتهُ ثمت بوصمتها * وبما

(الموحي)

يلقنني هواها عن دمشق زمان تغربي انباء صدق
ولم ار ذاك بدعًا حيث ادري بان العنق منها سلك برق (١)

صبتهُ على هامتهِ من الويل بداعية تلبيتها نداء شهونها * وكان السمّ قد استحكم في دورة دمائها * فتمزقت مفردات احشائها * وسقطت امامهُ جثةً بلا روح * فقامت عليهِ القيامة * وعاد على نفسهِ بالتوبيخ والملامة * وقطع مع (اريسيا) التي اصطفاها ابنةً وخليلةً عيشًا بغصّة ذكرى ﴿ من يزرع العجلة يحصد الندامة ﴾ (١) هو الموحي الذي يسميهِ الناس بالتلغراف . قيل ان اصل ما ادّى باهل الحكمة الى هذا الاستنباط العجيب انما هو استعمال (فرانكلين) المنطاد (الطيّارة) وذلك في بداية القرن الثامن عشر فانهُ كان اصعدهُ في يوم ذي دجن وربط اسبابهُ الى وتدين واناط بها مفتاحًا فلما غشيها الغمام رأى ان بعض خيوطها قد تنفّش وتجافى عن بعض منتصبًا فادنى برجمتهُ من المفتاح فاحسّ بشرر البرق ومذ ذاك الحين خطر ببال المتفجرين انهُ من الممكن ايجاد إداة تنقل بالكهرباء الاخبار الى شواسع الاقطار واوّل رجل حاول ايجادها هو (جورج ليزاج) الفرنساوي وذلك سنة ١٧٦٠ فاشتغل ١٤ عامًا وخاب ثم قام (لوموند) السكوتلاندي سنة ١٧٨٧ وصرف همةً زمنًا فأخفق وفي عام ١٧٩٤ نصب (ريزن) الالماني اوّل موحى في العالم وكان عديم الاتقان بالنسبة الى المستعمل الان وكان التبليغ فيهِ للسلك والعمل كلهُ للكهرباء ثم جاء (فولتي) فحسنهُ قليلاً ثم تداول اصلاحهُ كثيرون من مثل فرنسيس (رونالدس) و (شويجر) و (دافيس) و (اراغو) حتى قام عام ١٨٣٧ الدكتور (كوكس) البنسلفاني والمهندس (ويتسطون) فنالا من دولة الانكليز اذنًا بمدّ الاسلاك ومدّاها تحت الارض نافذةً من حلق فخّار لكي

(كساد الشعر)

يقولون ان الشعر اصبح كاسدًا وشعرك في سوق المسامع نافقُ

فقلت لهم ما كل باك تماضرٌ (١) ولا كل من ذاق المحبَّة عاشقُ

لا تماس واوّل سلك مدّ كان لسكة الحديد المسماة ﴿ السكة الغربية الكبرى ﴾ وذلك سنة ١٨٢٩ وفي سنة ١٨٤٣ نصب المستر (ود) الاسلاك على دعائم . وقال قوم ان صموئيل (مورس) الاميريكي هو المستنبط الاوّل لهذه الاداة وهو طبيعيٌّ جاء سنة ١٨٢٧ باداة تلغرافية فعرضها في مدرسة (نيو يورك) الكلية فاستحسنت واستعملت سنة ١٨٤٤ بين (واشنتون) و (بلتيمور) فنضّلت على سائر الاسلاك الكهربائية الموجودة في اقطار الارض اما التلغراف فهي لفظة يونانية معناها الكتابة عن بُعد (١) هي بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء شاعرة بني سليم التي اجمعت العلماء على انه لم يقم قبلها ولا بعدها في النساء شاعرةٌ مثلها اشتهرت بحزنها على اخويها معاوية وصخر (ولمقتلها حديث لا يحتملهُ المقام) ورثتهما برقائق اشعار لو تليت على الجماد لتفطّر * وجرى الدمع من عيونهِ وتفجر * وكانت في صباها آية جمال باهر * وربيبة لطف ساحر * فعلقها دُريد ابن الصمّة وشبّب بها في اشعاره . ومنها

حبُّوا تماضر واربعوا صحبي وقفوا فان وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم واصابهُ تبلٌ من الحبِّ

ولما خطبها ردّتهُ قائلةً ما كنت بالحمقاء المخرقاء فادع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح * وانضمّ الى شيخ افتتهُ الايام حتى حاكى رسمًا عفتهُ الرياح * قيل سئل جرير من اشعر الناس قال انا لولا تلك العاهرة (يريد الخنساء) لقولها

ان الزمان وما يفنى لهُ عجبٌ ابقى لنا ذنبًا واستؤصل الراسُ

ابقى لنا كلّ مرذول وفجّعنا بالاكرمين فهم هامٌ وارماسُ

(الاقراط)

لاحت بقرطي جوهرٍ مثل النجوم الزاهيه
فكأنها بلقيس[1] قد جاءت بقرطي ماريه

ان الجديد بن مع طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناسُ

وابدع معنًى جاءت به انما هو قولها في اخيها صخر

وان صخرًا لتأتمُّ الهداة بهِ كأنهُ علمٌ في رأسهِ نارُ

وهو من قصيدة رنانة مطلعها (بئس المطلع)

قذىً بعينيك ام بالعين عوّارُ ام اقفرت اذ خلت من اهلها الدارُ
تبكي لصخرٍ هي العبرى لقد ذرفت ودونهُ من جديد الترب استارُ
لا بدَّ من موتةٍ في صرفها غِيَرٌ والدهر في صرفهِ حولٌ واطوارُ

ومن اشعارها في رثاء اخويها

من حسَّ لي الاخوين كالغصنين او من راهما
قرمين لا يتظالمان ولا يرام حماهما
ويلي على الاخوين والـ ـقبر الذي واراهما
رمحين خطيَّين في كبد السماء سناهما
سارا بغير تكلفٍ عنوًا بفيض نداهما

قيل ظلَّت تبكي حتى بدت قروح مقلتيها وظهرت ندوب للدمع في وجنتيها ادركت الاسلام فاسلمت وانشدت النبيَّ البديع من شعرها وحضرت حرب القادسية فقُتل فيها بنوها الاربعة ولما نعوا اليها قالت الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقرّ رحمتهِ ولبثت حيةً حتى ادركت خلافة معاوية ثم ماتت في البادية وعمرها زهاء الثمانين (١) هي على ما نسبها مؤرّخو العرب بلقمة بنت يشرح بن الحارث تنتهي ارومتها

(شكوى الجريح)

حنَّامَ يهنأُ بالوصال معنَّفي وفؤادصبِّكِ بالجوى يتضرَّمُ

يعرب بن قحطان و يلقبها الانجيل بملكة الوسط والتيمن والقرآن ببلقيس والتوراة بملكة سبأ وهي بلاد في اليمن ضمن شبه جزيرة العرب ويسمّيها الجغرافيون (آصاب) يضرب بها المثل بالمجد والقدرة وسعة السلطان وقصتها مع سليمان ملك اسرائيل الواردة في التوراة والقرآن (وبين الروايتين اختلاف) اشهر من ان نُذكر فليراجعها هنالك من شاء. وقد ورد في تاريخ الحبشة على ما افادنا العلاَّمة (دليسبس) فاتح ترعة السويس الشهير أن اسمها عندهم (مكيدة) وانها لما سافرت الى بلاد المقدس ذهبت برًّا راكبة جملاً آدم اللون ولم تسر في طريق شبه جزيرة العرب خوفًا من الاسمعيليين وكانت مصحوبة ببنت حيرام ملك (تير) اي (صور) الذي تولى خفارتها اثناء الطريق ولما بلغت فلسطين تهوَّدت بعد اذ كانت وثنيَّة واقترنت بالملك سليمان فاولدها غلامًا سمي (مينيليك) اصحبته معها لدى عودها الى بلادها بطريق مصوَّع وسواكن ولما بلغ اعادته الى ابيه لكي يؤدِّبه ويخرِّجه و بعد ان بلغ اشدَّه اوتي به الى الهيكل بالتاج والصولجان ومسح ملكًا على (ايثيوبي) ولقب ثمت باسم جدِّه داود ولما عاد الى سبأ صحبهُ عزريا بن صادوق كبير الاحبار مع فريق من الاسرائيليين وكهنتهم فبثُّوا دين اليهوديَّة في ارجاء بلاد الحبشة وتولى احبارهم ارائك القضاء فجعلوا نسق الحكومة كنسق حكومة فلسطين وما برحت ذريتهم هناك حتى اليوم يتوارثون القضاء خلفًا عن سلف اما بلقيس فعمَّرت طويلاً ثم ماتت سنة ٩٧٦ قبل المسيح بعد ان اوصت بالملك الى ابنها (مينيليك) الذي تحقَّق عام ١٧٧٠ م ان العائلة المالكة اخيرًا انما هي من سلالته. ولقد كان من رأي بلقيس على ما وجد مثبتًا في سجلاَّت الحبشة ان النساء لا يكون لهنَّ حظٌّ في الخلافة بعدها وقد عُمل بمقتضى هذا الرأي حتى اليوم. واما

الله يعلم بالذي القى اسى من بعد ما قاطعتني يامريم (١)

عرشها فقد ذكر في ميثولوجيا العرب انهُ كان سريرا صنعًا من ذهب وفضة مرصعًا بنفائس الجواهر وفي رواية انهُ كان مقدمهُ من الذهب الاصفر منضد بالياقوت الاحمر وموشح بقضبان الزبرجد الاخضر ومؤخرهُ من لجين ناصع مقمع بانواع اللآلي وسائر الحجارة الكريمة ولهُ اربع قوائم الاولى من ياقوت احمر والثانية من ياقوت اصفر والثالثة من زبرجد اخضر والرابعة من فيروز ازرق تحيط بحافاتهِ رصائف من عقيق اسود وماس ابيض . ومن غرائب ما قالهُ العرب عن بلقيس ان اباها انسيٌ وامها جنية وانها ماتت في الشام قبل سليمان فدفنها الجنُّ بأمرهِ في مدينة تدمر وواروا ضريحها عن الابصار واما مارية فهي بنت امرئ بن ثعلبة الحميري من ملوك اليمن . كانت حسنة الخلق والخُلق * بليغة الكلام عذبة النطق * وكانت وحيدةً لابيها عزيزةً لديهِ فاهداها قرطين نادرين كلٌ منهما بمقدار بيضة الحمامة فضُرب بهما المثل في كل نادر ثمين (١) فمي ماري استوارت شهيرة عصرها جمالاً ونجابةً وزينة العالم الغربي علمًا ومهابةً ولدت ليعقوب الخامس ملك (سكوتلاند) سنة ١٥٤٢ من زوجتهِ (ماري دي لورين) التي ماتت بعد ولادتها بثمانية ايام وفي عام ١٥٥٨ بنى عليها (دوفان) الذي تولى تخت فرنسا باسم فرنسيس الثاني ثم مات عنها بعد سنة ونصف فعادت الى بلادها حزينةً وهنالك ودَّعت فرنسا بابيات هي غاية في الرشاقة واللطف تعريبها ما يأتي * وداعًا يافرنسا الانيقة يابلادي التي رشَّحت صباي والتي فيها اقصى مشتهاي وداعًا يا ايامي الغرَّاء في مملكة العزّ والصفاء ان الفلك الذي فصلني عنك لم ينصل سوى شطري واما الشطر الآخر وهو مُلكك ساتركهُ في مغناك ذريعةً لذكراك * وكان تغاليها بالاستمساك في المذهب اللاتيني الذي كان استبدلهُ قومها بمذهب (لوتير) جعلها بغيضةً لدى الاهلين فرأت ان تزلّف اليهم بزواجها بابن عمها

(ردّ العتاب)

ما اشرقت شمس هذا الخد يا صنمي الاّ تيقنتُ ان الوجه منك فلكْ

(هنري) الذي لم يكن له من مزية سوى بسطة في جسمهِ ومسحـــة جمال في وجههِ فزُفّت عليهِ سنة ١٥٦٥ وكان لثيمًا غيورًا فاتهمها بحب كاتم اسرارها (داود بزيو) الايتالي الذي كان جميلاً فنّانًا وموسيقيًّا شهيرًا فهجم عليهِ ليلةً من باب خفيّ في قصرها ولما رآهُ يعزف امامها اشتعل حسدًا وغيرةً فقتلهُ غيلةً عند الباب الخارجي حيثما ترى حتى اليوم اثر الدم على الخشب المحاذي عتبتهُ وفي سنة ١٥٦٧ هلك هنري بكيفية تجلب الشكّ في امر موتهِ فاُتهمت بهِ وعقيب ثلاثة اشهر تزوّجت بلا تدبر في العواقب بالكونت (بوثويل) الذي قيل عنهُ انهُ المجهز بامرها على زوجها فاهاج فعلها هذا القوم فاتهموها بالخيانة والفحش وزجّوها في معقل (لوش ليفان) وساموها جحد مذهبها علنًا فأبت ولبثت سجينةً حيثما تخضت عن ولدها (جيمس الاوّل) الذي وحّد مملكتي سكوتلاند والانكليز ثم حاولت الفرار فتدلّت من شرافة عالية ونجت بنوع عجيب وكتبت اذ ئذ من المُلك مستجيرة بابنة عمها الملكة اليصابات وذلك عام ١٥٦٨ فاستقدمتها بامان ولما رأت ما اوتيت من محاسن الذات والصفات اضمرت لها شرًّا وحسدًا ثم نجّت عليها امورًا منها انها قتلت زوجها فاودعتها سجنًا ضيقًا مكثت فيهِ ١٨ عامًا اتخذت في خلالها وسائل جمة للخلاص ولم تفلح ومن تلا نبأ سجنها وما لقيت فيهِ من الضرّ والنكد لا يكاد يملك عبراتهِ حزنًا ووجدًا ولو كان فؤادهُ حجرًا صلدًا ولم يكفِ اليصابات ذلك حتى اتهمتها ظلمًا ولؤمًا بانها غاوت فريقًا من اهل مذهبها على اهلاكها فخفرت ذمتها وحكمت عليها بالموت ثم امرت الامير (بيل) وكان من اشدّ الناس عداوةً لماري بان يزورها في السجن وينذرها بوشك القتل فسار مع فريق من الامراء وابلغها الرسالة بلسان امرئ من الصبر وفؤاد

ولا اتاني نحول الخصر مشتكيًا الا حكمت بان الجور من كفلك

اقسى من الصخر فاجابت منجلة اني لست من رعية ابنة عمي فكيف تامر بقتلي واما اذا كان رضاها بموتي فاهلاً به الا أن نفسًا لا تسمح لجسمها بان يتحمل ضربة جلاد لغير جديرة بنعيم الملك الجواد ثم دعت قسيسها وكانوا قد حالوا بينهما فقال لها بعض النبلاء لو فاوضت اسقفًا لوتيريًا لكان اقرب للتقوى فابت وكان امير (كنت) متحمسًا في البروتستانتية فقال ان حياتك لدينا موت وموتك حيوة ولما انصرفوا امرت بالطعام وتناولت قليلاً منه على عادتها وحانت منها لفتة فرأت خدامها يبكون فقالت لهم كفوا يا اخوتي وافرحوا بانطلاقي من هذا العالم عالم الشقاء ثم شربت بعد العشاء على اسماعهم رجالاً ونساء فشربوا معها ركعًا وقد مزجوا شرابهم من عيونهم بماء والتمسوا عفوها فعفت عنهم واستعفتهم عنها ثم كتبت وصيتها ووزعت بينهم حلاها والبستها وكتبت الى ملك فرنسا رسائل وصاة في حق جميع حاشيتها ثم تودعت من النوم بالفرار واحيت سائر ليلها بالتهجد والاستغفار ولما الفت الغزالة لعابها جاء امير في طلابها وكان النهار صاحيًا ووجه السماء ضاحكًا ضاحيًا فلبست ابهى ثيابها واسدلت عليها رداء من كتان وخرجت على الفور وسجنتها في بنانها وعلى محياها الصبيح الوقور سمات الخفر والتجلد وكأن المجد والجلال يسيران في خدمتها ولما بلغت مقتلها استقبلها الاعيان والامراء وبينهم خادمها (ملفن) يشرق بالبكاء فقالت له رويدك يا ملفن وكفاك نحيبًا فانك عما قليل ترى ماري معتوقة من قيد احزانها فقل لاهل سكوتلاند اني اموت كاثوليكية حافظة لفرنسا وسكوتلاند عهدي ووداد . الهي اغفر لمن ظمئ الى دمي كما تظمأ الابائل الى الماء . الهي انك تعلم سرائري وخفايا ضمائري فبرّئني عند ابني اليتيم والهمه ان حياتي لم تدنس حرمة ولم تشن مملكة . الهي وفقه الى ان ينهج مع ملكة الانكليز منهج صداقة ووداد انك لغفور سميع

عذّبت قبلي الآفاو ما حكموا عليك بالسجن قل بالله من كفلك

جوّاد . ثم ذرفت مدامعها ككريات من الماس تتقذف من لجتين وتتدحرج على صفحتي لجين وودّعت خادمها الوداع الاخير فاندفع في البكاء حتى تولاه الاغماء ثم التفتت بجلال الى الامراء ورغبت اليهم ان يساعدوا خدمتها على احراز ما لهم من وصيتها وان يمكنوهم من القيام حولها ساعة قتلها ففجا في امير (كنت) عن مطلبها الثاني لوسواس شيطاني فقالت له لا تخف دركًا من هذه النعاج الوديعة التي لا مأرب لها الا التملّي مني بهذا الوداع الأليم وعندي ان حبيبتي الملكة لا تمنعني ذلك كيف لا وانا ملكة ايضًا وابنة ملك وزوجة ملك واقرب الناس اليها والله يعلم انني اقول ذلك بقلب سليم وضمير مستقيم فلمّوها حينئذٍ وسار امامها الامراء وخادمها الخاص وراءها رافعًا اطراف ردائها حتى اذا بلغوا المذبح استوت على اريكة سوداء فتلا (يول) امر قتلها فسمعته باصغاء ثم حاول الاساقفة ان يبلوها عن مذهبها فاجابتهم اني اموت على ما ولدت فطلب الامراء ان يشتركوا معها في الصلاة والدعاء فقالت لكم دينكم ولي دين ثم جثت واخذت تصلي باللاتينية فتابعها خدمتها ولما فرغت كرّرت الاستغفار عن الملكة والدعاء لابنها فتقدّم الجلاد مستسمحًا فاجابته مسامحة ثم نزع عنها خوادمها ردائها الأعلى باكيات نائحات فقبّلتهن واوصتهن بالصبر وكفّ العبرات ثم غطت وجهها بقناع اسود واستوت على الخشبة قائلة الهي استودعك روحي واستقبلت الموت

بعزمة بعثتها همة رُحلٌ من دونها بمكان الارض من زُحلِ

فتقدّم الجلاد وقطع هامتها فهتف الاسقف هكذا لتهلك اعداؤنا ثم حنطت جثتها ودُفنت باحتفال في كنيسة (بيتير بورغ) وصُنع لها في باريس مأتم حافل وكان لها من العمر يوم قتلها اربع واربعين سنة وشهريف وما زال رسمها محفوظًا فوق سريرها في (ايدنبورغ) قاعدة سكوتلاند ولها رسم آخر في

ان العتاب الذي قد رام ناقلهُ برويه عنك رسولاً جاء منك فلكْ

﴿ سحرُ هاروت ﴾

حنانيكما عوجا بذي الطلح من نجدِ وقصّا على مي الغرائب من وجدي
ألا واعلما تلك المعالم ان لي رواة غرام كالرواة عن الكندي
وقولا لها بشراكِ مي فانهُ قضى فمضى صبراً وماخان بالعهدِ
وان تجهلاها فاسألا غسق الدجى فيهديكما منهُ سنى خدّها المهدي
خدَيدٌ اذا مرّت بهِ نفحة الصبا اسالت عليهِ ما يسيل على خدّي
لها لحظ ريمٍ كلّمتني بهِ التي اذا كلّمت ميتاً يقوم من اللحدِ
وثغر بهِ ماء الحياة لناهلٍ اذا ضنّ بردي من ضنى طالب الوردِ
يقولون لي جهلاً جنيت برشفهِ فقلتُ نعم شهداً لهُ ارج الندِّ
بهِ بردٌ لو لم يكن معجز الورى لما كان من نار المقبّل في بردِ
رويدك ماهاروت امهر ساحر ألّف مثل الثغر ضدٌ الى ضدِّ
فللهِ مَن اهدى لها البدر تمّهُ واهدى على عنبي المحاق الى كبدي
ولله خال عرّ بالحسن خدّها بخالي وعمي ذلك الخال ذا الجدِّ
قضيبٌ اذا اهتزّت غزال اذا رنت حسام اذا ازورّت يريق دم الأُسد

محبسها الاوّل محفوظ معهُ تاج الملك والسيف والصولجان ووسام وخاتم ياقوتيٌ فصهُ اكبر من البندقة وقد الّف مشاهير الكتبة بحياة ماري وبرآءتها روايات كثيرة شعراً ونثراً تركرها بعدها للناس امثولةً وذكرى

اذا خان المليك وكاتباهُ وقاضي العدل جارف بالقضاء
فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ لقاضي الارض من قاضي السماء

ارتني نهاراً تحت ليل على قنا من الوجه والفرع المعنبر والقدِّ
متى يشتفي يامي صبُّكِ باللقا كما اشتفت العذّال آونة البُعدِ
صلي مغرماً بادي الأنين متيماً ذرته شواظاً جمرة النيه والصدِّ
سهى عن سوى نجم السهى فهو عنده خيال جبين يخجل الشمس بالوقدِ
تهيجه عند الصباح حمائم ينحن بروض ضاع فيه شذا الرندِ
به بسطت ايدي الربيع زمرُّدًا يظلله الياقوت من قمم الوردِ
فتقذف مرجاناً ودراً محاجرٌ ترصّع ذيّاك البساط بلا عمدِ
فما مقلتي الاّ بحارٌ وصبوتي سوى غائص يجني فيجني ولا يجدي

﴿ الختام ﴾

يقول ناظمهُ وشارح متنهِ سليم بن روفائيل بن جرجس عنحوري الدمشقيُّ مؤلف كتابي كنز الناظم والجوهر الفرد

هذا آخر ما حام عليهِ طائر الفكر في روض الغزل والنسيب * وجرى فيهِ جوادُ التخيُّل في مضمار المطارحة والتشبيب زمانَ

كان همي وصف لحظ فاتنٍ وطُلًى تزهو وثغرٍ اشنبِ
وحنيني نحو روضٍ زانهُ بلبل الدوح الوريق المخصبِ
وشجوني غادةً او اغيدًا او رحيقًا او صفير القصبِ

احسبُ الكونَ عروساً زينت لتنيل المرءَ كل المأربِ
التقي ثغر الاماني باسماً عن ثنايا الفوز مثل الحببِ
اصدم الدهر بقلبٍ كالصفا لا يبالي بالعنا والنصبِ
والصبا يندعني لألآئهُ كسرابٍ لاح تحت الهضبِ

ويريني الحبُّ من معشوقتي حسن شيرين[1] ونطق الذهبي[2]

(١) هي معشوقة فرهاد ومغنيته . كانت الهة الجمال وتمثالهُ . وعنوان الجلال ومثالهُ . اصطناها ابرويز بن هرمز احد عظماء الاكاسرة زوجةً . وابتنى لها قصراً كغُرف الجنان . يعرف باسمها قرب حلوان . ثم هام بها ابنهُ خسرو خلةً فطرقها في مقصورتها غيلةً . فطعنت ثديهُ بخنجر ماضٍ . فراح يتلو على عالم الارواح الكل ماضٍ (٢) هو ابلغ خطيب كنائسي * ويعرف بالقديس يوحنا الذهبي * ولد في انطاكية سنة ٣٤٧ من عائلة نبيلة ونشأ يتيماً راضعاً ثدي التقى * متقلباً على مهد الفضيلة * فنبغ قدوةً في الورع ونموذجاً في علمي اللاهوت والبلاغة * وتفرّد في الذكاء حتى اصبح علَم زمانهِ * ودهشة اقرانهِ * فجنح ثم الى الاندماج في سلك خدَمة الدين فرشحهُ له ملاتيوس البطريرك الانطاكي وكان يصبو الى العزلة ويرتاح الى الاستمتاع بلذاذ الانفراد وهي خلةٌ تزيد الفكر جلاءً * والقريحة مضاءً * وتحبو العقل نوراً * والفؤاد نشاطاً وسروراً * فألف بقعة نضيرة كان يتنابها مع صفيهِ (باسيليوس) مروّضين نفسيهما على النسك السامي بيد ان عبرات امهِ قد نكّبت بهِ عن تلك الخطة وقضت عليهِ بان يلازمها راضياً بالقشف وبساطة العيش مع مواظبة الصوم نهاراً والقنوت والتهجد ليلاً ولما رأى ذاتهُ عرضة للانغماس في تيار هذا العالم الغرور عاود مبدأهُ الاوّل لاجئاً الى ناسكٍ يأوي غاراً في الجبل الاقرع

اقتل الاوقات درساً وطلا بالكي اتقن فنّ الادب

فلزمهُ اربع سنين عانى في خلالها اكثر المعايش ضنكاً و بأساً غير ان تمادي اعتلالهِ حداهُ الى معاودة انطاكية فأرغمهُ بطريركها على عروج درجات الكهنوت واباحهُ خليفتهُ (فلبيانوس) ارشاد الامة فاخذ يلقي عظاتهِ البليغة التي صيّرت كوكبهُ دائم الاشراق * وعبير ذكره ساطعاً في الآفاق * لبلاغتها التي كانت تمتزج بالارواح * امتزاج الماء بالراح * وبها سمي بحقٍ ﴿ فم الذهب ﴾ لان نبرات لسانهِ لم تكُ الفاظاً عادية الوضع * مألوفة للسمع * بل كانت سلافاً مبرّداً * او جماناً وعسجداً * بل درّاً منضّداً * يخطف القلب بريقهُ * ويخلب اللبّ ترصيعهُ وتنسيقهُ * مع سموّ معانٍ * وسلاسة مبانٍ * تفعل في الهام فعل الراح القديم * وتجتذب النفوس الى جنّات فيها نعيمٌ مقيم * وسحر الفاظهِ هذا كان سبباً مستقلاً لاطفاء غيظ القيصر (ثاوضوسيوس) على الانطاكيين الثائرين بولاتهِ وعلة غائية لتجاوزه عما اجترحوهُ من الكبائر . ولما خلا كرسي القسطنطينية سمي بالاجماع اسقفاً لهُ فأُخرج من انطاكية بدسيسة وأُرغم على قبول هذا المنصب في ٢٦ شباط سنة ٣٩٨ فكانت عظاتهُ هناك ضدّ الخلاعة والسرف وما يؤتى علناً من المنكرات في الملاعب العامة مما هذّب الاجماع الروماني واقتلع من قلوب بعض لفيفهِ اصول الرذائل التي انبتها الترف فنمت مزهرة حتى كانت بالتالي باعثاً على انثلال عرش الرومان وانتكاس فخرهم فساء ذلك العاكفين على الملاذ . العاثرين لدولة الشهوات ممن في قلوبهم مرضٌ وعلى ابصارهم غشاوةٌ وفي طليعتهم الملكة (افدوكسيا) امّ التبرّج وعنوان الخلاعة والكبرياء التي رانت على عقل زوجها الفاتر العزم والجأته الى نفي يوحنا وذلك بالاتفاق مع البطريرك الاسكندري (ثاوفيلوس) فليلة براحهِ المدينة المّ بها زلزالٌ هائل حمل الملكة على استعادتهِ فأُعيد

زاعماً ان العلى يملكهُ كل من ينظم شعراً عربي
وارى اللذة بالشهرة والمجد واللهو ونيل الذهبِ
التقي اقوى البلايا فرحاً دائم الصفو حليف الطربِ
تعتريني حيرةٌ لما ارى باسراً يبدي سمات الكربِ
اعذل القوم الألى يشكون اذ تلتقيهم عضّ ناب النوبِ
اسكرتني خمرةٌ من صبوةٍ غادرتني في الورى غرّاً غبي
لم اكن ادري بان ذا كلهُ عند من يعقل ومَضُ الخُلَّبِ
ان احلى عيشةٍ انفقها المرءُ في دنياهُ اذ كان صبي

باحتفال بهيج ولكن كبرياءها وعناد (ثاوفياوس) قد ادّيا بهما الى استئناف نفيهِ فانبعث لهيبٌ من منبر (آجيا صوفيا) ابتلع الى جوفهِ ذلك المعبد الشهير برمتهِ ثم انصل الى المحكمة الملكية وما يجاورها من البنايات الانيقة فغادرها حمماً تذريها الرياح. ثم نُقل من منفاهُ (نيقية) الى (كركوزا) فبلغها بعد سفر شاقّ ذاق فيهِ فنون العذاب والبرحاء ولكن دناءة مبغضيهِ أبت ان يستكمل انفاسهُ بهدوء وسكينة فعملوا على نقلهِ الى (بتيوطوس) واغروا خفيريهِ على اهلاكهِ كلالاً واعناتاً فقام احدهما بهذا العمل الاثيم بصرامة انتهت موت هذا الفاضل اثناء سيره في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧ بمدينة (كومانا) وفي ٢٤ كانون الثاني سنة ٤٢٧ نقل ابن عدوّتهِ (ثاوذوسيوس) بقايا رمتهِ الى العاصمة باجلال نادر المثال حتى كانت ضفاف البوسفور تموج بالناس ومياه الدردنيل تمور بالاف من الزوارق التي تخطف بزينتها الابصار ومذ ذلك اليوم حسبهُ العالم المسيحي بارّاً كبيراً * وبدراً في فلك الدين منيراً

وسرور الناس في آمالهم ظلٌّ شيءٍ في الهوا منقلبِ
زخرفٌ فانٍ وزهوٌ باطلٌ وددٌ حاوٍ ضروبَ اللعبِ
كاذبٌ ياقوم هذا كلّهُ كل هذا كاذبٌ اي وابي

ولقد حجرتُ بعدهُ على القلم ان ينزع هذا المنزع * ويكرع من مثل هذا المشرع * الذي لا يجدر الاّ بمن كان جديد الإهاب * في مقتبل العمر وجدة الشباب * والله اسأل ان يعصمنا من الغواية * ويلهمنا الرشد في الروية والهدْي في الرواية * انهُ كريمٌ توّاب

لسلطان الورى عبد الحميد الـــمليك عليكمُ حقُّ الخلافهْ
فلبوا صوتهُ وابغوا رضاهُ باخلاصٍ ولا تجروا خِلافَهْ

وكان الفراغ من طبعهِ يوم الخميس الواقع في ٢٤ كانون الاوّل سنة ١٨٨٥ وعمرُ المؤلف ثلاثون عامًا وسبعة اشهر

اصلاح خطا

وقع في بعض النسخ

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٢	١٨	هل	اهل
٥	١٨	هل	ما
١١	١٠	اويقانا	اويقات
١٦	٨	الدجى	الضحى
٢٢	١٠	بو	بها
٢٦	١٢	الجوهر	الجوهرا
٤٠	٨	سلا	سلى
١٨٨	١٢	المجيدو	المجيدون

وقد حدث ايضًا بعض اختلال في الضبط والرسم والرقم وسقوط بعض الاحرف احيانًا تغنينا عن تفصيلو نباهة القاري . ثم بعد ان اثبتنا البيتين الواردين في متن الصحيفة ١٦٣ رأينا ان معناها مسبوقٌ من البهآء زُهير والعفيف التلمساني فاجتزأنا بهذه الاشارة

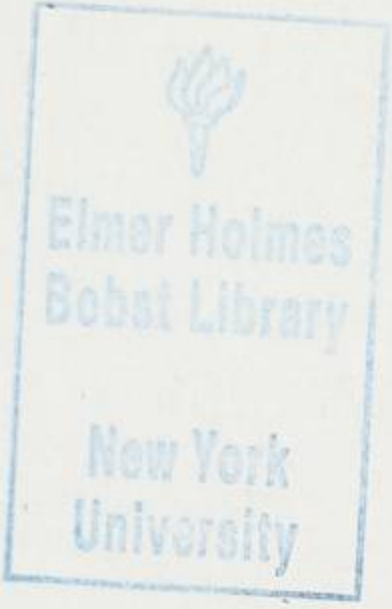
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 01725 5343
PJ7814.N54 S54 1885
Si¨¿r Haru